# الحلقة الأخيرة

## سلسلة المقالات التي كتبتها في موقع لنكدإن

تأليف : أيمن الحراكي

# الحلقة الأخيرة

سلسلة المقالات التي كتبتها في موقع لنكدإن

تمت الاستعانة ببعض أدوات الذكاء الاصطناعي الحديثة للمساعدة في الصياغة واستكشاف الأفكار،
وذلك تحت إشرافي الكامل، مع التحقق والمراجعة والتصحيح، وتبقى مسؤولية التأليف كاملةً لي.

تأليف: أيمن الحراكي

# المحتويات


مقدمة الكتاب ٩

هل نربي أبناءنا فعلاً... أم تُربيهم شاشات تيك توك وإنستغرام؟ ١١

القراءة... نور العقل وروح الحياة ١٣

المبالغة في الشعر العربي: حين تفوّق الخيال على الحقيقة، وتهذيب الإسلام للفخر ١٥

هل يجب أن تكون كل المشاريع مربحة كي تكون ناجحة؟ ١٩

الحقد... طاقة مُهدَرة وسمٌّ قاتل للعمل والمبدعين ٢١

كيف نحمي صحة الأطفال بتغذية خالية من السكريات والمواد الحافظة ٢٣

الجيل الجديد والشعر المنسي: هل نفقد روح اللغة العربية؟ ٢٧

حِكم أثّرت في حياتي... وإنْ متأخرًا ٢٩

نحو اقتصاد رقمي مستقل: خطة وطنية لبناء صناعة برمجيات رائدة ٣٣

نَفْسِي تَأْبَى ٣٧

زمن قلّ فيه الرجال: رثاء المروءة في عصر الندرة ٣٩

تأثير التكبر على التحصيل العلمي ٤٣

الإخلاص في العمل الحكومي: بين الأمانة والاتكالية ٤٧

التاجر الصدوق: مقامه العظيم وصعوبة طريقه ٥١

الجامعة العربية المفتوحة: مشروع وقفي عابر للحدود ورؤية خالدة ٥٥

عن القهوة، وصراع الأجيال، وضياع الأب المحافظ على التقاليد ٥٩

كسر الخواطر... ودرس لم يُنسَ ٦١

مهندس زراعي؟ هههههه - عن شهادة لا تُغفر ٦٥

الميزان في مقاصد الشريعة ٦٩

الإنفاق في سبيل الله ٧٣

عمر أبو ريشة: آخر فحول شعراء العرب ٧٧

من كتم علمًا: مسؤولية العالم في زمن التفاهة الرقمية ٨١

اطمئن... فلست وحدك! ٨٥

من التجحيش إلى التاريخ: رحلة عاشق للخرائط ٨٩

من مبرمج مبتدئ إلى محترف مطلوب في سوق العمل ٩٣

سفينة التنمية... ومجاديف البطالة المقنَّعة ٩٧

وفاءٌ في العناية المُشدَّدة... ادعوا له ٩٩

إثراء... حين تُهدي أرامكو للمستقبل صرحًا من نور ١٠٣

ردًا على قصيدة وزير الثقافة السوري: دمشق لنا إلى يوم القيامة... ولكن لمن تكون القيم؟ ١٠٥

الشِّعرُ المُغنّى... وسِحرُ الكلمة بين الأذن والقلب ١٠٩

حين تَعتمُ النظّارة ويَصُمّ السَّمع: عن سُكرِ المناصب وتغيّر الإنسان ١١١

الذكاء الاصطناعي... واعتقادات خاطئة عنه ١١٥

التعالي بين البشر... مرض النفوس وغفلة القلوب ١١٩

ويلٌ للمطففين ١٢٣

البرمجة والكوميديا: زواج غير معلَن ١٢٧

رسالة مفتوحة إلى أهل العلم: مسؤولية اللقب وواجب التواضع ١٣١

المدح في غير موضعه: كيف يُفسد النفوس ويُهلك المسؤولين؟ ١٣٣

القراءة... هواية منقرضة أم مرض مزمن؟ ١٣٧

الوظيفة العامة بين الكفاءة والتبعية: أزمة ضمير تُهدِّد مستقبل الأوطان ١٤١

الدجاجة والبطة... حين يتفوّق الضجيج على الجودة ١٤٥

عقدة الخواجة... من أثينا إلى التيك توك ١٤٩

من بلاغة الوحي إلى فصاحة الخطاب: كيف نستلهم من القرآن فن شدّ الانتباه ١٥٣

الاستعلاء... داءٌ قديمٌ من قبل الخليقة ١٥٧

تأمين أم تمثيل؟! حين تتحول المتاجر إلى مسارح درامية ١٦١

فسادُ أمركَ للأخلاقِ مرجِعُهُ ١٦٥

أيها الرجل... بل أيها الذكر ١٦٩

الذاكرة البشرية ١٧٣

قل آمنت بالله ثم استقم ١٧٩

التصالح مع النفس: فنُّ التجاوز وسرُّ الطمأنينة ١٨٣

العلم بين نور الإخلاص وظلمة النرجسية ١٨٧

من تخفيضات السواني إلى تابعني... قبل أن أموت ١٩١

الحسد... داءٌ خفيّ يُمزِّق صاحبه قبل أن يمسّ غيره ١٩٥

الهدر المالي في مشاريع البرمجيات الحكومية ١٩٩

طبق الكرامة ٢٠٣

إخوان الشياطين ٢٠٧

النرجسية في مجتمعاتنا ٢١١

نعمة السروال والفنيلة في السعودية ٢١٧

استغنِ عمن شئت تكن مثله ٢٢١

«والله الزول دا ما سمح» ٢٢٥

قيمة الإنسان بين زوال المنصب وبقاء الخُلق ٢٣١

المبدعون الصامتون وضجيج الباعة في سوق الوظائف ٢٣٥

الأدب فوق النسب: شرف الإنسان في أخلاقه لا في أصله ٢٣٩

هدية سياحية؟ أم نصب رسمي؟ ٢٤٣

كيف تنجو من الباعة الذين باعوا ضمائرهم قبل أن يبيعوك! ٢٤٧

«أكلوك الحلاوة يا زكي!» ٢٥١

حين ينسى العبد ربَّه... كيف ينساه الله؟ ٢٥٥

الكِبرياء رداءُ الله: فويلٌ لمن نازعه فيه ٢٥٩

حين تظن أن الأرض ملكك: تأملات في زخرف الدنيا من وحي آية ٢٦٥

السعادة في حب الله ورسوله: في ظلال بركات الإيمان، جبر الخواطر، وصلة الرحم ٢٦٩

نعمتان لا تُقدّران بثمن: الصحة والفراغ... فهل استثمرتهما؟ ٢٧٥

العِلم وأهميته في نهضة الأمم: بين رفعة المقاصد وانحراف البوصلة ٢٧٩

التغلب على الأزمات النفسية الناتجة عن الظروف المحيطة وأثرها على الإنجاز العلمي والعملي: رؤية علمية ودينية ٢٨٣

من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ ٢٨٧

صبابة الدنيا... بين سراب البقاء وحقيقة الفناء ٢٩١

برّ الوالدين... سرّ النجاح والتوفيق في الحياة ٢٩٥

الاستسقاء المالي: داء لا يشبع صاحبه حتى يهلك ٢٩٩

الأشقياء وخصومة الحياة: قراءة دينية وأخلاقية واجتماعية ٣٠١

انتبه لصحتك: اكتشف الحساسية الغذائية قبل أن تصبح مشكلة كبيرة ٣٠٣

الأمانة الوظيفية بين ضياع التخصص وضياع الضمير ٣٠٥

السكر المكرر والغيبة: دراسة مقارنة بين فساد الجسد وفساد المجتمع ٣٠٩

ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون ٣١٥

حين يختل ميزان العاطفة: كيف نوازن بين حب الأولاد وإخوة الدم وحق النفس؟ ٣١٩

أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا؟ لا يستوون ٣٢٣

الجمال الحقيقي هو جمال الأخلاق ٣٢٧

سايكس بيكو العائلة العربية ٣٢٩

فن التوازن العاطفي: كيف تحب من تحب دون أن تفقد نفسك ٣٣٣

طريق العلم في زمننا: دروس من أئمة الأمة ٣٣٥

هل يمكن أن تنشأ زراعة صحية للفواكه والخضروات الأساسية مهما غلا سعرها؟ ٣٣٩

سورة الفاتحة: كلمات للهداية والخشوع في كل ركعة ٣٤٣

من المهارة إلى الاستقلال: كيف تبني عملك الخاص وتتحرر من التبعية للوظيفة ٣٤٧

حين يتحول الذكاء الاصطناعي إلى غباء بشري اختياري ٣٥٣

القرآن الكريم: رسالة الخلود وهداية الحياة الحقة ٣٥٥

إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ٣٥٩

الطاعة... صفة حكمة وإيمان بتنظيم الحياة ٣٦١

الموظف الحكومي: بين الواجب والأمان الوهمي ٣٦٣

يا دكتور... توقّف العلم هنا! ٣٦٥

الميوعة اللغوية: حين يتحول الحديث إلى عربي-إنجليزي مخلّط ٣٦٧

عدسات مختلفة: كيف ينظر الناس إلى بعضهم... وكيف ينظر المتقي إلى الجميع؟ ٣٦٩

الوقت: معجزة الله وكنز الحياة المهدور ٣٧٣

هستيريا الألعاب الإلكترونية: حين تتحول المتعة إلى عبودية نفسية ٣٧٧

الزهو الفارغ وتربية الغرور: حين يختل ميزان القيم في الأبناء ٣٧٩

حين يسقط أهل العلم: الكِبْرُ المستتر خلف العبادة ٣٨٣

مقال تفسيري: معنى قوله تعالى ``فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة'' ٣٨٧

حقيقة الإنسان بين فقر الخِلقة وشرف التقوى ٣٩٣

ولا حتى يوم الطين — مقال في الوفاء الغائب ٣٩٧

أنا لا أكذب... ولكني أتجمل ٤٠١

المعلّم والمتعلّم... شهاب الدين ٤٠٥

أرحنا بها يا بلال... حين كانت الصلاة راحة القلوب لا عبئها ٤٠٩

السخرية... جرحٌ صامت يهدم الأفراد والمجتمعات ٤١٣

ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون — ليومٍ عظيم؟ ٤١٧

السكر... سُمٌّ أبيض بطيء: ماذا فعلوا بأطفالهم؟ ٤٢١

البخل الطارئ... عندما يختبر الله سخاء الإنسان بعد أن اعتاد عليه الناس ٤٢٥

الميزان في سورة الرحمن ٤٢٩

خبث تدخين السجائر ٤٣٥

طعامنا تحت العبث ٤٤١

كيف تصبح كريمًا؟ ٤٤٧

الإخلاص... حين تُفضَح الأعمال يوم تُعرَض النيّات ٤٥١

ما أكثر الذين أخذوا شهادة الدكتوراة عندنا... لكنهم في النائبات قليل ٤٥٥

# مقدمة الكتاب

هذا الكتاب ليس مجرّد تجميعٍ لنصوصٍ متفرّقة، ولا محاولةً لإعادة تقديم ما كُتب، بل هو شهادة مرحلةٍ فكرية، وخلاصة مسارٍ طويل من التأمل والكتابة، اخترت أن أضع له هنا نقطة فاصلة، لا إعلان نهاية، بل تثبيت معنى.

تتجاور في هذه الصفحات مقالات أخلاقية وتربوية ونقدية وإصلاحية وتوعوية، وُلدت في سياقٍ عامٍّ سريع، ونُشرت في فضاءٍ رقميٍّ تحكمه السرعة والاختزال، أكثر مما تحكمه الحاجة إلى الفهم العميق. ومع مرور الوقت، بدا واضحًا أن الفكرة التي تحتاج إلى إنصات، لا يليق بها أن تُلقى في مكانٍ لا يمنحها زمنها الطبيعي.

من هنا جاء هذا الكتاب.

قراري بالتوقف عن الكتابة العربية في منصة لينكدإن لم يكن نفورًا من اللغة، ولا انسحابًا من الشأن العام، بل عودةً بالكلمة إلى موضعها الصحيح. فلكل مساحة خطابها، ولكل فكرة وعاؤها. وقد اخترت أن يبقى ذلك المنبر مكرّسًا لاهتماماته المهنية الصِّرفة، حيث أواصل الكتابة باللغة الإنجليزية في هندسة البرمجيات، ولغة C و ++C، والبرمجة منخفضة المستوى، ولغات الآلة والتجميع، وهو المجال الذي يجمعني فيه قرّاء من مختلف بقاع العالم، ويجد فيه هذا النوع من المعرفة بيئته الطبيعية.

أما الكتابة العربية، فهي عندي فعل مسؤولية لا فعل حضور، وطرح سؤال لا استعراض موقف، ومحاولة تذكير لا ادّعاء سبق. لا تُكتب طلبًا للتفاعل، ولا انتظارًا للتصفيق، بل وفاءً لمعنى أرى أن تجاهله أثقل من ثمن قوله.

أدرك تمام الإدراك أن القارئ العربي لهذا اللون من الكتابة قليل، وربما نادر، لكن ندرة القارئ لم تكن يومًا مبررًا لإسكات الفكرة. فالكلمات الصادقة لا تُقاس بكثرة من يمرّ بها، بل بعمق الأثر الذي تتركه في من يتوقف عندها. وربما كان الاكتفاء بقارئ واحد يفهم، أصدق من ألف يمرّ دون أن يرى.

لهذا اخترت أن تُجمع هذه المقالات في كتاب، وأن تُنشر لاحقًا في مساحات أكثر تخصصًا، وغالبًا في موقعي الخاص، حيث يكون للنص حقه في البقاء، وللفكرة حقها في التأمل، بعيدًا عن إيقاع الاستهلاك السريع.

هذه الصفحات لا تدّعي امتلاك الحقيقة، ولا تزعم أنها مشروع إصلاح، لكنها ترفض الصمت أمام ما يستحق التنبيه، وترفض التكيّف مع ما أراه خللاً لمجرّد أنه أصبح مألوفًا. هي محاولة لقول ما ينبغي قوله، بقدر من الصدق، وبلا مواربة.

وإن كانت هذه الكتابة تمثّل «الحلقة الأخيرة» في هذا المسار، فهي ليست انطفاءً للفكرة، بل انسحابًا واعيًا من ضجيج لم يعد يخدمها، وانتقالاً إلى مساحة أهدأ، أصدق، وأكثر انسجامًا مع ما أؤمن به.

أيمن الحراكي

# هل نربي أبناءنا فعلاً... أم تُربيهم شاشات ``تيك توك'' و``إنستغرام''؟

في خضمّ الثورة الرقمية التي اجتاحت العالم منذ بداية عصر الإنترنت، بدأت ملامح تربية الأبناء تتغير بشكل غير مسبوق. فبينما كان الأهل في الماضي يملكون مساحة أوسع للتوجيه والسيطرة، أصبح من الصعب اليوم مجاراة هذا السيل الجارف من المحتوى الإلكتروني الذي يحيط بأطفالنا من كل جانب.

ورغم أن الفساد الأخلاقي ووسائل التخريب الثقافي لم تكن غائبة حتى قبل الإنترنت، فإن الأسرة كانت تملك أدوات أكثر فاعلية في التحصين، وكان للمجتمع ضوابطه الضمنية، وللتقاليد سطوتها. أما بعد ظهور الهواتف الذكية، فإن تلك القدرة على الرقابة قد تآكلت تدريجيًا، خاصة حين لم يتردد كثير من الآباء في تقديم هواتف متصلة بالإنترنت لأطفال في سن مبكرة، غالبًا تحت ضغط التقليد ومجاراة ``ما يفعله الآخرون''.

والنتيجة؟ جيل ينمو ويُشكّل وعيه اليومي من خلال شاشات صغيرة تبث محتوى سريعًا، سطحيًا، وغالبًا مضللاً. لقد أصبح الأطفال والمراهقون أسرى لمحتوى كوميدي هابط ينتشر كالنار في الهشيم، لأنه ببساطة لا يتطلب جهدًا فكريًا، بل يخاطب الغرائز اللحظية، ويُغذّي ثقافة الضحك السطحي والتهريج.

لسنا هنا بصدد الحديث عن المواد الإباحية أو الانحرافات الخطيرة، رغم خطورتها، بل عن المحتوى الساخر والتافه الذي يبثّه أغلب ما يُعرف اليوم بـ``المؤثرين''، فقط لجذب ملايين المشاهدات خلال أيام، مقابل المحتوى العلمي والتعليمي الرصين الذي بالكاد يحصد بضعة آلاف من المشاهدات بعد سنوات من العمل والإنتاج.

هذا الخلل الواضح في ميزان الاهتمام الرقمي، يدفع الكثيرين ممن يمتلكون قدرات معرفية حقيقية إلى مجاراة الموجة، فنراهم يقدّمون محتوى هابطًا، لا لشيء إلا لأن الأرقام --- وليس القيمة --- هي معيار الشهرة والنجاح في عالم اليوم.

## إذًا، ما الحل؟

هل يمكن أن تكون هناك طريقة لإعادة التوازن بين المحتوى المفيد وذلك الترفيهي المُفرغ من المعنى؟ هل يمكن خلق بيئة رقمية تُحفّز الأطفال والمراهقين على متابعة محتوى يثري عقولهم، دون أن يشعروا أنهم دخلوا ``صفًا دراسيًا'' مملاً؟

إن هذا التحدي ليس سهلاً، لكنه ليس مستحيلاً أيضًا. فبقدر ما ننتقد المحتوى الهابط، نحن بحاجة إلى:

- إنتاج محتوى مفيد وجذّاب بصريًا وعاطفيًا، ينافس بأسلوبه، لا فقط بمضمونه.
- رفع الوعي الرقمي لدى الأسر، وتثقيف الآباء بكيفية توجيه أبنائهم نحو محتوى نافع دون فرض أو قمع.
- ممارسة ضغط مجتمعي على المنصات لدعم المحتوى التربوي والتعليمي عبر خوارزميات أكثر عدلاً.

لقد دخلنا عصرًا جديدًا في التربية، لم تعد فيه الحدود تُرسم داخل البيت، بل في الفضاء الإلكتروني المفتوح. لذا، فإن معركتنا اليوم ليست فقط مع المحتوى، بل مع منظومة كاملة تُكافئ ``المحتوى المُفرغ'' وتُقصي ``المعرفة العميقة''.

وحتى ننجح في هذه المعركة، علينا أن نعيد تعريف ما يعنيه النجاح الرقمي، لا بعدد المتابعين أو المشاهدات، بل بقيمة التأثير، وعمق الأثر في عقول ونفوس أبنائنا.

# القراءة... نور العقل وروح الحياة

أستاء كثيرًا حينما أسمع بعض الناس يقولون: ``أنا لا أحب القراءة''، وكأنهم يتفاخرون بهذا الأمر المخزي، وكأنهم يعلنون افتخارهم بالجهل، غير مدركين أنهم يجهرون بما ينبغي أن يُخفى، فكما جاء في القول المأثور: ``وإذا بُليتم فاستتروا''.

القراءة ليست ترفًا، ولا هواية نخبوية، إنها بوابة العلم، ومفتاح الوعي، وأساس النهضة. هي وسيلتنا لفهم العالم، وفهم أنفسنا، وهي الجسر الذي نعبر عليه من الجهل إلى النور.

قبل يومين، قرأت مقالة ملهمة لأحد المؤثرين في مجال التقنية، جمع فيها خلاصة قراءاته على مدار سنوات، شملت مئات الكتب المفيدة، التي لم تكن كتبًا تجارية خالية من القيمة، بل كانت كتبًا كتبها أصحاب تجارب حقيقية، أو مختارات راقية ونافعة في مجالات متعددة مثل البرمجة، وإدارة الوقت، والتفكير النقدي، والقيادة، والتخطيط الشخصي.

قال هذا الكاتب إنه خلال ست سنوات قرأ ما يقرب من 300 كتاب، أي ما يعادل 50 كتابًا في السنة، أي كتابًا كل أسبوع تقريبًا. وإذا قسنا هذا الإنجاز بمقاييس واقعنا العربي، فإنه يبدو كمًا هائلاً لا يُصدق.

تخيّل لو أجريت استبيانًا عشوائيًا في أحد الشوارع العربية، وسألت كل فئات المجتمع: ``كم كتابًا قرأت هذا العام؟'' ستجد، للأسف، أن الغالبية العظمى لم تقرأ شيئًا يُذكر، وربما لم تفتح كتابًا واحدًا منذ أيام الدراسة، بينما قلة فقط ستجيبك بعدد واضح، وإن قل.

فأوجه كلامي بكل صراحة لأولئك الذين يفتخرون بعدم القراءة: إن لم تستح فاصنع ما شئت.

أما للذين يقرؤون، فأقول: زد من جرعتك اليومية، واجعل القراءة عادة لا استثناء، فهي زادك في الدنيا والآخرة.

القراءة هي النور الذي يضيء حياة الإنسان، لذلك لم يكن من قبيل المصادفة أن تكون أول كلمة نزلت في القرآن الكريم هي: ``اقرأ''.

وفي قوله تعالى: ``قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون'' دلالة قاطعة على فضل العلم وأهله.

## فوائد القراءة

- تنمية العقل وتوسيع المدارك: القراءة تُطوّر التفكير النقدي والتحليلي، وتُوسّع أفق الإنسان تجاه العالم.
- تعزيز اللغة والتعبير: كل صفحة تقرأها تزيد من حصيلتك اللغوية وتجعل تعبيرك أكثر سلاسة وعمقًا.

- تقوية الذاكرة والتركيز: القراءة تمرين عقلي ممتاز، يحفّز التركيز ويقوّي الذاكرة.
- اكتساب المعرفة الذاتية: كثيرًا ما نجد أجوبة لأسئلتنا الكبرى داخل صفحات الكتب.
- تقليل التوتر: القراءة الهادئة تقلل من التوتر وتحسّن المزاج.
- التحفيز الذاتي والإلهام: كتب السيرة الذاتية وقصص النجاح تمنحك دفعة معنوية هائلة.

## كيف تجعل القراءة عادة يومية؟

- ابدأ بما تحب: لا تبدأ بكتب ثقيلة أو أكاديمية، ابدأ برواية، أو سيرة، أو كتاب خفيف في مجال تحبه.
- خصص وقتًا ثابتًا للقراءة: مثلاً قبل النوم، أو في الصباح الباكر، أو أثناء التنقل.
- احمل كتابًا معك دائمًا: أو استخدم تطبيقات الهاتف لقراءة الكتب الإلكترونية أو الاستماع إلى الكتب الصوتية.
- ضع هدفًا شهريًا بسيطًا: مثل قراءة كتاب واحد شهريًا، ثم زد تدريجيًا.
- كوّن مجموعة قراءة أو شارك أصدقاءك الاهتمام: الحوار حول ما تقرأه يعمّق الفهم ويحفّز على الاستمرار.

## متى يكون أفضل وقت للقراءة؟

- صباحًا الباكر: عندما يكون الذهن صافيًا.
- في العطلات: اجعل القراءة وسيلة راحة، لا مجرد واجب.

## الوسائل الحديثة للقراءة

- الكتب الإلكترونية (PDF, ePub): يمكن تحميلها على الهاتف أو القارئ الإلكتروني.
- الكتب الصوتية (Audiobooks): مفيدة أثناء القيادة أو التمارين.
- ملخصات الكتب: لمن لا يملك الوقت الكافي، توجد تطبيقات تلخّص أهم الأفكار.
- المقالات والمجلات العلمية: مصادر قصيرة لكنها عميقة.

# المبالغة في الشعر العربي: حين تفوّق الخيال على الحقيقة، وتهذيب الإسلام للفخر

في موروثنا الشعري العربي، ولا سيما في العصر الجاهلي وما تلاه، نجد أنفسنا أمام تراثٍ غنيّ بالبلاغة، والخيال، والعزّة، والكبرياء، بل وربما الأنفة التي تناطح السماء. وفي خضم هذا الغليان العاطفي والقبلي، نشأت ظاهرة لا يمكن التغاضي عنها: المبالغة الشعرية التي تتجاوز حد البلاغة أحيانًا لتقتحم عالم اللامعقول واللاواقعي.

## بين الفخر والادعاء

لم يكن الشعر الجاهلي ليرتقي إلى ما وصل إليه من تأثير وقوة، لولا الحس التنافسي بين القبائل، حيث أصبحت القصيدة سلاحًا إعلاميًا، وقضية شرف وطنية، ومصدرًا للفخر الجمعي.

ومن أعظم نماذج هذا الشعر: معلّقة عمرو بن كلثوم، التي طالما وُصفت بأنها أفخر قصيدة عربية، وعُدّت في التراث عنوانًا على عزة النفس العربية.

لكن حين نقرأها بعين العقل، والذوق، وميزان الإسلام، نجد أنفسنا أمام أبيات تتجاوز الحقيقة والبلاغة، إلى منطقة يغيب فيها المنطق والصدق، وربما تقترب أحيانًا من خيالات الطفولة غير المنضبطة.

## من أكذب أبيات الشعر العربي

دعونا نتأمل بعض الأبيات التي بلغت فيها المبالغة حدًّا يحرج حتى الأطفال حين يفخرون بينهم:

1. ``ملأنا الأرضَ حتى فاضَ عنّا
   وماءُ البحرِ نملؤهُ سفينا''

   كيف يمكن لقوم أن يملؤوا الأرض؟ بل ويملؤون ماء البحر بالسفن؟

   لو قيل هذا في قصص الأطفال، لقيل: هذا لعب صغار! بل طفل يقول لصاحبه: أنا بحجم الجبل، فيرد الآخر: أنا بحجم البحر.

فهل هذا فخر، أم استعراض ساذج؟

٢. ``إذا بلغَ الرضيعُ مِنّا الفطامَ
تخرُّ لهُ الجبابرُ ساجدينا''

وهنا تتجلّى قمة المبالغة التي تخرج عن أي إطار من المعقول. كيف لطفلٍ رضيع لم يشب بعد أن تُسجد له الجبابرة؟

أي كبرياء هذا الذي تُسحق فيه الحقيقة باسم العزّة؟

## الرؤية الإسلامية: تهذيب الفخر وضبط اللسان

جاء الإسلام في بيئة تعتز بالشعر وتقدّسه، لكنه لم يُلغِ هذا الفن، بل هذّبه وجعل له ميزانًا من الصدق والأخلاق.

يقول الله تعالى في آخر سورة الشعراء:

``وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ''

وهذه الآيات تكشف بوضوح أن الشعر حين ينفلت من الصدق والواقع، يفقد قيمته، ويصبح عبثًا لغويًا.

الفخر في الإسلام مشروعٌ ومطلوبٌ إذا كان حقًا، لكن النبي قال:

``أنا سيد ولد آدم ولا فخر''

أي أن حتى أعظم الخلق تواضع في فخره، مع أنه أحق الناس به.

وورد عنه أنه قال:

``إن من البيان لسحرًا، وإن من الشعر لحِكمًا''

فجعل الشعر الذي يحمل الحكمة والصدق فنًا نبيلاً، أما ما يخالفه فليس سوى لهوٍ لا يُؤخذ به.

## بين الطرب والوعي

رغم كل ذلك، لا يمكن إنكار أن قصيدة عمرو بن كلثوم تسحر السامع، وتطرب القارئ، وتُشعل في النفس شعلة العزة العربية.

وأنا، ككاتب هذا المقال، لطالما رددت أبياتها بتأثّر دون وعي، لما فيها من موسيقى لفظية وجرس فخري يهزّ الوجدان.

لكن، ومع نضج العقل، والنظر في ميزان الدين، والأخلاق، والعقل، وجب أن نضع كل شيء في موضعه الصحيح.

فهذه القصيدة، رغم عظمتها الفنية، تحمل مبالغات لو سمعها غير العرب، لضحكوا على ما فيها من تجاوزات.

الشعر العربي كنزٌ لا يُقدّر بثمن، لكنه ليس معصومًا. علينا أن نُحبّه بعقل، ونُعجب به بذوق، ونُحلّله بصدق.

فليكن فخرنا نابعًا من الحق لا الادعاء، ومن الصدق لا التهويل، ومن القيم لا الغرور.

وقد صدق الإمام علي رضي الله عنه حين قال:

``قيمة كل امرئ ما يُحسن''

لا ما يدّعي، ولا ما يُغالي فيه.

# هل يجب أن تكون كل المشاريع مربحة كي تكون ناجحة؟ تجربتي خلال 30 عامًا من التفكير العلمي

منذ أكثر من ثلاثين عامًا، وأنا أعيش في صراع فكري داخلي بين العلم والربح. كلما خطرت ببالي فكرة مشروع، كانت تنبع من شغف معرفي، أو هدف تقني، أو رغبة في حل مشكلة تكنولوجية، دون أن تكون الربحية هي البوصلة أو المحرّك.

وعلى الرغم من أن الربح عنصر مهم لا يُنكر لنجاح أي مشروع، إلا أنه كان دومًا يغيب عن حساباتي الواقعية.

## العلم أولاً... والنتيجة؟

معظم المشاريع التي خططت لها أو بدأت بها خلال العقود الثلاثة الماضية كانت تضع الجانب العلمي في المقام الأول. كنت أبحث عن التحدي، والابتكار، والتفرد، وبناء شيء لم يصنعه أحد.

لكن ماذا كانت النتيجة؟

الفشل في الاستمرارية، والتمويل، والتوسع.

والسبب لم يكن ضعف الفكرة أو قلة الإبداع، بل ببساطة: غياب الجدوى الاقتصادية، وعدم وجود خطة واضحة للربح.

## المشاريع على الطاولة اليوم

لا تزال على طاولتي اليوم مجموعة من المشاريع العلمية، من بينها مشروع ForgeVM.org الذي أعمل عليه بكل شغفي، وأقوده مع مجموعة من الموظفين الجدد، واضعًا فيه عصارة خبرتي ورؤيتي التقنية.

مشروع يبدو مستحيلاً للبعض، وربما أقرب إلى الخيال... لكنني أؤمن به، وأمضي فيه وحدي إن لزم الأمر.

## التحدي الحقيقي: رأس المال

جميع هذه المشاريع تتطلب رأس مال حقيقي لتعمل، وتنتقل من الفكرة إلى النموذج، ثم إلى السوق.

ورأس المال هذا لا يتوفر بسهولة، لا سيما حين لا تملك خطة واضحة للربح.

وهنا وجدت أن اللجوء إلى مسرّعات الأعمال في المملكة العربية السعودية قد يكون الخيار الأذكى في هذه المرحلة.

## لماذا المسرّعات؟

لأنها لا تقدّم المال فقط، بل تقدّم أيضًا:

- مساعدة في التخطيط التجاري.
- إعادة هيكلة الفكرة من منظور السوق.
- ربطك بالمستثمرين، وإخراجك من دائرة الحالمين إلى دائرة المنفذين.

## خلاصة تجربتي

ربما ليس من الضروري أن يكون كل مشروع مربحًا منذ البداية، لكن:

- لا يمكن أن يُكتب لأي مشروع الاستمرار ما لم يكن له نموذج ربحي واضح.
- لا يكفي أن تكون الفكرة عظيمة علميًا، بل يجب أن تُترجم إلى واقع اقتصادي.

## ماذا أفعل الآن؟

لن أتخلى عن شغفي العلمي.

لكنني سأوازن ذلك برؤية تجارية ناضجة، حتى لا أكرّر أخطاء الماضي.

وسأبدأ من جديد... بمزيج من الإيمان بالفكرة، والواقعية في التنفيذ.

# الحقد... طاقة مُهدَرة وسمٌّ قاتل للعمل والمبدعين

منذ أكثر من اثنين وأربعين عامًا، وفي مقعدٍ دراسيٍّ في مرحلة الثانوية، حفظت بيتًا من الشعر لم يفارقني يومًا، لما فيه من عظمة المعنى، وجمال التعبير، وصدق التجلي في حياتنا:

``لله دَرُّ الحَسَدِ ما أعدلهُ ------- بدأ بصاحبهِ فقتلَهُ''

هذا البيت البسيط العميق يلخّص مأساة الحاقدين والحاسدين الذين لا يعملون، ولا يسعون، لكنهم يوجّهون طاقاتهم نحو غيرهم، نقدًا وتجريحًا، في محاولةٍ لا شعورية لتخفيف شعورهم بالعجز أو التحقير الذاتي.

المشكلة لا تكمن فقط في الحقد، بل في توجيهه نحو من يعملون، من يبذلون جهدهم، يُصيبون ويُخطئون، يجتهدون، يسقطون، ثم يقومون.

فالذي يعمل كثيرًا سيُخطئ كثيرًا، وهذه سُنّة الحياة. ولا يُعاب العامل على خطئه، بل يُوجَّه، ويُقوَّم، ويُسانَد. أما من يتصيّد الأخطاء ليهدم أصحابها من الجذور، فهو لا ينقد بإنصاف، بل ينسف، ولا يُقوّم، بل يهدم.

كم من مشروع توقّف، وكم من شخصٍ مبدع تراجع، وكم من فكرةٍ قُتلت في مهدها، ليس لعيبٍ جوهريٍّ فيها، بل لأن من أطلقها تعرّض لسيلٍ من النقد الهدّام، والتجريح، والسخرية، من أناس لا يعملون، بل يجلسون على الأرصفة يوزّعون الاتهامات مجانًا.

رأيت لقطةً كوميدية عميقة المضمون للفنان الكبير محمد صبحي، قال فيها ساخرًا من واقعٍ مؤلم:

``تشتغل كتير تغلط كتير، تتعاقب كتير.
تشتغل قليل تغلط قليل، تتعاقب قليل.
ما تشتغلش خالص، ما تغلطش خالص، تترقّى!''

هذه السخرية اللاذعة تفضح بؤس بيئة لا تحتفي بالعمل، بل تضع من لا يعمل في مأمنٍ من النقد والعقاب، بينما العامل والمجتهد يُحاسب على كل هفوة وكأنها خطيئة لا تُغتفر.

ليس المطلوب أن نمنع النقد، فالنقد البنّاء ضرورة، لكنه يجب أن يكون بمقدار الخطأ، لا أن يكون سيفًا يشهره الحاقدون أمام كل مبادرة وكل اجتهاد.

إذا أردنا أن نتقدّم، فلا بد أن نُعلي من قيمة العمل، وأن نُربّي أنفسنا ومجتمعاتنا على ثقافة التقدير، والمساندة، والنقد العادل، لا أن نكون بيئةً طاردة لكل من يمدّ يده ليصنع شيئًا مختلفًا.

الحقد لا يقتل إلا صاحبه، والنقد الجارح لا يُبقي في القلب إلا الرماد.

فلنمدّ أيدينا بالعون، لا بالتحطيم، ولنتذكّر دومًا:

``من لا يُخطئ، هو فقط من لا يعمل.''

# كيف نحمي صحة الأطفال بتغذية خالية من السكريات والمواد الحافظة

أصبحت التغذية الحديثة واحدة من أخطر التحديات التي تواجه صحة الأطفال، خصوصًا مع الانتشار الواسع للأطعمة الصناعية المليئة بالسكريات والمواد الحافظة. ولأن صحة الطفل هي الأساس الذي يُبنى عليه مستقبله الجسدي والعقلي والنفسي، فإن العودة إلى الغذاء الطبيعي لم تعد خيارًا ثانويًا، بل ضرورة تربوية وصحية.

## الفوائد الصحية المتوقعة

- تعزيز جهاز المناعة: السكر يضعف من أداء كريات الدم البيضاء، وهي المسؤولة عن مقاومة الأمراض. تجنّب السكريات يساعد في الحفاظ على جهاز مناعي قوي قادر على التصدّي للفيروسات والبكتيريا.

- توازن ميكروبيوم الأمعاء: الأطعمة الصناعية تُدمّر البكتيريا النافعة في الأمعاء، بينما النظام الغذائي الصحي يدعم نموّها. الميكروبيوم الصحي يرتبط بتحسين المناعة، والمزاج، والتركيز العقلي.

- الحماية من السمنة وأمراض العصر: السكر والدهون الصناعية مواد عالية السعرات ومنخفضة القيمة الغذائية. تقليلها يقي الطفل من السمنة، والسكري من النوع الثاني، ومشاكل القلب لاحقًا.

- تحسين السلوك والانتباه: ربطت دراسات كثيرة بين تناول السكر والمواد الحافظة بفرط النشاط، وتشتّت الانتباه، ونوبات الغضب. تقليل هذه المواد يؤدي إلى سلوك أكثر هدوءًا وقدرة أفضل على التركيز.

- تنمية ذوق طبيعي وصحي: تعويد الطفل على النكهات الطبيعية من الخضار والفواكه يُطوّر لديه حاسّة تذوّق متوازنة، ويُقلّل من التعلّق بالمذاق السكّري القوي.

- الوقاية من مشاكل الجهاز الهضمي: المواد الصناعية تُهيّج بطانة المعدة والأمعاء، وتزيد احتمالية الإصابة بالإمساك أو متلازمة القولون العصبي.

## الجانب العملي: كيف يمكن ذلك؟

- تقديم الفواكه كبديل للحلويات.
- تجنّب المنتجات المغلّفة، واستبدالها بأطعمة طازجة أو منزلية التحضير.
- غرس مفهوم أن الطعام وسيلة تغذية ونمو، وليس فقط للتسلية أو المكافأة.
- تعليم الطفل قراءة المكوّنات مع الوقت، حتى يتعلّم التمييز بين الجيد والضار.

## جدول غذائي يومي صحي للأطفال

### وجبة الإفطار (7:00 -- 8:00 صباحًا)

- كوب حليب كامل الدسم أو نباتي طبيعي بدون إضافات.
- شوفان مطبوخ مع موز أو تفاح، وقليل من القرفة.
- بيضة مسلوقة أو أومليت بالخضار بزيت الزيتون.

### وجبة خفيفة (10:00 صباحًا)

- تفاحة، أو موزة، أو كمثرى.
- كمية صغيرة من المكسرات غير المملّحة (حسب العمر، والتأكد من عدم وجود حساسية).

### وجبة الغداء (1:00 ظهرًا)

- أرز بني، أو برغل، أو معكرونة من القمح الكامل.
- مصدر بروتين: دجاج طبيعي مشوي، أو لحم، أو سمك، أو عدس وفول مهروس.
- خضار مطهية أو نيئة (جزر، كوسا، بروكلي، خيار).
- ملعقة صغيرة من زيت الزيتون على الطعام.

### وجبة خفيفة (4:00 عصرًا)

- زبادي طبيعي غير محلّى مع ملعقة صغيرة من العسل الطبيعي (للأطفال فوق سن سنتين).
- بعض الفواكه المجففة بدون إضافات كيميائية.

### وجبة العشاء (6:30 -- 7:30 مساءً)

- شوربة خضار منزلية تحتوي على مكوّنات مثل الجزر، والبطاطا، والكوسا، والبصل.
- قطعة خبز من القمح الكامل أو بطاطا مشوية.
- كوب لبن أو زبادي طبيعي.

## توصيات عامة

- شرب الماء بانتظام على مدار اليوم.
- تجنّب العصائر الجاهزة حتى وإن كانت تُسوّق على أنها طبيعية.
- عدم استخدام الحلويات كمكافأة، واستبدالها بنشاط ترفيهي أو قصة مفيدة.
- الطهي في المنزل بمواد طبيعية هو الأساس في هذه الخطة.

# الجيل الجديد والشعر المنسي: هل نفقد روح اللغة العربية؟

عندما جاءتني فكرة هذا المقال، ذهبت إلى أبنائي الثلاثة، وسألت ابنتي الكبرى، التي تدرس الدكتوراه في علوم الحاسب: هل تحفظين أي بيتٍ من الشعر؟ حاولت أن تتذكّر أي بيت، فلم تستطع.

ثم ذهبت إلى الابن الأصغر وسألته السؤال نفسه، فذكر لي بيتًا كان يحفظه عندما كان يسجّل إلقاء شعر بصوته. فقلت له: غيره، فلم يستطع أيضًا.

وكذلك ابني الكبير، نظر إليّ مندهشًا وقال: هل أنا شاعر؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟!!!!!!!!!!!! وأظنّ أن الكثير، الكثير من هذا الجيل على هذه الحال.

لطالما كان الشعر ديوان العرب، ومرآة لسانهم، ومخزن حكمتهم وعاطفتهم ووعيهم الجمعي. بيت الشعر الواحد كان يُردَّد في المجالس، ويُستشهد به في الحديث، وتُبنى عليه مواقف ومفاهيم.

بل إن كثيرًا من الناس، حتى في القرن العشرين، كانوا يحفظون العشرات من أبيات المتنبي، وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وغيرهم، دون أن يكونوا شعراء أو أدباء.

أما اليوم، فثمة جيل جديد كامل نشأ دون أن يحفظ بيتًا واحدًا من الشعر. جيل لم يعش علاقة وجدانية مع الشعر، ولم يعرف لذّة ترديده، ولا وقع صوره على النفس والخيال.

وهذا ليس مجرد تغيّر عابر في الذوق، بل تحوّل يحمل في طيّاته آثارًا عميقة على اللغة، والهوية، وطريقة التفكير ذاتها.

## الشعر… هوية لغوية لا تُختصر بالكلمات

الشعر العربي لم يكن يومًا رفاهية ثقافية أو ترفًا بلاغيًا، بل كان وعاءً للغة نفسها.

فالشعر هو الذي حفظ الألفاظ، وصاغ الصور، وغذّى الذائقة، وربط اللغة بالوجدان. ومن خلاله تعلّم الناس البيان، وفهموا المجاز، وتذوّقوا الجمال، بل وتعلّموا الأخلاق والمعاني الكبرى للحياة.

كان الطفل يرضع من بيئة لغته بيتًا بعد بيت، ويحفظ دون أن يشعر، وتتشكل ذائقته اللغوية دون تلقين. أما الآن،

فقد صار الحفظ ``عبئًا دراسيًا''، وأصبح الشعر مجرد مادة تُدرَّس للاختبار، ثم تُنسى.

## ثقافة الشاشة السريعة... والذاكرة المستهلكة

لا يمكننا فصل هذا التغيّر عن الزمن الرقمي الذي نعيشه. فالثقافة السائدة اليوم تُفضّل المعلومة السريعة، واللقطة الخاطفة، والعبارة المختصرة.

لم تعد هناك مساحة زمنية للتأمّل في بيتٍ شعري، ولا دافع لتذوّقه ببطء. نحن نستهلك المحتوى ثم نمرّ، دون أن يتسرّب إلى ذاكرتنا أو يعشّش في وجداننا.

المنصّات الاجتماعية، رغم غناها بالمحتوى العربي، إلا أنها نادرًا ما تحتفي بالشعر الكلاسيكي أو تُحفّز على حفظه.

وكثير من المعلّمين في المدارس، للأسف، يقدّمون الشعر كأنه نصّ جامد لا روح فيه، فيفقد بريقه، ويتحوّل إلى مادة ثقيلة.

## حين يضعف الحفظ... تبهت اللغة

غياب الحفظ الشعري لا يعني فقط ضياع بعض الأبيات الجميلة، بل يؤدّي إلى تراجع الذوق اللغوي العام، وضحالة المفردات، وتسطّح التعبير.

فالشعر يعلّمنا كيف نختار كلماتنا بعناية، وكيف ننسج المعاني، وكيف نربط اللغة بالعاطفة.

كما أن الشعر يربط الأجيال ببعضها. بيت واحد قد يجمع الجدّ والحفيد في ذاكرة لغوية مشتركة. وحين تغيب هذه الذاكرة، يبهت الحبل الرابط بيننا وبين تراثنا، ونصبح أبناء لغة لا نعرف جمالها.

## هل من سبيل للعودة؟

نعم، يمكن إعادة الحياة إلى الشعر في وجدان الجيل الجديد، لا عبر الفروض المدرسية فقط، بل من خلال أدوات العصر نفسه:

- قنوات تواصل اجتماعي تقدّم الشعر بأسلوب عصري وجذّاب.
- أنشطة طلابية ومسابقات لحفظ الشعر وفهمه، لا لتقييم الحفظ فقط.
- منصّات تعليمية تعيد تقديم الشعر كمتعة لغوية، لا كواجب أكاديمي.

# حِكم أثّرت في حياتي... وإنْ متأخرًا

قدِمتُ إلى المملكة العربية السعودية وأنا في الحادية عشرة من عمري، برفقة أسرتي، بعد أن تعاقد والدي للتدريس في إحدى الجامعات. كنتُ حينها قد أنهيت الصف الخامس الابتدائي في سوريا، وأكملت الصف السادس في مدرسة عمرو بن الجموح الابتدائية بالمدينة المنورة.

وفي إحدى الحفلات المدرسية، كلّفني أستاذ اللغة العربية بإلقاء أبيات شعر أمام مدير التعليم آنذاك، الأستاذ عبدالعزيز الربيع --- رحمه الله --- وكان ذلك عام 1400هـ. شاركني الإلقاء زميل من مدرسة أخرى، وألقيتُ حينها هذه الأبيات للشاعر إبراهيم طوقان:

كفْكِفْ دموعَكَ ليس ينفَعُكَ البكاءُ ولا العويلُ
وانهضْ ولا تشكُ الزمانَ فما شكا إلاَّ الكسولُ
واسلكْ بهمَّتِكَ السبيلَ ولا تقلْ كيف السبيلُ
ما ضلَّ ذو أملٍ سعى يومًا وحكمتهُ الدليلُ
كلاَّ ولا خاب امرؤٌ يومًا ومقصدُهُ نبيلُ

ثم ردّ عليّ صديقي بهذه الأبيات البليغة المنسوبة للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

صُنِ النفسَ واحملْها على ما يزيِّنُها
تعِشْ سالمًا والقولُ فيك جميلُ
ولا تُرِيَنَّ الناسَ إلا تجمُّلاً
نبا بك دهرٌ أو جفاك خليلُ
وإن ضاق رزقُ اليوم فاصبرْ إلى غدٍ
عسى نكباتُ الدهرِ عنك تزولُ
يعزُّ غنيُّ النفس إن قلَّ مالُه
ويغنى غنيُّ المال وهو ذليلُ
ولا خيرَ في وِدِّ امرئٍ متلوِّنٍ
إذا الريحُ مالتْ مالَ حيث تميلُ
جوادٌ إذا استغنيتَ عن أخذِ مالِه

وعند احتمالِ الفقر عنك بخيلُ
فما أكثرَ الإخوانَ حين تعدُّهم
ولكنهم في النائبات قليلُ

مرّ على تلك اللحظة أكثر من ستةٍ وأربعين عامًا، ولا تزال هذه الأبيات محفورة في ذاكرتي.  ولا أنسى صديقي الدكتور طارق عويضة، الإنسان النبيل الخلوق، الذي قلّ أن أجد له مثيلاً في أيامنا هذه.

تفرّقنا لاحقًا في المرحلة الثانوية، إذ انتقل كلٌّ منا إلى مدرسة مختلفة.  أكمل هو دراسته في كلية الطب بجامعة الملك سعود، بينما التحقتُ أنا بكلية الزراعة والطب البيطري في القصيم.

لم أره بعد ذلك إلا بعد حوالي عشر سنوات، حيث زارني عدة مرات، وكانت هذه الأبيات دومًا أول ما نتذكّره في كل لقاء، ومعها تلك اللحظات الجميلة التي لا تُنسى من أيام الطفولة.

## تجربة الحياة... وفهم متأخر

العبرة من هذه القصة أن المرء أحيانًا يحفظ في صغره أبياتًا تحمل في طيّاتها من الحكمة ما لا يدركه إلا بعد تجارب طويلة.  وأنا أتكلم هنا عن نفسي تحديدًا.

فقد مررتُ بمرحلة كسل غير عادية، استنزفتني نفسيًا وجسديًا لما يقارب ستًا وثلاثين عامًا.  ثم بدأت حالتي تتحسّن، وعدت تدريجيًا إلى ما كنت عليه في طفولتي من نشاط وحيوية، والحمد لله الشافي المعافي، الذي له الأمر من قبل ومن بعد، وهو الحافظ من كل شر.

أتذكّر قصةً قد تبدو غريبة نوعًا ما؛ إذ كنتُ في أحد الأيام أقوم بأعمال المنزل وكوي ملابسي بنشاط، حتى رأتني إحدى الجارات، وبدأت تعيّر أبناءها وتحثّهم على الاقتداء بي.

ومنذ تلك اللحظة تقريبًا، بدأت مرحلة الكسل الطويلة.  ظلّ هذا الحال حتى عام 2016 تقريبًا، حين شعرتُ أن نشاطي بدأ يعود كما كنت صغيرًا.

وسمعتُ لاحقًا أن تلك الجارة قد توفيت --- رحمها الله --- فربما كان هناك شيء من الحسد، أو ربما هو مجرد تصوّر خاطئ، والله أعلم.

وقد علّمنا رسول الله ﷺ أن نقول عند الإعجاب بشيء:

ما شاء الله، تبارك الله
اللهم بارك له
بارك الله فيه

وقال ﷺ:

إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله أو أخيه ما يعجبه فليدعُ له بالبركة، فإن العين حق.

--- رواه ابن ماجه وأحمد، وصححه الألباني.

فلو قالت --- رحمها الله --- ``ما شاء الله، تبارك الله''، ربما لم أخسر كل تلك السنوات التي غلبني فيها الكسل... والله أعلم.

## الدرس الصحي... فيتامين ``د'' والحالة النفسية

الأمر الآخر الذي اكتشفته مؤخرًا هو أنني كنت أعاني من نقص حاد في فيتامين D، إذ كانت نسبتي أقل من 12، في حين أن المعدل الطبيعي يتراوح بين 30 و100.

طوال حياتي لم أكن قد حلّلت هذا الفيتامين، وكنت أعاني من أعراض متعددة: القلق، الخوف، التوتر، والعصبية الزائدة، مما سبّب لي مشكلات كثيرة في حياتي.

بعد مراجعة الطبيب، وصف لي علاجًا أسبوعيًا بجرعة 50,000 وحدة من فيتامين D، بالإضافة إلى Prozac 20 mg يوميًا.

ومنذ الأسبوع الأول، بدأت ألاحظ تحسّنًا كبيرًا في حالتي، وتدرّج هذا التحسّن مع الوقت. واليوم، لا أشعر بالعصبية والتوتر إلا نادرًا.

في البلاد الحارّة، حيث يتجنّب الناس التعرّض لأشعة الشمس بسبب شدّة الحرارة، يبدو أن معظم السكان يعانون --- دون علم --- من نقص هذا الفيتامين الضروري، الذي يؤثر على الكثير من العمليات الحيوية في الجسم، وقد يكون سببًا في أعراض مشابهة لحالتي، أو يؤثر على العظام، والمناعة، والمزاج بطرق أخرى.

وهنا أنبّه إلى أمرٍ هام: أن التأمين الصحي غالبًا لا يشمل تحليل فيتامين D، وهو أمر غريب، إذ قد يكون نقصه سببًا لكثير من الأمراض والاضطرابات، ويؤدي تجاهله إلى صرف أدوية لتشخيصات أخرى قد لا تكون صحيحة، وبذلك تخسر شركات التأمين أضعاف ما تحاول توفيره.

## عودة إلى الحكمة...

كلما كبرتُ، ازددتُ فهمًا وامتنانًا لتلك الأبيات التي ألقيتها يومًا، وأبيات الإمام علي رضي الله عنه التي كان يلقيها صديقي طارق بصوته الرخيم.

كم تمنّيتُ أن أطبّق معانيها في حياتي العملية دائمًا، خصوصًا بعد تجاوز سنّ الخمسين.

أحاول الآن أن أكون منبّهًا لهذه الحِكم والمعاني الجميلة، وأذكّر بها كل من أناقشه أو ألتقيه. فلا شيء أجمل من حسن الخلق، وجمال القول، وصدق النية.

وأختم مقالتي بهذه الآية العظيمة من سورة الإسراء:

وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا

(الإسراء: 53)

ثم أدعو بدعاء أهل الإيمان:

رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ

(آل عمران: 8)

# نحو اقتصاد رقمي مستقل: خطة وطنية لبناء صناعة برمجيات رائدة

في ظل التحولات المتسارعة التي يشهدها العالم، أصبحت البرمجيات أحد أهم محركات الاقتصاد الحديث، وركيزة أساسية للأمن السيبراني والسيادة الرقمية. إن بناء صناعة برمجيات وطنية قوية لم يعد خياراً، بل ضرورة استراتيجية تفرضها التحديات والمتغيرات العالمية.

ومن هذا المنطلق، تبرز الحاجة إلى خطة وطنية شاملة تهدف إلى تطوير قطاع البرمجيات ليصبح أحد الروافد الاقتصادية المستدامة للدولة.

## الاستثمار في العقول والطاقات المحلية

تزخر الدولة بكفاءات شبابية وعقول متميزة في مجالات البرمجة والتقنية، إلا أن هذه الطاقات تحتاج إلى التوجيه الصحيح والبيئة المحفّزة التي تسمح لها بالابتكار والمساهمة في مشاريع تقنية استراتيجية.

ويتحقق ذلك من خلال:

- تبنّي برامج وطنية لرعاية المواهب التقنية منذ مراحل التعليم المبكرة.
- إنشاء أكاديميات ومعاهد متخصصة في البرمجيات الحديثة، بالشراكة مع الجامعات العالمية.
- دعم المبادرات التقنية الوطنية وتمويل المشاريع الريادية في البرمجيات المتقدمة.
- توجيه الجهود نحو المشاريع الحقيقية المستقلة التي تحقق الاستقرار والمنفعة العامة، بدلاً من الانسياق وراء الربح السريع وتريندات السوق.

## تحقيق السيادة الرقمية وإنهاء التبعية البرمجية

تعتمد العديد من الجهات الحكومية والخاصة حاليًا على برمجيات أجنبية مستوردة، ما يضع الدولة أمام تحديات أمنية واقتصادية تتعلق بالتبعية التقنية، وارتفاع تكاليف تراخيص البرمجيات، ومحدودية التخصيص والتكامل مع البيئة المحلية.

ولهذا، تبرز الحاجة إلى:

- تطوير برمجيات وطنية تغطي كافة احتياجات الدولة.
- ضمان الأمن السيبراني عبر تقنيات محلية خالصة.
- الاستغناء التدريجي عن البرمجيات الأجنبية التي تستهلك جزءًا كبيرًا من الميزانية العامة.

## مشروع نظام تشغيل وطني

من المشاريع الجوهرية التي يمكن أن تمثل نقطة انطلاق لصناعة البرمجيات الوطنية، إنشاء نظام تشغيل محلي مبني على نواة مفتوحة المصدر مثل نواة Linux، يتم تطويره وتخصيصه بالكامل ليتوافق مع متطلبات الدولة من حيث:

- الترجمة الكاملة للغة الرسمية للبلاد.
- ملاءمة النظام لاحتياجات الجهات الحكومية والخاصة.
- إنشاء مركز وطني لإدارة النظام، وتحديثه، وصيانته باستقلالية تامة.
- تدريب كوادر وطنية على إدارته ودعمه الفني بشكل دائم.

## دعم التخصصات البرمجية المتقدمة

تتطلب المرحلة القادمة توجيه الشباب نحو البرمجيات المتقدمة، التي تمثل البنية الأساسية لمجالات مثل: الذكاء الاصطناعي، الأمن السيبراني، المحاكاة، والنظم المدمجة.

ومن بين المجالات التي تستحق اهتمامًا خاصًا:

- البرمجة على مستوى نظم التشغيل والمعالجات.
- تطوير برمجيات الذكاء الاصطناعي والتعلّم الآلي.
- الاستفادة من قدرات معالجات الرسوميات الحديثة (GPU Programming).

- تصميم المحاكيات في المجالات الدفاعية، والصناعية، والطبية.
- برمجة الذكاء الصناعي، وبرمجة الأجهزة الكمومية (Quantum Computing)، والمسارعة إلى تبنّي التعليم لهذه التقنية الحديثة والمتسارعة في مراحل مبكرة.
- توزيع المهارات والقدرات البرمجية في البلاد بشكل متوازن، وإدراج كافة التخصصات التي تظهر دوريًا على المستوى العالمي، بما يتواكب مع تسارع تطور الأفكار والتقنيات.

## الاستفادة من الخبرات العالمية

رغم التركيز على الكفاءات المحلية، فإن الاستعانة بالخبرات العالمية أمر ضروري لتسريع النهضة التقنية، ويمكن تحقيق ذلك عبر:

- التعاون مع مراكز بحوث دولية مرموقة.
- تنظيم برامج تدريب متقدمة بالتعاون مع شركات عالمية.
- استضافة مؤتمرات ومعارض تقنية لرفع مستوى المطورين محليًا.

## بناء سوق برمجيات تنافسي

إن النجاح في بناء صناعة برمجيات محلية عالية الجودة سيؤدي إلى تحفيز بيئة استثمارية تقنية جاذبة، ويحقق للدولة مكاسب اقتصادية مباشرة وغير مباشرة، مثل:

- خلق فرص عمل نوعية في القطاعات التقنية.
- دعم الصادرات البرمجية إلى الأسواق الإقليمية والعالمية.
- تأسيس شركات برمجيات وطنية قادرة على المنافسة عالميًا.

## الخاتمة

إن تقوية صناعة البرمجيات الوطنية تمثل خطوة استراتيجية نحو تحقيق الاكتفاء الرقمي، وتعزيز الأمن السيبراني، وترشيد موارد الدولة.

ولتحقيق هذه الغاية، يجب أن تتكامل جهود الدولة مع القطاع الخاص، والمؤسسات الأكاديمية، وروّاد التقنية، لتشكيل منظومة وطنية متكاملة تصنع البرمجيات، وتتحكم بها، وتوجّهها لخدمة أهداف التنمية، والأمن، والاستقلال الاقتصادي.

# ``نَفْسِي تَأْبَى''

عملتُ ذات زمن مع أستاذٍ جامعيٍّ متقاعد، قد نذر عمره للعلم والتعليم، وكان لي شرف معاونته في بعض مهام البرمجة وتنسيق الكتب والأبحاث.

وخلال فترة عملي معه، لاحظت أنه كان، بين الحين والآخر، يرفع شكاوى إلى بعض الجامعات ضد طلبة دراسات عليا --- من الماجستير والدكتوراه --- لقيامهم باقتباس فصولٍ كاملة من مؤلفاته وإدراجها في رسائلهم وكتبهم دون إذن أو إشارةٍ إليه.

ولا أعلم، حتى اليوم، ماذا آل إليه مصير تلك الشكاوى.

وذات يوم، لم أستطع كتمان تساؤلي، فسألته بلطف: ``يا دكتور، أليس ما تكتبه من علم، حين يُنقل وينتشر، يُعد من العلم النافع الذي أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي يستمر نفعه للعبد حتى بعد موته؟''

فأجاب: ``بلى، هو كذلك.''

فقلت: ``إذن، إن أخذ أحدهم من كتبك جزءًا --- صغيرًا كان أو كبيرًا --- وأدرجه في كتابه أو بحثه، فربما ينتشر ما كتبته انتشارًا أوسع مما لو بقي حبيس كتبك. وبهذا، تكون الفائدة أعمّ وأبقى، والله يعلم أنك أنت صاحب الجهد، فيرجع الأجر والنفع إليك.''

سكت قليلاً، ثم قال بهدوء: ``نَفْسِي تَأْبَى.''

كلمة ما زالت ترنّ في أذني، رغم مرور قرابة ثمانيةٍ وعشرين عامًا عليها.

ومع مرور الزمن، أدركتُ عمق ما قال. فرغم أنني لم أكن مخطئًا في وجهة نظري، إلا أن النفس البشرية تأبى بطبعها أن يُنسب جهدها لغيرها، أو أن يُسرق تعب السنين دون تقدير أو إنصاف.

من هنا، أوصي كل من قرأ أو نقل عن كتاب، أو بحث، أو مؤلف، أن يتحلّى بالأمانة، والخُلُق، والدين، وأن يُعيد الفضل لأهله إن استطاع، أو على الأقل أن يقتبس ويُشير بوضوح إلى المصدر والمؤلف، ويُبدي رأيه فيما قرأ.

فذلك من مكارم الأخلاق، ومن احترام النفس والغير، وهو أيضًا من أصول الدين والعدل.

فكم من نفسٍ تأبى أن يُهدر جهدها... وإن سَكَتَت.

# زمن قلّ فيه الرجال: رثاء المروءة في عصر الندرة

فَما أكثَرَ الإخوانِ حينَ تَعدُّهُم
وَلَكِنَّهُم في النائِباتِ قَليلُ
--- المتنبي

لم يكن هذا البيت صرخةً يائسة في ليل الصداقة، بل كان مرآةً لما في القلب من لوعةٍ حين تبتليك الحياة بمحنة، فتكتشف أن الذين كانوا يملؤون مجلسك صوتًا وضحكًا، باتوا سرابًا عند الحاجة، وظلاً لا يكاد يُرى.

فإذا كان هذا حال الرجال زمن المتنبي، وزمن الإمام عليّ، زمن الفروسية والكرامة، فكيف بنا اليوم، ونحن نعيش في عصرٍ اختلطت فيه القيم، واختفت فيه الفوارق بين الشريف والدنيء، وبين الحرّ والعبد، وبين الأصيل والمزوَّر؟

أبحث عن الوفاء، فلا أجده إلا كإبرةٍ في بحر، أو كنجمٍ غريب في سماءٍ ملبّدةٍ بالغدر. أبحث عن النبلاء، فلا أكاد أجد إلا وجوهًا تُزيّنها الأقنعة، وقلوبًا أُفرغت من معاني الإنسانية.

أبحث عن الصداقة الصادقة، فيُقال لي: ``ماتت... عليها رحمة الله.'' أبحث عن ردّ المعروف، فيُقال لي: ``ذاك في كتب السِّيَر، لا في واقع البشر.''

## زمن القيم المقلوبة

صرنا نعيش زمنًا يُكافَأ فيه الخائن، ويُهان فيه الأمين. زمنًا تُسخَر فيه من الأخلاق، ويُستهزَأ بأصحاب المبادئ.

تقول كلمة حق، فينظر إليك من حولك وكأنك تروي أسطورةً من زمن الديناصورات. تتمسّك بوصيّةٍ نبوية، أو خُلُقٍ قرآني، فيقولون: ``ما هذا؟ من أي عصرٍ أنت؟!''

كأنما صار المعروف جريمة، والكرم حماقة، والشهامة انتحارًا بطيئًا.

إذا أكرمتَ الكريم ملكتَه، وإذا أكرمتَ اللئيم تمرّد. ولكن البلاء اليوم أن الكريم غاب، واللئيم ساد، والناس باعوا وفاءهم بثمنٍ بخس من مصالح زائلة.

## أمة في خدرها

ويتساءل الناس --- في غفلتهم --- ``ما الذي أصاب هذه الأمة؟ ما هذا الهوان؟ ما هذا الانحدار؟'' وهم يغفلون أو يتغافلون عن قول الحقّ جلّ وعلا:

> وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ
> (الشورى: 30)

نعم، المصيبة منّا، من داخلنا، من أرواحنا التي فرّطت في شرفها، وتخلّت عن مبادئها، ورضيت بالذلّ تحت مسمّيات ``الواقعية''، و``الذكاء الاجتماعي''، و``اللعب على الحبال''.

الجبناء كُثُر، والعيون المغمضة أكثر، والقلوب المتبلّدة صارت القاعدة، لا الاستثناء.

## الشرفاء... في زمن الندرة

لكن، ورغم كل هذا السواد... لا تزال هناك قلوبٌ تنبض بالمروءة، ونفوسٌ تأبى أن تلوّثها الدناءة، ورجالٌ --- وإن قلّوا --- لا يُغيّرهم التيار، ولا تُغريهم الفتنة، ولا يُخيفهم الانفراد بالطريق.

أولئك الذين ما زالوا يؤمنون أن:

> إذا جاريتَ في خُلُقٍ دنيئًا
> فأنتَ ومن تجاريه سواء

وأولئك الذين يجتنبون المخازي، ويعلمون أن:

> رأيتُ الحرَّ يجتنبُ المخازي
> ويحميه عن الغدرِ الوفاء

هؤلاء هم الرجال الذين قلّوا، لكنهم --- إن وُجدوا --- أمّةٌ وحدهم. يقفون كالجبال حين تتهدّم السهول، ويظلون على العهد وإن باع الجميع.

## صرخة في وجه النذالة

يا من بقيتم أوفياء رغم تبدّل الأحوال... يا من ما زلتم تنتمون إلى عصرٍ كانت فيه الكلمة شرفًا، والموقف دينًا، والكرامة تاجًا لا يُنتزع...

لا تيأسوا، ولا تُسايروا الرداءة، ولا تُساوموا على ما أنتم عليه.

اصبروا... فأنتم غرباء، لكن ``طوبى للغرباء''، كما قال الحبيب المصطفى .

فإن لم تُحيوا القيم فيمن حولكم، فأحيُوها في أولادكم، وذريّاتكم، وفي سلوككم بين الناس.

كونوا شرفاء، حتى لو لم يفهمكم أحد. كونوا أوفياء، حتى لو خذلكم الجميع. كونوا رجالاً... حتى في زمنٍ قلّ فيه الرجال.

# تأثير التكبر على التحصيل العلمي
# موعظة لأولي الألباب والمتفكرين

تقول الحكمة الشهيرة: ``لا ينال العلمَ مستكبر''، وهذه الحكمة لم تأتِ من فراغ، بل من تجارب طويلة وسننٍ ماضية رُصد فيها كيف كان التكبر حاجزًا بين الإنسان وبين العلم الحق.

فالعلم في جوهره نبعٌ لا يرتوي منه إلا من أتى إليه ظامئًا، بقلبٍ خاشع، ونفسٍ متواضعة.

## التكبر حجاب يحجب نور العلم

إن من أعظم ما يعيق المرء في تحصيله العلمي هو التكبر، ذلك الداء الخفي الذي يفسد على الإنسان طلبه، ويدفعه إلى السعي وراء العلم لا من أجل النفع ولا الرقي، بل من أجل التميّز على الآخرين، وإثبات التفوّق، وكسب الشهرة أو المنزلة الاجتماعية.

وهذا النوع من الطلب لا يُثمر علمًا نافعًا، بل يتحوّل مع الوقت إلى عبء أخلاقي، يورث صاحبه الغرور والعزلة، ويقف به عند حدٍّ لا يتجاوزه.

لقد رأينا كثيرين ممن بدأوا في طريق العلم طامحين، فإذا بهم ينحرفون حين سيطر عليهم حبّ الذات، والاستعلاء على الناس، فأصبحوا يُردّدون ما يحفظون، ويستعرضون ما يعرفون، لا لهداية الناس ولا لنفعهم، بل ليروا أنفسهم أفضل من غيرهم.

وهكذا يتحوّل العلم إلى وسيلة للتفاخر، لا وسيلة للإصلاح والبناء.

## العلو غير المحمود

ليُعلم أن العلو في الأرض مذموم، إلا ما كان ناتجًا عن صدق، وتواضع، وإخلاص.

يقول الله تعالى:

تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

فالعلو المذموم يتجلّى حين يصبح العلم سلعةً يستعملها الإنسان للتعالي، فيكسب بذلك بغض الناس، ونفور القلوب، ويضيق صدره بالنقد، ويعجز عن التطوّر، لأن الكِبر يمنعه من الاعتراف بالقصور، أو التعلّم من غيره.

## العلم فريضة إنسانية

إن العلم حقٌّ لكل إنسان، بل هو من أسمى مراتب الرقي الإنساني، لأنه لا يرفع فردًا فقط، بل ينهض بأمّةٍ كاملة.

فبه يُبنى الإنسان، وتتقدّم الحضارات، وتُحلّ الأزمات، وتُعمَر الأرض. وطلب العلم عبادة، خاصّة إذا اقترنت بنيّة خالصة، تهدف إلى نفع النفس، والأهل، والمجتمع.

والمجتمعات التي تشجّع على طلب العلم بروح التواضع، والتعاون، والتجرّد، تبني جيلاً ناضجًا مثقّفًا يُسهم في نهضتها.

أمّا المجتمعات التي تُقدّر المظاهر، والعناوين، والشهادات الفارغة من المضمون، فإنها تُربّي أفرادًا يحبّون العلو دون مضمون، ويظهرون دون أثر.

## مصير المتكبر في ميدان العلم

من طلب العلم لغير وجه الله، ونوى به الترفّع على الناس، فقد يُعطى من الشهرة والسمعة، لكنّه لا يُعطى بركة العلم ولا نوره.

فيكون كما قيل: ``كالسراج يُضيء للناس ويحرق نفسه.''

فتراه ينتقد كل أحد، ويسخر من غيره، ويزداد انعزالاً وضيقًا، حتى ينفر منه القريب قبل البعيد.

أمّا من قصد بعلمه رضا الله، ومنفعة الخلق، وإصلاح النفس، فإن الله يفتح له أبواب الفهم، ويجعل له قبولاً في الأرض، ويمنحه التواضع، ويُحبّبه إلى القلوب.

ويظل في حالة نموّ وتطوّر دائمين، لأنه لا يرى في نفسه كمالاً، بل يعتبر نفسه تلميذًا مهما بلغ من المعرفة.

## العلم بأنواعه نور وهداية

سواء كان العلم إنسانيًا، أو دينيًا، أو أدبيًا، أو اجتماعيًا، أو علمًا حديثًا كالهندسة، والطب، والتقنية، فإن له دوره العظيم في رفعة المجتمعات، وصناعة الحضارة، وحفظ القيم.

وكل علم يُبنى على التواضع والإخلاص، فهو نافع مبارك. أمّا إذا تلوّث بالكبر والرياء، صار وبالاً على صاحبه وعلى من حوله.

## وصية للشباب

يا شباب الأمة: اطلبوا العلم بإخلاص، وابتغوا به وجه الله، ولا تجعلوه سُلّمًا للغرور، أو وسيلة للنيل من الآخرين.

تذكّروا أن التواضع زينة العلماء، وأن الكبر داءٌ يحجب عنكم بركة العلم ونفعه.

وتذكّروا أن العلم لا يُطلب من أجل قهر الآخرين، بل لنبني معًا، ونُعمِر الأرض، ونرفع الجهل، وننفع الناس.

فليكن شعاركم:

> ``اللهم علّمني ما ينفعني، وانفعني بما علّمتني، وزدني علمًا وتواضعًا وحُسن خُلُق.''

# الإخلاص في العمل الحكومي: بين الأمانة واللاتكالية

في مجتمعاتنا العربية، كثيرًا ما يرتبط العمل الحكومي بصورة نمطية سلبية، ناتجة عن ثقافة اتكالية رسّختها ممارسات طويلة الأمد، اختلطت فيها الأدوار بين الوظيفة العامة والخدمة الشخصية، وذابت فيها الحدود بين المصلحة العامة والعلاقات الاجتماعية.

وكان من نتائج ذلك شيوع التقصير وعدم الإخلاص في أداء المهام، حتى بات الأمر اعتياديًا لا يُستنكر في كثير من الدوائر والمؤسسات الحكومية.

## العمل الحكومي ومشكلة غياب الرقابة

على عكس القطاع الخاص، حيث يكون الموظف تحت رقابة مباشرة لصاحب العمل الذي يسعى لتحقيق الأرباح وقد يتخذ قرارات حاسمة فور ملاحظته أي تقصير، يغيب في كثير من الدوائر الحكومية هذا النوع من الرقابة الفعّالة.

فالإدارات الحكومية لا تُدار عادة بروح التنافسية، ولا وفق حسابات الربح والخسارة، وإنما وفق إجراءات بيروقراطية جامدة، تُعلي أحيانًا الشكل على الجوهر، وتُغلب الاستمرارية على الأداء النوعي.

هذا الغياب للرقابة الفعلية أدّى إلى تفشّي مظاهر سلبية عديدة، مثل: التسيّب في أوقات الدوام، ضعف الإنتاجية، الاتكالية المفرطة، بل وحتى الاعتماد على عدد محدود من الموظفين النشطين لإنجاز أعمال مؤسسات كاملة، بينما يسترخي الآخرون تحت عباءة الأمان الوظيفي المطلق.

## قوانين الحماية الوظيفية وسوء استخدامها

ما يزيد من تعقيد المشهد، هو أن بعض قوانين حماية الموظفين الحكوميين --- التي وُضعت في الأصل لضمان العدالة والكرامة للعامل --- أصبحت في كثير من الأحيان سلاحًا يحتمي به المقصّرون.

فحتى لو حاول المدير أو المسؤول محاسبة الموظف المتهاون، فإنه يجد نفسه أمام عقبات قانونية، وإدارية، وربما اجتماعية، تجعل تطبيق المحاسبة الفعلية أمرًا شاقًا ومكلفًا.

والأسوأ من ذلك، أن طبيعة المجتمعات العربية --- التي تُعلي من شأن القرابة والعشيرة والصداقة --- تُضعف في

كثير من الأحيان سلطة الإدارة.

فيغدو المسؤول محاصرًا بشبكات من العلاقات الاجتماعية التي تُحرجه وتمنعه من محاسبة فلان ``لأنه ابن عمه''، أو ``من قبيلته''، أو ``قريب لفلان النافذ''.

## ثقافة الاعتماد على الآخر والكسل المؤسسي

هذه البيئة أدّت إلى شيوع ما يمكن تسميته بـ``الكسل المؤسسي''، حيث أصبح من المعتاد أن يعتمد بعض الموظفين على زملائهم الأكثر نشاطًا وخبرة لأداء أعمالهم، دون تقدير أو مكافأة.

مما يزرع الإحباط في نفوس العاملين الجادّين، ويزيد من تفشّي الروح الاتكالية.

بل أصبح البعض يعتبر هذا النمط حقًا مكتسبًا، فيتغيّب دون سبب، أو يحضر جسدًا دون روح، لا يسعى للتطوير ولا يبذل جهدًا، معتقدًا أن الراتب الشهري مضمون مهما فعل، وأن الترقية ستأتي يومًا ما بحكم الأقدمية لا الكفاءة.

## البركة في المال والرضا النفسي للمخلصين

لكن ما يغيب عن أذهان هؤلاء هو أن المال الذي يتقاضونه دون وجه حق ليس فيه بركة.

فقد يظنون أنهم استفادوا من النظام، ولكنهم في الحقيقة أضاعوا الأمانة وخسروا البركة.

تجدهم يشتكون في منتصف الشهر من ضيق الرزق، أو إذا ما جمع أحدهم مالاً أتاه ما يُبدّده في سفر غير موفّق، أو مشروع خاسر، أو نازلة مفاجئة.

وفي المقابل، نجد من بين الموظفين الحكوميين من يتقي الله في عمله، ويؤدي الأمانة على أكمل وجه، بل ويتحمّل فوق طاقته أحيانًا لتعويض تقصير زملائه.

هؤلاء تجد في حياتهم بركة، وفي رزقهم سعة، وفي نفوسهم راحة وطمأنينة.  وقد لا يملكون الكثير من المال، لكنهم يملكون الرضا والسكينة، وهي نعم لا تُشترى.

## خاتمة: دعوة للإخلاص وتجديد النية

إن الوظيفة الحكومية ليست مجرد مصدر رزق، بل هي أمانة ومسؤولية.

فمن رُزق بها، فليتذكّر أنه وُكّل برعاية مصلحة الناس وخدمة الوطن، وأن الله سيحاسبه على كل تقصير أو تساهل، كما سيجزيه على كل إخلاص وتفانٍ.

فطوبى لمن اختار أن يُخلص في عمله رغم قدرته على التقصير، فالله وحده من يُبارك في الرزق، ويرفع بعمل العبد المخلص، ويُجزل له الأجر في الدنيا والآخرة.

ونسأل الله أن يهدي المقصّرين إلى طريق الأمانة والإخلاص، وأن يردّهم إلى الحق ردًّا جميلاً، وأن يُبارك للمخلصين في أعمالهم، وأرزاقهم، وأهلهم، ويجزيهم خير الجزاء.

# التاجر الصدوق: مقامه العظيم وصعوبة طريقه

قال رسول الله :

``التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين''

(رواه الترمذي وقال: حديث حسن)

هذا الحديث الشريف يُبيّن المقام العظيم الذي يناله التاجر الصدوق يوم القيامة، إذ يُحشر في رفقةٍ لا يُزاحمهم فيها إلا من بلغ الغاية في الصدق والإخلاص.

لكن، ما الذي يجعل ``الصدق في التجارة'' بهذا الثقل والمكانة؟ ولماذا أصبحت هذه الصفة اليوم نادرة، رغم بساطتها الظاهرة؟

## أولاً: المعنى والمقصد من الحديث الشريف

التاجر الصدوق هو من يتحرّى الصدق في أقواله وأفعاله، في البيع والشراء، في وصف البضائع وتسعيرها.

فلا يخدع، ولا يغش، ولا يكتم العيوب، ولا يزيّن السلعة بما ليس فيها.

وهذا الحديث الشريف فيه دلالة واضحة على أن الصدق في التجارة عبادة عظيمة، وهو اختبار صعب؛ لأن النفس تميل غالبًا إلى الربح السريع، ولو على حساب المبادئ.

## ثانيًا: الواقع المؤلم للأسواق اليوم

من المؤسف أن نجد في كثير من الأسواق ظاهرة ``تزيين البضاعة بالكذب''، والتغافل عن العيوب أو إخفائها، بل وربما التباهي بذلك تحت مسمّيات ``الحنكة التجارية'' أو ``الشطارة''.

التاجر الذي يصدُق يُعدّ --- في أعين البعض --- ساذجًا، لأنه لا يعرف كيف ``يُسوّق'' لبضاعته كما يفعل غيره، مما يدفع الزبائن لتركه والذهاب لمن يُجيد التلاعب بالكلام، ولو على حساب الأمانة.

## ثالثًا: الصدق في التجارة من الناحية الدينية

الصدق في التجارة عبادة وقُربة إلى الله، وهو سبب للبركة في الرزق، كما قال النبي ﷺ:

``البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبيّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا مُحقت بركة بيعهما''

(رواه البخاري ومسلم)

وهذا يدل على أن الرزق الحلال لا يكون فقط في حصول المال، بل في البركة التي تأتي معه، والتي لا يُدركها كثيرون.

ومن غشّ فليس من النبي ﷺ، كما في الحديث الصحيح:

``من غشّ فليس مني''
وفي رواية: ``من غشّنا فليس منا''

(رواه مسلم)

## رابعًا: البعد الأخلاقي

الصدق أساس بناء الثقة بين التاجر والزبون. فعندما يكون التاجر صادقًا، فإنه لا يبيع بضاعة فقط، بل يقدّم خدمة أخلاقية راقية.

وفي المجتمعات التي تُعلي من شأن الصدق، تصبح التجارة أداة لبناء العلاقات، لا لهدمها.

وقد قيل: ``السمعة رأس مال لا يُشترى.''

## خامسًا: البعد الوطني

انتشار الغش والكذب في التجارة يُضعف الاقتصاد الوطني، ويُفقد الأسواق المحلية مصداقيتها، ويؤثر على صورة البلد أمام الآخرين.

كما يؤدي إلى فقدان الثقة بين المواطن والتاجر، بل وربما يلجأ الناس إلى الاستيراد الخارجي بسبب تجارب محلية سلبية.

أمّا إذا سادت الأمانة والصدق، فإن ذلك يُسهم في استقرار السوق، وزيادة الإنتاج المحلي، وتشجيع الناس على الشراء، ويخلق بيئة اقتصادية صحية وآمنة.

## سادسًا: البعد القانوني

من الناحية القانونية، فإن كتمان العيوب أو بيع سلع مغشوشة يُعد جريمة يُعاقب عليها القانون في كثير من الدول، ويترتب عليها غرامات، وربما إغلاق المحل، أو سحب الرخصة التجارية.

القوانين الحديثة تُشدّد على ``حق المستهلك في المعرفة''، وعلى ضرورة الوضوح في الإعلان والبيانات التجارية.

وهذا دليل على أن القانون، بمختلف أنظمته، يُقارب في جوهره تعاليم الإسلام في هذا الباب.

## سابعًا: لماذا يُعد التاجر الصدوق نادرًا؟

لأن طريق الصدق صعب، وخصوصًا في بيئة تُقدّس الربح وتُهمل القيم.

التاجر الصدوق ربما يخسر صفقة اليوم، لكنه يكسب بركة غدٍ. وربما يخسر زبونًا عجولاً، لكنه يكسب احترامًا يدوم. وربما يتأخر ربحه، لكنه سيأتيه رزق طيب نظيف لا يضرّه.

وهنا أذكر حادثة حصلت لي قبل عامين مع أحد البائعين لجهاز iPhone.

بعد أن اتفقنا على الشراء، بدأ البائع يسرد روايات حول هشاشة الجهاز، وكيف أن سقوطه من نصف متر قد يكسر الزجاج الخلفي، وكيف أن هذا الإصدار خفيف جدًا، وأن مجرد نسمة هواء قد تتسبب في كسر الشاشة.

ثم انتقل للحديث عن التأمين، وأسعاره، وضرورته، حتى يلحّ عليك فتظن أنك بمجرد إخراج الجهاز من العلبة ستنفجر الشاشة في وجهك.

وقد أثّر ذلك عليّ بالفعل، فقمت بعمل تأمين مدفوع لمدة سنة، زيادةً على سعر الجهاز.

ومرّت سنتان الآن، والحمد لله، لم ينكسر أي شيء بالجهاز.

فماذا نسمّي هذا الأسلوب؟ الأكيد أن بينه وبين أن يكون تاجرًا صدوقًا بُعد المشرقين.

## الخاتمة

التاجر الصدوق ليس مجرد بائع، بل هو ركيزة أخلاقية واقتصادية في المجتمع.

ومقامه يوم القيامة لا يُنال إلا بالصبر، والإخلاص، والثبات على الحق، ومخالفة النفس.

فمن أراد صحبة الأنبياء والصديقين، فليبدأ من محلّه، وليُصلح ميزانه، وليَجعل من صدقه شهادة حيّة على أن القيم لا تموت.

وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا

وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ

(سورة الطلاق: 2--3)

# الجامعة العربية المفتوحة: مشروع وقفي عابر للحدود ورؤية خالدة للأمير طلال بن عبدالعزيز --- رحمه الله

الذي دعاني لكتابة هذا المقال هو تجربة شخصية وجدتُ أنه من واجبي أن أنقلها إنصافًا لهذه الجامعة، وخروجًا من النظرة السلبية المنتشرة عنها، وهي نظرة كنتُ أحملها أنا شخصيًا في السابق، ولم تتغير إلا عندما خضتُ التجربة مع ابنتي أولاً، ثم مع ابني، وكانت النتائج فوق المتوقع.

وسأسرد هنا انطباعاتي كاملة حول هذه التجربة، لعلها تفيد على الأقل من هو في مثل حالتي حين خضتُها.

## تجربة شخصية: من التردد إلى القناعة

في عام 2015، وعندما كنتُ أقدّم لابنتي بعد تخرجها من الثانوية العامة بنسبة 98%، بادرتُ فورًا بالتقديم على جميع الجامعات السعودية المتاح التقديم لها.

ولم ترد أي جامعة بالقبول أو الرفض، عدا جامعة واحدة فقط. وعندما راجعتُ القبول والتسجيل، قيل لي: ``نسبتها مرتفعة، لكن هذا تخصّص تقنية معلومات، وليس طبًا.''

ولا أنسى ذلك الموقف ما حييت، حين قيل لي: ``الذين تقدّموا كلهم نِسَبُهم أعلى منها، نعم… تقدّم 300 أو 400 طالبة كلّهن فوق 98%. موفّقين بإذن الله.''

وقفتُ حائرًا، وبدأتُ فعليًا بمراسلة جامعات أمريكية وأوروبية للتعليم عن بُعد.

وأثناء بحثي، وقبل بداية الفصل الدراسي، ذكرتُ الموضوع لأحد الأصدقاء السعوديين، فذكر لي الجامعة العربية المفتوحة.

فقلت له: ``انتهى التسجيل في كل الجامعات.'' فقال لي: ``الجامعة العربية المفتوحة يسجّلونك دون شروط، حتى لو بعد أسبوع من بداية الدراسة.''

لم أُصدّق، حتى زرتُهم بنفسي. وبالفعل، قيل لي: ``تعالِ خلال الأسبوع الأول من الدراسة.''

أجرت ابنتي اختبار تحديد مستوى في اللغة الإنجليزية، وتم القبول فورًا، ودفعنا الرسوم، والتي تُعد رمزية جدًا مقارنة بالجامعات الخاصة.

درست أربع سنوات، وتخرّجت بامتياز. ثم انتظرت ثلاث سنوات، وجاءت فكرة الدراسات العليا.

قدّمت على جامعة الملك سعود وجامعة الأميرة نورة، وتم قبولها في الجامعتين، لكنها اختارت جامعة الأميرة نورة، وتخرّجت منها.

ثم قدّمت فورًا على جامعة الملك سعود وجامعة الملك فهد للبترول والمعادن. اعتذرت جامعة الملك سعود لعدم اكتمال الشهادة كشرط أساسي، أما جامعة الملك فهد فقد قبلوها بعد مقابلة عن بُعد، وطلبوا إلحاق الشهادة بالملف عند صدورها، وقد تم ذلك --- والحمد لله ---

أما ابني، فقد سجّلته في فرع الرياض خلال دقائق، عبر موقع الجامعة، بعد دفع الرسوم وإجراء اختبار تحديد مستوى اللغة الإنجليزية، وهو اليوم أنهى سنته الثالثة.

## مشهد إنساني لا يُنسى

في كل فرع من فروع الجامعة، توجد صورة للأمير طلال بن عبدالعزيز. ولا أنظر إلى هذه الصورة إلا وأترحّم عليه، وأدعو له بالرحمة والمغفرة والثواب الجزيل، لما قدّمه في هذا الصرح لآلاف الشباب في عدّة دول عربية، كلّما أوصلتُ أبنائي إلى الجامعة.

## ملاحظات تربوية وأكاديمية

من خلال دراسة أبنائي في هذه الجامعة، خرجتُ بملاحظات مهمّة:

- أسلوب التعليم يعتمد بشكل كبير على اجتهاد الطالب، بعد تدريسه مادة خاصّة بمهارات التعلّم الذاتي.
- يكتسب الطالب --- دون شعور --- القدرة على البحث عن المعلومة، والاعتماد على نفسه، والاستفادة من أي مصدر متاح.
- تتكوّن لديه قدرة عالية على الاستيعاب، وهي مهارات قلّما نجدها في الجامعات التقليدية.

بعد هذه التجربة، وتحوّل النتائج إلى واقع ملموس، تمنّيت لو تتحوّل كثير من الجامعات إلى هذا الأسلوب، خصوصًا في المواد التي يمكن دراستها عن بُعد، مع إبقاء الجوانب العملية حضوريًا.

كما أن انتقال ابني من منطقة إلى أخرى تم خلال دقائق، دون تعقيد إداري، وتم نقل ملفه إلى فرع الدمام بسهولة تامّة.

وأقولها بثقة: الدراسة في الجامعة العربية المفتوحة، وخاصة في مجال تقنية المعلومات، لا تقل عن كثير من الجامعات العالمية، بل تتفوّق على عددٍ منها، وذلك بشهادة ما رأيته من مستويات طلبة درسوا في جامعات عربية وتركية وعالمية.

## الجامعة العربية المفتوحة: الفكرة والرسالة

في عالم تتسارع فيه التحديات، ويزداد فيه الطلب على التعليم العالي، تبرز الجامعة العربية المفتوحة كنموذج فريد للتعليم غير الربحي.

فهي ليست مجرّد مؤسسة أكاديمية، بل مشروع حضاري، أُسّس برؤية ثاقبة من صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبدالعزيز --- رحمه الله --- ليكون امتداداً عملياً لمبدأ ``التعليم للجميع''.

وقد ارتكزت الجامعة على شراكة استراتيجية مع Open University UK، ما منحها نموذجاً عالمياً متقدماً، يراعي الجودة والاعتماد الأكاديمي.

## منهج التعليم المفتوح

تعتمد الجامعة على نظام التعليم المفتوح والتعلّم الذاتي، وهو نظام ينمّي مهارات: التفكير النقدي، تنظيم الوقت، والاعتماد على النفس.

كما تتيح مرونة عالية في التنقّل بين فروعها المنتشرة في ثمان دول عربية، وهو ما يُعد ميزة نادرة في التعليم الجامعي.

## الاعتراف الأكاديمي والفرص المستقبلية

الجامعة معترف بها رسمياً في الدول التي تعمل بها، وشهاداتها معتمدة في وزارات التعليم العالي.

وقد أثبت خريجوها جدارتهم في سوق العمل، وتمكّن كثير منهم من استكمال الدراسات العليا في جامعات مرموقة، وهو دليل عملي على جودة المخرجات.

## بين الواقع وسوء الفهم

النظرة السلبية التي تواجهها الجامعة غالباً ما تعود إلى سوء فهم لطبيعة التعليم المفتوح، أو إلى الربط الخاطئ بين انخفاض التكلفة وانخفاض الجودة.

وهي نظرة لا تنسجم مع الواقع، ولا مع التجربة، ولا مع النماذج العالمية المعتمدة.

## إرث الأمير طلال: العلم النافع لا يموت

ما قدّمه الأمير طلال بن عبدالعزيز هو من أعظم أشكال الوقف: العلم النافع المستدام.

مشروع لا يُقاس بعدد الخريجين فقط، بل بتأثيره الإنساني، وبقدرته على تمكين الإنسان العربي من صناعة مستقبله دون تمييز أو احتكار.

## الختام: دعوة لإعادة التقييم

الجامعة العربية المفتوحة ليست بديلاً اضطرارياً، بل مشروع تعليمي تنموي متكامل، يوازن بين الجودة والعدالة الاجتماعية.

إنصاف هذه الجامعة هو إنصاف للفكرة، وللرجل الذي زرع علماً باقياً، ولجيلٍ يستحق فرصة حقيقية في التعليم والتفوق.

# عن القهوة، وصراع الأجيال، وضياع الأب المحافظ على التقاليد!

منذ حوالي خمسة عشر عامًا، بدأتُ ألاحظ ظاهرةً غريبة تنتشر بين الشباب... القهوة!

وكأن الحياة توقّفت إلا بوجود كوب من الإسبريسو أو الفلات وايت، وفي مكان يُكتب عليه ``كوفي''، ويُفضّل أن يكون اسمه بلغة أجنبية، ومزيّنًا بنباتات صناعية، وإضاءة صفراء ناعمة تُشعرك أنك في جلسة تأمّل وجودي، لا في مكان لشرب القهوة!

في ذلك الوقت، انتقل ولدي الكبير إلى جدة، وكان يحدثني بفخر عن عادته الجديدة في العمل من ``محلات القهوة المختصة''، ويؤكد أنه لا يستطيع التركيز إلا هناك.

أما أنا... الأب الحازم، المدافع الشرس عن الاقتصاد المنزلي، فقد فتحتُ عليه نيران النقد:

``يا ولدي! ألف ريال في الشهر على قهوة؟! إسراف! تبذير! اشتر دِلّة وتمر، وخلك رجال!''

وككل أبٍ مولع بالنصائح، كنت أؤدي دوري ببراعة في معركة ``صراع الأجيال''، وأشعر بانتصار أخلاقي كبير مع كل محاضرة اقتصادية ألقيها!

لكن... دار الزمان.

قلّ التركيز في المنزل، وزادت متطلبات الكتابة، وتعقّد التفكير، وكثرت المقاطعات والضجيج.

وفجأة... وجدتُ نفسي أبحث عن أقرب ``كوفي مختص''، وأطلب القهوة باسمها الأجنبي دون أن أتلعثم، وأختار طاولة قرب الشاحن ومنفذ الكهرباء، وكأنني محترف من أيام ستاربكس الأولى!

واليوم، وأنا أكتب هذا المقال من أحد المقاهي، ومعي ولدي الصغير (الذي لم يُصدّق أن يرى أباه في نفس الوضعية التي كان عليها أخوه الكبير قبل سنوات)، التفتُّ إليه وقلت:

``والله يا ولدي... ضيّعتوا أبوكم!''

نظر إليّ، وابتسم، وفي عينيه نظرة تقول:

``الحمد لله على نعمة القهوة... وأهلاً بك في النادي!''

## الدرس

لا تسخر من عادةٍ لا تؤذي أحدًا، لمجرد أنها لم تكن في جيلك.

فكل زمان له نمط حياة يرتاح له أهله، ما دام لا يُغضب الله، ولا يُخلّ بالمنطق، ولا يضرّ بالناس، فدعه يسير...

وإلا، سيتوقف بك الزمن، وتجد نفسك تشرب القهوة معهم... وتدفع أكثر!

# كسر الخواطر... ودرس لم يُنسَ

ليست كل الذكريات خفيفةً تمرّ كنسمةٍ عابرة؛ فبعضها يرسخ في الروح كوشمٍ لا يُمحى، ويعلّمك أكثر مما تفعل الدروس والمناهج.

في عام 1981، كنتُ فتىً في الرابعة عشرة من عمري، أدرس في الصف الثاني المتوسط. وفي الحيّ، كانت هناك طفلة جارة لنا، في الرابعة من عمرها، اسمها ``أروى''، كانت تملأ المكان براءةً وابتسامة.

ذات مساء، كنت أحمل بيدي شيئًا يحبه الأطفال --- ربما بسكويتًا أو حلوى --- لا أذكر، لكنني أذكر المشهد بوضوح.

رأيتها تقترب منّي بعينين تملؤهما الفرحة الطفولية، فمددتُ لها يدي كما لو أنني سأعطيها ما أحمل. وما إن مدّت يدها الصغيرة إليّ، حتى سحبتُ يدي فجأة، في حركة كنتُ قد شاهدتها كثيرًا في المدارس بين الأقران: ``افتح يدك!'' ثم الخذلان... على سبيل المزاح.

كانت مجرّد مزحة... لكنها لم تكن بريئة.

رأيتُ في عينيها نظرةً لم أنسَها حتى اليوم: حزنًا، دهشة، كسرة.

وفي تلك اللحظة، شعرتُ --- دون وعي --- أنني ارتكبتُ شيئًا لا يُغتفر في حق طفولتها البريئة.

الموقف لم يدم طويلاً، لكن أحد إخوتي الصغار رآه، ونقله إلى أهلي. واجهتُ تأنيبًا حادًا، ربما لم أستوعبه وقتها كاملاً، لكن شعور الخجل الذي تملّكني ظلّ معي حتى الآن.

كبرتُ، لكن بقي الموقف طفلاً بداخلي، يُعلّمني أن كسر الخواطر لا يُشترط أن يكون بالكلمات الجارحة، بل أحيانًا بحركة، بنظرة، بإهمال، بصمتٍ في وقت يُنتظر فيه منك الاحتواء.

## جبر الخواطر: خُلُق الأنبياء وميزان القلوب

منذ تلك اللحظة، بدأ يتشكّل في وجداني إدراكٌ عميق، بأن جبر الخواطر هو أرقى صور الأخلاق.

أن تضع نفسك مكان الآخر، أن تفهم ما بين عينيه، قبل أن تنظر إلى يده، أو تنتظر كلماته.

جبر الخواطر لا يعني دائمًا العطاء المادي، بل قد يكون بكلمة، بتقدير، بابتسامة، بفهم موقف، بإشعار الآخر أنه مهم، أنه مسموع، أنه غير مُهمَل.

ولهذا جاء التوجيه القرآني في غاية البلاغة:

وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ

فليس المقصود فقط من يسأل مالاً، بل من يسأل حضورًا، من يسأل اعتبارًا، من يسأل مشاعرنا.

جبر الخواطر عبادة لا يعرفها كثيرون، لأنها لا تُقاس بالصوت، بل بالشعور.

وهي خُلُق تربّى عليه الأنبياء، وسار به الصالحون. ويُروى عن رسول الله أنه:

``ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، وما انتقم لنفسه قط، وكان لا يُواجه أحدًا بما يكره.''

أليس هذا من أعظم صور جبر الخواطر؟

## كسر الخواطر: شروخ في نسيج المجتمع

حين تُكسَر الخواطر بين الناس، يبدأ التباعد. كأن القلوب تُخدَش، والثقة تتراجع، ويُزرَع في النفس ألمٌ صامت.

كل خذلان لا يُقال، يتحوّل إلى لبنة، تبني جدارًا بينك وبين الآخر.

في البيوت، كسر خاطر الزوجة، أو الأبناء، أو الوالدين، قد يُخلخل الأمن العاطفي للأسرة.

في العمل، كسر خاطر الموظف أو الزميل، قد يُطفئ حماسه.

وفي الشارع، إهمال المسكين أو السائل، قد يُشعره أن لا أحد يرى إنسانيته.

ولهذا، فجبر الخواطر ليس فقط خُلُقًا فرديًا، بل ضرورة لبناء مجتمع متماسك، يُقدّر الإنسان، ويراعي المشاعر، ويحترم الاختلاف.

## علّموا أبناءكم... لا تكسروا قلبًا

التربية لا تقتصر على السلوكيات الظاهرة، بل الأعمق منها هو التربية على الوجدان، على الرحمة، على النظر في أعين الناس قبل النظر في أيديهم.

علّموا أبناءكم أن المواقف العابرة قد تترك أثرًا لا يُنسى. وأن الضحك على حساب مشاعر الآخرين ليس خفّة ظل، بل سوء أدب.

وأن من يملك قلبًا طيبًا، لا يخذل، ولا يسخر، ولا يُشعر غيره بالنقص أو الإهانة.

# الخاتمة

ما زلتُ، إلى يومي هذا، كلما تذكّرت ``أروى''، تذكّرت وجهها الصغير، ويدها الممتدة، ونظرة الحزن في عينيها.

أدعو الله أن يسامح طفولتي، وأشكره على أن جعل من تلك اللحظة درسًا لا يُنسى.

وأقول لكم كما أقول لنفسي: اجبروا الخواطر ما استطعتم، فإن في ذلك عبادةً لا تراها العيون، لكنها تُبقي القلب حيًا، والروح نقيّة، والمجتمع متماسكًا.

# ``مهندس زراعي؟ هههههه''
# عن شهادة لا تُغفَر

``المهندسون الزراعيون عندنا يفهمون في كل شيء... إلا الزراعة''
— ياسر العظمة، مسلسل مرايا

عبارةٌ ساخرة، ضحكنا عليها كثيرًا، لكنها في حقيقتها كانت ضحكةً مبكية، تلخّص مأساة شريحة كاملة من شباب هذا الوطن: المهندسون الزراعيون.

أنا واحدٌ من هؤلاء.

خريج كلية الزراعة، جامعة الملك سعود — فرع القصيم. شهادةُ هندسةٍ زراعية ما زلتُ أدفع ثمنها حتى اليوم، رغم أنني لم أعمل بها دقيقةً واحدة.

لا أنسى عبارة والدتي — رحمها الله — وهي تصف خالي، المهندس الزراعي، بأنه لا يعرف في الزراعة بقدر ما يعرفه الفلاحون البسطاء. كانت تضحك... لكنها كانت غصّةً في الحلق.

هكذا كان يُنظر إلينا:

``فلاح بشهادة''
``دكتور بطاطا''
``تخصص بصل''
``وش تسوي بكلية زراعة؟ تزرع بصل؟''

## اختيار اضطراري... وتحقير اختياري

دخلتُ هذا التخصص مجبرًا، لا بطلاً.

في أواخر الثمانينات، لم تكن الخيارات كثيرة، ولا التوجيه الجامعي واضحًا، ولا الثقافة المجتمعية ناضجة.

كنتُ شغوفًا بالحاسب منذ أول سنة جامعية، بل كنت أعمل في مؤسسة كمبيوتر براتب 4000 ريال شهريًا — مبلغ

ضخم لمبتدئ.

لكن، حين تخرّجت مهندسًا زراعيًا، عرضت عليّ شركة زراعية ``محترمة'' — أو هكذا ظننت — راتبًا قدره 1600 ريال فقط!

بمعنى آخر: الشهادة نقصتني... ولم تزِدني.

فتركتها خلفي.

لكنها لم تتركني.........

ولا تزال تغنّي لي:

``أنا منساك لو تنسى
وإن طول علي بعد
عساك إنت بخير
ولا ني ناسي حبك
ولا ني بجاهله
وذكرى صوتك وهمس
في قلبي شايله
لأنك حبي الأول
وحبي الأخير
أنا غيرك أبد ما أحب
كلامٍ قايله''

— نبيل شعيل

## شهادة تطارد صاحبها

شهادة الزراعة تطاردني كظلٍّ ثقيل، كغولٍ من كوابيس الماضي.

تظهر كلما: تقدّمتُ لوظيفة، أو فتحتُ نقاشًا جادًا، أو حتى أردتُ أن أحكي طرفة.

— ``مهنتك؟''
— ``مبرمج منذ حوالي 40 عامًا، والحمد لله.''
— ``وش شهادتك؟''
— ``بكالوريوس... زراعة.''
— ``ههههههههههههههه!''

ثم الضربة القاضية:

``يا أخي، ضحكت عليك عنزة عند باب المسلخ!''

ضحكٌ غريب، ساخر، مستهتر، غير مبرر… لكنه موجِع.

## في العالم… وفي عالمنا

في الغرب والشرق: الصين، أمريكا، اليابان…

المهندس الزراعي يُحترم، لأنه حجر الأساس في الأمن الغذائي.

هو الذي يفهم: كيف نزرع القمح في أرضٍ مالحة، كيف ننتج أكثر بموارد أقل، كيف نطوّع الطبيعة كي لا ننهزم أمام التغيّر المناخي.

أما عندنا… فلا يُغفر له إلا إذا تحوّل إلى: فنان، ممثل، نجم شاشة.

حينها فقط يقال: ``ما شاء الله! كان مهندسًا زراعيًا، والآن فنان مشهور!''

لكن مبرمج؟ مبتكر؟ إداري؟ باحث؟

لا!

``هههههههههه! فلاح صار مبرمج؟''

## لماذا التخلف الزراعي؟ اسألوا أنفسكم

أمّةٌ تعاني الجفاف، وشح الموارد، وتستورد القمح والشعير…

تحتقر من يُفترض أن ينقذها!

نُهين من تأهّل للزراعة، ونُهمّش من فهم التربة، وسهر في مختبرات تحليل البذور، وتحمّل شمس الحقول.

ثم نتساءل ببراءة مصطنعة:

``لماذا نحن متخلّفون زراعيًا؟''

الجواب بسيط: لأننا نحتقر الزراعة، ونُهين المهندس الزراعي.

## خاتمة لا تضحك

في النهاية، قررتُ أن أُخفي شهادتي.

لم أعد أكتب: ``بكالوريوس زراعة''.

أكتب: ``بكالوريوس علوم''... وأسكت.

لا لأنني أخجل منها، بل لأنني سئمت أن أكون مادة ضحك لعقولٍ ساذجة، لا تُفرّق بين الفلاح الأمي، والمهندس الذي قضى خمس سنوات في: علم النبات، التربة، المحاصيل، الري، البيوت المحمية، والبيئة الزراعية.

لن أطلب منكم احترام الشهادة... بل احترموا أنفسكم، إن كنتم حقًا تريدون تقدّم هذا الوطن.

فالزراعة ليست ترفًا... بل بقاء.

## ملاحظة أخيرة

من أشهر الفنانين الكوميديين العرب والسعوديين:

عادل إمام،
سمير غانم،
ناصر القصبي،
عبدالله السدحان...

كلّهم مهندسون زراعيون.

``من المأساة تنبع الكوميديا.''

بقلم:

ابن زراعة سابق... ومبرمج منذ 40 عامًا، بلا ضحك.

# الميزان في مقاصد الشريعة
# من قصة عبدالله بن حذافة السهمي رضي الله عنه إلى حياة كل مسلم

> (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8))
> — سورة الرحمن: 7-8

في كل قصةٍ من سِيَر الصحابة إشراقةٌ تهدي العقول، ومشهدٌ يزرع في النفس حكمةً خالدة. ومن أعجب القصص وأشدها تأثيرًا في النفس، ما حدث مع الصحابي الجليل عبدالله بن حذافة السهمي رضي الله عنه حين أُسر في بلاد الروم، وأُتي به إلى هرقل ملك الروم.

حاول هرقل، في مسعاه لكسر إرادة هذا المسلم، أن يستنفد كل أدوات الإغراء والضغط؛ فبدأ بالمال، ثم النساء، ثم المناصب، ثم انتقل إلى التهديد بالحرق والقتل، بل ألقاه في الزيت المغلي، ومع ذلك ظل عبدالله ثابتًا صامدًا.

حتى لحظة بكائه التي ظنها هرقل انكسارًا، فلما سأله عن سبب بكائه، قال كلمته الخالدة:

> ``والله ما أبكاني إلا أنني ليس لي إلا نفس واحدة تُؤخذ في سبيل الله، وددتُ أن لي بعدد شعر جسدي أنفسًا تموت في سبيل الله.''

## البطولة الحقيقية وفقه المقاصد

هذه القصة العظيمة لا تُختصر في مشهد شجاعة فردية، بل تحمل مقاصد شرعية عميقة تتجاوز ظاهر الموقف.

فليست البطولة في الصدام الأجوف، ولا في التصلّب الذي لا يُبصر مآلاته، وإنما في الاتزان بين الثبات واللباقة، وبين الموقف والغاية، وبين الكرامة والعقل.

وحين طلب هرقل من عبدالله أن يُقبّل رأسه مقابل إطلاق سراحه ومن معه من أسرى المسلمين، قبّل رأسه، وهو الصحابي العابد الزاهد، ففعل ما يخدم المقصد الأعظم: صيانة دماء المسلمين وإنقاذ أرواحهم.

لم يكن ذلك ضعفًا، بل كان قمة الفقه، لأن فقه المقاصد هو تاج العارفين بالشريعة، لا المتشددين باسمها.

## العودة إلى المدينة... وميزان الفاروق

عاد عبدالله بن حذافة رضي الله عنه إلى المدينة، وقد نجّى الله به عددًا من أسرى المسلمين، منتصرًا بكرامته، ثابتًا على دينه، عظيم الأثر.

لكن المفارقة أن بعض الصحابة أنكروا عليه فعله حين أخبرهم أنه قبّل رأس هرقل، وتساءلوا: كيف لصحابي جليل أن يضع نفسه في هذا الموضع؟

وهنا جاء صوت الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ليُقيم الميزان في الحكم والموقف، فقال كلمته الخالدة:

> ``حقٌّ على كل مسلم أن يُقبّل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ بذلك.''

ثم قام عمر رضي الله عنه فقبّل رأسه أمام الناس.

لقد أدرك عمر، ببصيرته، أن ما فعله عبدالله لم يكن تنازلاً عن مبدأ، بل ثباتًا على مقصد، وأن المواقف لا تُقاس بالشكل، بل بالغاية والأثر.

## الميزان بين الاندفاع والتحفّظ

كثيرًا ما تضيع المقاصد في حياتنا حين نُطلق الأحكام جزافًا، أو نحاكم الناس من مواقف عابرة دون فهم السياق أو المآل.

نقسو على من قال كلمة في غير موضعها، ونُهمل نية من تصرّف تصرّفًا يحمل حكمةً خفية.

ولو تأملنا قوله تعالى:

> (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104))
> — سورة الكهف

لرأينا كيف أن النية الصادقة لا تكفي وحدها دون بصيرة، وأن العمل قد يُحبط إذا لم يكن على وعيٍ وفقهٍ بالمآلات، حتى وإن ظن صاحبه أنه محسن.

كم من متحمس قتل سُمعة بريء بحماسة جاهلة، وكم من متديّن أطفأ نور الدين بغلظة ظنها غيرة.

## من فقه الميزان إلى سلوك الإنسان

القرآن الكريم لا يكتفي بالأمر بالعدل، بل يضع لنا أداة العدل: الميزان.

(وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ)

فكل شيء في حياتنا له ميزان:

- في الفكر: لا تندفع بالحكم، ولا تتأخر عن إحقاق الحق.
- في العاطفة: أحب بحكمة، واغضب باعتدال، واصفح دون ذلة.
- في السلوك: لا تكن حجر عثرة باسم المبدأ، ولا أداة طمس باسم الحكمة.

عبدالله بن حذافة رضي الله عنه لم يطغَ في الميزان، ولم يُفرّط في عزته، لكنه عرف متى ينحني لينقذ مئات الرقاب.

ولو كان بعضنا مكانه اليوم، لقال: ``هذا خضوع!'' بينما هو في الحقيقة فقهٌ في المقاصد، وبصيرةٌ في المآلات، وحكمةٌ في الميزان.

## ختامًا: نحتاج ميزانًا لا مزاجًا

في زمن طغى فيه التسرّع على التأني، والسطحية على البصيرة، نحن أحوج ما نكون إلى الرجوع للميزان القرآني في كل شيء.

ميزان يقوم على:

- العقل الراشد
- النية الخالصة
- الفقه بالمآلات
- صيانة الدم والعِرض والكرامة

فلا تكن مندفعًا تهدم، ولا متحفّظًا يُفوّت فرص الإصلاح، بل كن لبيبًا، بصيرًا، حكيمًا، تحكم على الناس بميزان الرحمة، لا بمزاج الهوى.

# الإنفاق في سبيل الله
# العبادة التي تتعدّى حدود الذات

حين نتأمل أركان الإسلام الخمسة، نجد أن معظمها يرتكز على علاقة العبد بربه، عباداتٍ شخصية يزكّي بها المرء نفسه: الصلاة، الصيام، الشهادة، الحج، بل حتى الزكاة تؤدّى غالبًا بطريقة لا يظهر أثرها الاجتماعي فورًا.

لكن هناك عبادةً خالدة، تفيض أثرًا على من حولك، وتتجاوز حدود النفس إلى المجتمع، تلامس الجياع، وتلبس العراة، وتكفكف دموع الأرامل، وتحيي الكرامة في قلوب المساكين...

إنها عبادة الإنفاق في سبيل الله.

## العبادة التي تَظهر ولا تُظهر

الإنفاق عبادة جليلة، لا يُراد منها المَنُّ ولا الأذى، بل صفاءُ نيةٍ وسريرةٌ نقية.

قال الله تعالى:

> (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى)
> — البقرة: 264

والرياء سمٌّ قاتل، يحوّل العبادة إلى وبال، فلا يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصًا له، ولو كان درهمًا خفيًا يقي صاحبه النار.

وفي الحديث الشريف:

> ``اتقوا النار ولو بشق تمرة.''

لذلك كان الإنفاق الحقيقي هو الذي يصدر عن قلبٍ عارفٍ بأن المال مال الله، وأننا مستخلفون فيه، وأن الإنفاق باب للفوز والرضا، لا استعراض للكرم ولا استعلاء على الفقراء.

## الإنفاق والصلاة: اقتران دائم في الذكر الحكيم

في عشرات المواضع من القرآن الكريم، يأتي ذكر الإنفاق ملازمًا للصلاة، وكأن الله تعالى يُلفتنا إلى أن من صلى ولم ينفق، لم تكتمل عبادته.

قال تعالى:

(الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)
— الأنفال: 3

وقال سبحانه:

(فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ)
— البلد: 11–14

فالإيمان الحق لا يُختزل في سجادة صلاة، ولا يُختصر في دعاء خافت، بل يُقاس بمدى عطائك للناس بما أعطاك الله.

## الأغنياء بين فتنتين: الطغيان أو الإحسان

المال فتنة عظيمة، قد يظن بعض الناس أن امتلاكه دليل تميّز أو تفوق، فيقع في الغرور ويزداد طغيانًا واستعلاءً على غيره.

قال الله تعالى:

(كَلاَّ إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى)
— العلق: 6–7

لكن الله منَّ على من عرف حقيقة المال، فجعله وسيلة للخير لا للشر، فذاق لذة الإنفاق، ووجد سعادته في رسم البسمة على وجوه المحتاجين.

هؤلاء حوّلوا فتنة المال إلى نعمة في الدنيا، وثوابٍ في الآخرة.

## قصة الفقراء الذين غبطوا أهل المال

من أبلغ القصص في هذا الباب، ما رواه الصحابة رضي الله عنهم، حين جاء فقراء الصحابة إلى النبي ﷺ وقالوا:

``ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق.''

فقال لهم النبي  :

``ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه أدركتم من سبقكم ولم يسبقكم أحد إلا من فعل مثل ما فعلتم؟ تسبحون الله دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وتحمدونه ثلاثًا وثلاثين، وتكبرونه أربعًا وثلاثين.''

ففرحوا بذلك، لكن الأغنياء سمعوا وفعلوا مثلهم، فعاد الفقراء إلى النبي  ، فقال  :

``ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.''

الفضل ليس في المال ذاته، بل في كيفية استخدامه.

## المال لا يُشبع النفس... فاحذر

من طبيعة النفس البشرية أنها لا تكتفي. قال رسول الله  :

``لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى لهما ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب.''
— رواه مسلم

الركض خلف المال لا ينتهي، لكن العاقل من جعل المال وسيلة لا غاية، وخادمًا لا سيدًا.

من عرف حدّ الاكتفاء سعد ورضي، ومن جهل هذه الحقيقة شقي، ولو ملك الدنيا كلها.

## هنيئًا لمن جعل ماله كما يحب الله

هنيئًا لمن رأى في المال بابًا للخير، لا وسيلة للفخر.

هنيئًا لمن أنفق فأخفى، وواسى فقيرًا فأسعد، وكفل يتيمًا فارتقى، وآوى مسكينًا فسمت روحه.

هنيئًا لمن عرف أن المال أمانة، لا ملكًا خالصًا، وأنه مسؤول عن كل درهم: من أين اكتسبه، وفيما أنفقه.

## خاتمة: الإنفاق حياة القلوب

الإنفاق في سبيل الله ليس مالاً فقط، بل روحًا تعطي، وقلبًا يرحم، ونفسًا تحيا بغيرها لا لنفسها.

إنها العبادة الوحيدة التي لا تقف عند حدود صاحبها، بل تتعداه لتمسح همًّا، وتكف جوعًا، وتزرع أملاً.

فلنحرص أن نكون من أهلها، ممن يُقال لهم يوم القيامة:

> (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ)
> — الحاقة: 24

# عمر أبو ريشة
# آخر فحول شعراء العرب

``وإذا صحّ أن في الشعر ملوكًا، فعمر أبو ريشة كان سلطانهم المهيب في حضرة الكلمة.''

في زحمة الأسماء، وتغيّر الأزمنة، وتحوّل الشعر من نبض أمة إلى صدى عابر، يظلّ اسم عمر أبو ريشة يلمع كنجمٍ يأبى الأفول.

شاعرٌ نبيل، سليل مجدٍ عريق من مدينة حلب، لكن مجده لم يكن وراثةً اجتماعية، بل صعودًا شعريًا مهيبًا، ارتقى به إلى مصاف الكبار.

وقد يبدو وصفي له بعبارة ``آخر فحول شعراء العرب'' رأيًا شخصيًا لا أُلزم به أحدًا، لكنه اعتقادٌ راسخ في نفسي؛ فمن جمع بين رصانة اللغة، وعذوبة الكلمة، وقوة الأداء، وجمال الإلقاء، لا يمكن أن يكون عابرًا في تاريخ الشعر العربي.

بل هو شاهدٌ عليه، ومُجدِّدٌ فيه، وامتدادٌ لتلك السلالة الشعرية التي جمعت بين الفصاحة والثورة، بين الكبرياء والحنين، بين الحكمة والتمرّد.

## شاعرٌ فخم في حضرة الكلمة

لم يكن عمر أبو ريشة شاعرًا يكتفي بقول الشعر، بل كان يعي هيبة الكلمة، ويعرف وزن القصيدة ومسؤوليتها.

في شعره عمقٌ فكري وسياسي، وشعورٌ قوميّ صادق، وجرأةٌ في التعبير نادرة في زمنٍ كانت فيه الكلمة تُراقَب وتُخنق.

قصائده لا تُقرأ فقط، بل تُلقى كما تُلقى الخطب الكبار. كان صوته في الإلقاء تارةً كالناي المكلوم، وتارةً كالسيف المسلول.

كان يعرف أن الشعر موقف، لا مجرّد موسيقى، ولذلك قال ذات مرة:

``إن لم يكن الشعر قضية، فلا حاجة لي به.''

وكانت قضاياه كثيرة: من قضايا الأمة، إلى شجون الوطن، ومن نداءات الوحدة، إلى رفض الاستسلام، ومن ذكريات حلب، إلى شتاته الدبلوماسي الطويل بين العواصم.

## شاعر الحرف والروح

لم يكن عمر أبو ريشة شاعر السياسة والكرامة القومية فحسب، بل كان أيضًا شاعر الروح، والعقيدة، والنور المحمدي.

ومن يستمع إلى قصائده في مدح رسول الله يدرك أن هذا الشاعر كان يرى في النبي العظيم رمزًا أعلى للحق والجمال والكمال.

ومن أشهر قصائده في هذا الباب قصيدته الخالدة التي خاطب فيها الأمة، ولاذ في ختامها بباب الحبيب المصطفى :

## مختارات من قصيدته في مدح الرسول

أمتي، هل لكِ بينَ الأُمَمْ
منبرٌ للسيفِ أو للقلمْ؟

أتلقّاكِ وطرفي مطرقٌ
خجلاً من أمسكِ المنصرمْ؟

أمتي، كم غصّةٍ داميةٍ
خنقت نجوى علاكِ في فمي!

يا رسولَ اللهِ هل يرضيكَ أن
أمّتي — وهي على سرّاك — تغفو؟

ما لي سوى بابِ الرسولِ وسيلةٌ
إن أُغلِقَت فلأيِّ بابٍ ألتجئْ؟

يا سيّدَ الثقلينِ يا كنزَ الهدى
يا مشرقَ الآمالِ حين تضيقُ

أدعوكَ يا علمَ الهدى فاشفع لنا
ما خاب عبدٌ فيك يرجو ويصدقُ

امتزجت في هذه القصيدة هموم الأمة المعاصرة مع روحانية المديح النبوي.

بدأها الشاعر بنقد الذات، وبكاءٍ صادق على حال الأمة، وختمها باللجوء إلى الرسول الكريم .

ومن الناحية الفنية، اتسمت القصيدة بتوازنٍ دقيق بين الفخامة اللغوية والتعبير الصادق، فجاءت قطعةً خالدة في الشعر الإسلامي الحديث.

بهذه الأبيات، وبما تلاها من معانٍ، يقدّم عمر أبو ريشة صورة الشاعر الخاشع، المُحب، الذي ينثر الشعر لا فخرًا بل توسلاً، ولا مديحًا بل تعظيمًا لخير من مشى على الأرض.

## رعاية الكبار للشاعر الكبير

نال عمر أبو ريشة احترام الجميع، لكنه حظي برعاية خاصة من الأمير الراحل عبدالله الفيصل، الشاعر العربي النبيل، الذي آمن بالشعر والشعراء، واحتفى بأبي ريشة كما يحتفي الفرسان بفارسهم النبيل.

لم تكن تلك الرعاية مجاملة، بل تقديرًا لشاعر حفظ لسان العرب في زمنٍ عزّ فيه الحافظون.

ولما وافته المنية في السعودية عام 1990، كنت حينها في الرياض للعمل، أسكن مع شباب يدرسون في جامعة الملك سعود. وحين عدت من عملي قال لي أحدهم: ``عظّم الله أجركم.''

فاستغربت، ثم قال: ``توفي الشاعر عمر أبو ريشة.''

يومها لم أكن قد قرأت له كثيرًا، لكنني بعد ذلك بحثت عن معظم أشعاره، وصرت أعود إليها بين الحين والآخر، ولا أنسى في كل مرة الدعاء له بالرحمة.

وكان الملك عبدالله بن عبدالعزيز — ولي العهد آنذاك — وفيًّا لمكانة الشاعر، فأمر بتخصيص طائرة خاصة لنقل جثمانه من السعودية إلى وطنه الأم سوريا، ليُدفن في تراب حلب كما أراد.

كانت تلك اللفتة مشهدًا نادرًا من الوفاء، وتجسيدًا صادقًا لاعتراف الكبار بالكبار.

## إرث لا يزول

لم يكن عمر أبو ريشة شاعرًا فحسب، بل ضمير أمة، وصوت جيلٍ عربيٍ متعب، وآخر أعمدة الشعر الفخم قبل أن ينكسر ميزان القصيدة العربية.

لا تزال أبياته تتردد في الخواطر، ولا تزال حكمته تسكن بين السطور، ولا تزال قصائده تُدرّس في الجامعات وتُلقى في المحافل.

لقد عاش هذا الشاعر الكبير مرفوع الرأس، صادق الكلمة، عزيز النفس، ومات كما يليق بالشعراء الكبار، مهيبًا حتى في الرحيل.

## ختام

قد أكون متحيزًا لعمر أبو ريشة، وربما أراه بعيونٍ مختلفة، لكن هذا التحيّز ليس عاطفةً عابرة، بل اعترافٌ بجمالٍ لا يُنسى، وبشاعرٍ يستحق أن يُعاد له الاعتبار في ذاكرة أمة تتناسى رموزها سريعًا.

فلتبقَ يا عمر فينا، كما بقيت في القصيدة، شامخًا، عربيًا، أبديًا.

# من كتم علمًا

# مسؤولية العالم في زمن التفاهة الرقمية

``من كتم علمًا ألجمه الله بلجامٍ من نارٍ يوم القيامة.''
— حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي وغيرهما

هذا الحديث الشريف من أبلغ ما ورد في الوعيد الشديد، لا على الجهل، بل على كتمان العلم النافع حين يحتاجه الناس.

وليس هذا التحذير موجّهًا فقط لعلماء حلقات المساجد، أو مدرّسي المدارس القديمة، بل هو رسالة خالدة لكل من يحمل علمًا نافعًا في أي زمانٍ ومكان، وبالأخص في زماننا هذا: زمن المعرفة المفتوحة، والتواصل الفوري، والمعلومة التي تُنشر بلمسة زر.

## كتمان العلم... صمتٌ لا يُغتفر

كتمان العلم ليس فقط أن تُسأل عن مسألة فتُعرض عن الجواب، بل أن يكون لديك ما ينفع الناس في دينهم أو دنياهم، وتعلم أنهم في أمسّ الحاجة إليه، وتعلم أن وسائل النشر متاحة لك، ثم تختار الصمت.

نحن نعيش في عصرٍ انفجرت فيه المعلومات، لكن تراجعت فيه القيمة.

الشبكات تمتلئ:

- بمحتوى سطحي،
- بترندات تافهة،
- بـ``مؤثرين'' بلا مضمون،

بينما يغيب:

- صوت العارفين،
- والعلماء،
- والمجرّبين،
- والمربين.

وهنا يصبح الصمت ليس حيادًا، بل تفريطًا.

## هل يشملك الوعيد؟

في رأيي الشخصي — والله أعلم — قد يكون داخلاً في وعيد الحديث كل من توفّرت فيه الشروط الآتية:

- يملك علمًا موثوقًا (شرعيًا، طبيًا، لغويًا، تقنيًا، تربويًا...)،
- يعلم أن الناس بحاجة إليه،
- يستطيع نشره دون ضرر معتبر،
- وتتوفر له وسائل النشر،
- ثم لا يفعل شيئًا... لا مقالاً، ولا فيديو، ولا تدوينة، ولا تعليمًا مباشرًا أو غير مباشر.

فكيف يُعذر من رأى الناس يتخبطون في الجهل، ثم أمسك صوته وترك الساحة؟

## ليس المطلوب نجومية... بل أمانة

ليس مطلوبًا منك أن تكون نجمًا، ولا صاحب ملايين المتابعين، ولا أن تملأ المنصات حضورًا.

بل المطلوب ببساطة:

- أن تؤدي زكاة علمك كما تؤدي زكاة مالك،
- أن تكتب أو تُعلّم أو تُبصّر،
- أن تنشر ما استطعت، على قدر علمك، دون تكلّف، ودون مبالغة،
- لكن بنيّة صادقة في نفع الناس.

نشر العلم اليوم لا يحتاج مطبعة، ولا منبرًا، ولا ميزانية.

يكفيك هاتف... وكلمة طيبة.

## كلمة أخيرة: العلم أمانة

لا تكن من الذين كتموا علمهم حتى طغى الجهل، وتحدّث الرويبضة، وملأوا الساحة بما لا ينفع.

إذا كان الجاهلون يرفعون أصواتهم، فإن سكوت أهل العلم جريمة مضاعفة.

وفي الختام أقول:

أدّوا زكاة علمكم، كما تؤدّون زكاة أموالكم، ولا تكونوا ممن يُلجم بلجامٍ من نار وقد كان يستطيع أن يتكلم.

## تنبيه

هذا الطرح رأيٌ شخصي يحتمل الصواب والخطأ، والله أعلم بالنيات والمآلات.

# اطمئن... فلستَ وحدك!

في ظاهرة الضحك على المواقف المتخيلة، ثم الضحك لأنك ضحكت

هل حدث معك يومًا أن كنت وحدك، وفجأة تذكّرت موقفًا مضحكًا، موقفًا ربما لم يحدث أصلاً، أو حدث قبل سبع سنوات، أو قد يكون مجرّد سيناريو صنعه عقلك الفضولي؟

ثم تبدأ بالضحك... ضحكًا صادقًا من القلب، ضحكًا لا يدع مجالاً للشك أن لديك ``موضوعًا خطيرًا''، بينما أنت في الحقيقة تضحك على شيء لا يضحك أصلاً.

ثم تأتي المفاجأة الكبرى: تضحك مرةً أخرى لأنك اكتشفت أن الموقف ``تافه جدًا''!

وتقول لنفسك:

> ``أنا ليش ضحكت أصلاً؟''

ثم تضحك مجددًا على أنك ضحكت على أنك ضحكت!

وتنطلق الحلقة...

## دعني أطمئنك

أنت لست مجنونًا، ولا تحتاج إلى اختصاصي نفسي (حتى الآن على الأقل).

ما يحدث يُعرف علميًا — أو لنقل: شبه علميًا — بما أسميه أنا:

> ``جلسة ضحك داخلية عشوائية غير مبرمجة''

(لا تبحث عن المصطلح... هذا من تأليفي).

هي لحظة ودّية بينك وبين نفسك، تقرران فيها كسر روتين الحياة دون الرجوع إلى أحد.

## أشياء تضحكنا بلا مبرر

- تتذكّر موقفًا محرجًا قديمًا من أيام المدرسة... ضحك جماعي؟ لا! ضحك فردي متأخر بعد خمس عشرة سنة!
- تتخيّل ردًا ساخرًا على حوار لم يحدث أصلاً، ثم تضحك وكأنك ألقيت نكتة العام.
- تشاهد إعلانًا بايخًا، فتضحك على بياخته، ثم تضحك على نفسك لأنك ضحكت عليه!

## لكن... ماذا لو رآك أحد؟

آه... هنا تبدأ الإثارة.

> أنت تضحك وحدك، ثم تلتفت فجأة، فتجد شخصًا ينظر إليك وكأنك تجهّز لانقلاب.
>
> حينها أمامك خياران لا ثالث لهما:

- تحاول ضبط تعابيرك بسرعة، فتبدو متشنجًا أكثر مما لو واصلت الضحك.
- أو تقرّر التجاهل وتكمل الضحك بكل ثقة، فتُدرج رسميًا في سجل ``المشبوهين الهادئين''.

## اطمئن... فلست وحدك

كلّنا فعلناها...

> بعضنا:

- في غرفته،
- في المطبخ،
- في السيارة.

> والمتقدمون بيننا ضحكوا بصوتٍ عالٍ وهم في المصعد أو في طابور البنك.

## لماذا نضحك وحدنا أحيانًا؟

لأن الحياة جادّة جدًا، والأخبار ثقيلة جدًا، والناس مشغولون جدًا،

وأنت تحتاج إلى:

> ``ضحكة غير رسمية''

ضحكة:

- لا تحتاج جمهورًا،
- ولا مبررًا،
- ولا تفسيرًا.

مجرد جلسة مصالحة مع نفسك، وسيناريو طريف في خيالك.

## خلاصة المقال

- إذا ضحكت وحدك... فأنت إنسان طبيعي أكثر مما تتخيل.
- وإذا ضحكت لأنك ضحكت... فأنت تعيش اللحظة وتستمتع بحياتك.
- وإذا سألك أحد:

> ``تضحك على إيش؟''

فأجبه بكل ثقة:

> ``على حاجة ما تضحكش... بس دمّها خفيف!''

## رسالة أخيرة

لا تقلق على نفسك... اطمئن، فلستَ وحدك!

# من ``التجحيش'' إلى التاريخ...
# رحلة عاشق للخرائط ضلّ الطريق إلى مارادونا!

بقلم: عاشق التاريخ الذي لم يسجّل هدفًا رسميًا قط

في عام 1986، تخرّجتُ من الثانوية العامة وأنا أحمل شهادة لا تؤهلني لدخول كلية طب، ولا هندسة، ولا حتى كلية ``نصف طموح''.

كانت النسبة 79 وشعيرات... نعم، شعيرات. لأنك إن ركّزت كثيرًا في رقم النسبة ربما ترى تلك الشعرة اليتيمة التي أبعدتني عن كل ما كان مرغوبًا وقتها!

لكن لا بأس... والدي — رحمه الله — قرّر أن يعوّض النسبة بخطوة نوعية:

جامعة دمشق.

سوريا! حيث الثلج والشتاء، والمسلسلات التاريخية، وحيث نادي الشرطة الذي كنت أحلم بالعودة إليه... لا للدراسة فقط، بل لجلب كأس العالم لسوريا!

نعم... كنت أعتقد أنني مارادونا، لكن... ``مع شعرة''.

لا أجيد التسديد، ولا الجري، ولا الضرب بالرأس، ولا أعرف قدمي اليمنى من اليسرى، لكن الطموح كان ساطعًا... والغرور يعمل بكامل طاقته.

## اللحظة التي غيّرت التاريخ (شخصيًا)

في لحظة مشؤومة من تاريخ الكوكب، قرّر والدي أن يُحادثني.

كنت قد اشتريت مع أخي ملابس شتوية فاخرة، وكأنني مقبل على معركة في ستالينغراد، وعدت إلى البيت لأجده بانتظاري.

قال لي بالحرف الواحد:

``لا تُشدّ الرحال إلى الجغرافيا!''

وأقنعني خلال ثانيتين فقط... وأنا الذي كنت أظن أنني سأُلقي خطاب وداع من سطح البناية قبل السفر!

وبدل جامعة دمشق، سجّلني والدي في كلية الزراعة بجامعة الملك سعود — فرع القصيم.

دخلت الزراعة... وخرجت منها بكوابيس لا تزال تراودني حتى اليوم.

## القصيم... حيث وجدت ما لم أبحث عنه

لكن سبحان الله... في القصيم، وجدت ما لم أكن أبحث عنه أصلاً:

الكمبيوتر.

وانطلقت!

من عام 1986 وحتى 2002، نسيت أن للتاريخ وجودًا من الأساس.

كنت أقرأ فقط في:

- DOS،
- Visual Basic،
- الأزرار،
- الدوال،
- وباقي الطلاسم.

حتى جاء الإنترنت... وأعاد لي العشق المؤجَّل.

## عودة العاشق القديم

بدأت أقرأ مجددًا في التاريخ، عدت إلى مقدمة ابن خلدون، وانطلقت من هناك.

ثم ظهرت المسلسلات السورية التاريخية العظيمة — بإخراج الراحل حاتم علي — فأصبحت ``مدمنًا شرعيًا'' لكل ما هو تاريخي.

عاد الشغف القديم:

- الخرائط،
- العواصم،
- الشعوب،
- الحضارات.

لكن القدر... يملك حسًا فكاهيًا عجيبًا.

فبدل أن أصبح:

- مارادونا سوريا،
- أو خبير جغرافيا،

أصبحت:

> مبرمجًا يعرف كيف يحرّك المؤشر، ولا يعرف كيف يركل الكرة.

## الخلاصة

الحياة لا تسير حسب الخطط.

و``التجحيش'' مرحلة عظيمة في تكوين الشخصية.

وما تحبّه في صغرك قد يعود إليك في شيبك... لكن أقوى، وأعمق، وأهدأ.

واليوم، بعد التقاعد، وبعد أن هدأت الزراعة، وخفت صدمات ``التجحيش''، جاءتني فكرة بسيطة:

> لماذا لا أفتح صفحة... وموقعًا... عن التاريخ؟

ليس كخبير، بل كمحبّ قديم عاد إليه عشقه الأول.

فكل تلك الخرائط القديمة... كانت ترسم لي الطريق من البداية، لكنني كنت منشغلاً بكأس العالم.

## رسالة ختامية

- إذا تخرّجت بنسبة ``تجحيشية''، لا تيأس... قد ينتهي بك الحال خبيرًا في مجال لم يكن على البال.

- إذا كنت تحب شيئًا، فاعلم أنه سيعود إليك... حتى بعد عقود.
- وإن قالوا لك: ``لا تُشدّ الرحال للجغرافيا''... فلا بأس، عُد في الوقت المناسب، واصنع منها موقعًا.

# من مبرمج مبتدئ إلى محترف مطلوب في سوق العمل
# خارطة الطريق التي تصنع الفرق

في كل عام، يدخل آلاف المبرمجين الجدد إلى سوق العمل، لكن قلة قليلة فقط تنجح في الوصول إلى مستوى الاحتراف الحقيقي الذي يجعلها مطلوبة بشدة، برواتب مجزية، وفرص عمل محلية وعالمية.

الفرق لا يكمن في عدد اللغات التي تعلموها، ولا في كثرة الدورات التي حضروها، بل في العقلية المهنية، وفهم طبيعة السوق، وبناء مسار مهني مدروس منذ البداية.

في هذا الفصل، أضع بين يديك خارطة طريق عملية، واقعية، ومجربة، تساعدك على الانتقال من مرحلة التعلّم العشوائي إلى الاحتراف الذي يُصنع به المستقبل.

## 1. آمن بنفسك أولاً

البرمجة لا تتطلب عبقرية خارقة، بل عقلاً منظمًا، وصبرًا طويلاً، وقدرة على الاستمرار. الثقة بالنفس ليست غرورًا، بل إيمانًا بأنك قادر على التعلم والتطور مهما كانت نقطة البداية.

من لا يؤمن بنفسه، سيتوقف عند أول خطأ، بينما المحترف يرى الخطأ خطوة طبيعية في طريق الإتقان.

## 2. حدِّد تخصصك مبكرًا

سوق البرمجيات واسع، ومن الخطأ أن تظل تائهًا فيه بلا اتجاه واضح. هل تميل إلى:

- تطوير الويب؟
- تطبيقات الهواتف الذكية؟
- الذكاء الاصطناعي وتعلم الآلة؟

- الأمن السيبراني؟
- الأنظمة منخفضة المستوى؟

جرّب، استكشف، وتحدث مع مختصين، ثم اختر مسارًا رئيسيًا تركز عليه بعمق، فالتخصص هو بوابة الاحتراف.

## 3. تعلّم من مصادر قوية ومحددة

لا تغرق في بحر الإنترنت بلا بوصلة. اختر مصادر موثوقة، وابدأ من الأساسيات الصلبة:

- مفاهيم البرمجة العامة
- هياكل البيانات
- الخوارزميات
- البرمجة كائنية التوجه
- فهم أنظمة التشغيل وكيف يعمل الحاسوب

المحترف لا يحفظ الأكواد، بل يفهم ما يحدث تحت السطح.

## 4. الانضباط اليومي يصنع الفارق

ساعة واحدة يوميًا، بانتظام، أفضل من عشر ساعات متقطعة. الاستمرارية هي السر الخفي الذي يميز المحترفين عن المتوقفين.

اجعل التعلم عادة يومية، لا نشاطًا موسميًا.

## 5. لا تُهمل العلوم الداعمة

الرياضيات، المنطق، وأساسيات علوم الحاسوب ليست ترفًا. هي أدوات تفكير تجعلك:

- تحلل المشكلات بعمق
- تصمم حلولاً أنظف

- تكتب كوداً أكثر كفاءة

كلما قوي الأساس، سهل عليك البناء فوقه.

## 6. المشاريع هي ميدانك الحقيقي

قولك: ``أنا أتقن لغة كذا'' لا قيمة له دون دليل عملي. المشاريع هي البرهان الوحيد على مهارتك.

ابدأ بمشاريع بسيطة، ثم انتقل تدريجيًا إلى:

- مشاريع تحل مشاكل حقيقية
- تطبيقات متكاملة
- أدوات أو مكتبات صغيرة

هذه المشاريع ستكوّن معرض أعمالك .(Portfolio)

## 7. شارك في المجتمع التقني

لا تتعلم في عزلة. شارك في:

- مراجعة أكواد الآخرين على GitHub
- المنتديات التقنية
- المسابقات البرمجية
- المجتمعات المحلية والعالمية

الاحتكاك بالمحترفين يسرّع نضجك البرمجي أكثر مما تتخيل.

## 8. لا تتردد في التدريب العملي

خصوصًا في بداية الطريق، لا ترفض تدريبًا داخليًا بحجة ضعف المقابل المادي. الخبرة العملية تصنع فارقًا حاسمًا عند التوظيف، وتفتح لك أبوابًا لم تكن تتوقعها.

## 9. راقب السوق وكن مرنًا

التقنية تتغير بسرعة، والمحترف هو من يواكب دون أن يفقد أساسه.

من التقنيات المطلوبة حاليًا في كثير من الأسواق:

- React
- Node.js
- Python
- Flutter
- Docker
- Kubernetes
- Cloud Platforms مثل AWS

لا تتعلم كل شيء، بل ما يخدم تخصصك ومسارك.

## 10. ابنِ هويتك الرقمية كمحترف

احرص على أن يكون لك حضور مهني واضح:

- حساب GitHub نشط ومنظم
- حساب LinkedIn يعكس مهاراتك وإنجازاتك
- معرض أعمال واضح بمشاريعك
- سيرة ذاتية تركز على المهارات والمشاريع لا على الشهادات فقط

## الرسالة الأهم

سوق العمل اليوم مزدحم بالمبرمجين، لكن المحترفين الحقيقيين لا يزالون نادرين.

إن اجتهدت، والتزمت، وبنيت نفسك بعقلية صحيحة، ستصنع لنفسك مكانًا يليق بطموحاتك، مهما كانت المنافسة.

وإن وجدت في هذه الخارطة فائدة، فشاركها، فربما كنت سببًا في إضاءة طريق مبرمجٍ في بداياته.

# سفينة التنمية... ومجاديف البطالة المقنَّعة

في كل أمةٍ تسعى إلى النهوض، تمثّل الوظائف الحكومية أحد أهم المجاديف التي تدفع بسفينة التنمية إلى الأمام. غير أن هذه المجاديف قد تتحول ـ في بعض الأحيان ـ إلى أحمال ثقيلة، لا تُحرّك السفينة، بل تُبطئ مسيرتها، وربما ـ إذا كثر عددها ـ أوقفتها تماماً، فتتحجّر عجلة النمو في مكانها.

لقد أدركت دول كثيرة هذه الحقيقة، فاتجهت إلى خصخصة قطاعات حكومية كاملة، بحثًا عن الكفاءة وتقليل الهدر. أما في بلادنا، فإن خصخصة كثير من القطاعات ليست دائمًا خيارًا سهلاً أو ممكنًا، فيبقى الأمل معقودًا ـ بعد توفيق الله ـ على وعي المسؤولين، والتوعية الجادة، والمراقبة الكاملة والصارمة.

لسنا هنا في مقام الطعن في جوهر الوظيفة الحكومية، فكم من موظفٍ مخلصٍ شريف، جعل من مكتبه منبرًا لخدمة الوطن، ومن وقته رصيدًا في بنك الإنجاز. لكن الحقيقة المُرّة أن في المقابل من يتقاضى أجرًا دون عمل، ومن يجعل من الكرسي وجاهة بلا مسؤولية، ومن يتزين بالمنصب دون أن يعرف معنى الأمانة.

## البطالة المقنَّعة: العدو الصامت

في بعض إداراتنا الحكومية، يعمل موظف أو اثنان بكل اجتهاد، يحملان على أكتافهما ثقل الإدارة كاملة، بينما ينشغل الآخرون باجتماعات طويلة، وأحاديث جانبية، وانتظارات لا تنتهي حتى ساعات الانصراف.

إنها بطالة مقنَّعة لا يُعترف بها رسميًا، لكن آثارها تئن منها المكاتب، وتعاني منها المعاملات، ويتعثر بها طريق الوطن.

كنتُ دائمًا أرى الوظائف الحكومية كسفينةٍ ضخمة، تمخر عباب البحر نحو مرافئ التنمية والازدهار. وكل موظفٍ على ظهرها له دورٌ واضح:

- إمّا أن يجدّف بصدق،
- أو يترك غيره يجدّف عنه،
- أو يُثقل السفينة حتى تكاد تغرق.

والمفارقة المحزنة أن بعض من يُثقلون السفينة يكلفون الدولة أضعاف ما يستحقون، ومع ذلك تُمنح لهم الامتيازات، وتُفتح أمامهم أبواب الترقيات، لا وفق معايير الكفاءة، بل بقرارات المجاملة والعلاقات.

## حين يصبح الغياب أوفر للوطن

لذلك، لا أجد حرجًا في أن أقولها بصراحة: إن بعض هؤلاء، لو بقوا في بيوتهم مع رواتبهم، لكان الضرر أقل، ولربما كسبنا الوقت، والكفاءة، وسلامة العمل.

فالوطن لا يحتاج أجساداً تشغل الكراسي، بل عقولاً وضمائر تملأ الفراغ عملاً وإخلاصًا.

## المناصب لمن يستحقها... لا لمن يطلبها

من أخطر ما يجب معالجته في هذا السياق: ربط الامتيازات بالمناصب، لا بالإنجاز. فالمنصب يجب أن يكون:

- تكليفًا لا تشريفًا،
- مسؤولية لا وجاهة اجتماعية،
- عبئًا يُحاسَب عليه صاحبه، لا وسامًا يتباهى به.

نحن بحاجة إلى ثورة إدارية ثقافية تُرسّخ مبادئ واضحة، منها:

- من يعمل يُكافأ.
- من يتكاسل يُحاسب.
- الترقية لا تكون بالمجاملة، بل بالتقييم الدقيق والواقعي.

كم من موظف حصل على تقييم مرتفع لأنه ``صاحبنا''، بينما لا يستحق إلا القليل! وكم من مدير أتقن فن رفع التقييمات لأصدقائه، ولو كانت ملفاتهم خاوية من أي إنجاز!

وإذا أُعطي أحدهم تقييمًا متواضعًا مستحقًا، انقلب إلى خصم، وبدأت حملات التذمر، وكأن الإنصاف جريمة، وكأن النقد إهانة!

## خاتمة: الأمانة مسؤولية الجميع

سفينة الوطن لا ينبغي أن تُبحر إلا بمن يستحق ركوبها. وسيرها الآمن أمانة في أعناق كل من عليها.

فلنخفف الأحمال الزائدة، ولنُبحر بمن يحملون الهمّة لا الهوية، وبمن يتزيّنون بالعمل لا باللقب.

فالوطن لا يقوم إلا على أكتاف من أحبّوه بصدق، وخدموه بأمانة، وعملوا بصمت... لا على من بهرونا بالكلام، ثم أغرقونا بالخذلان.

# وفاءٌ في العناية المُشدَّدة... ادعوا له

في هذا الزمن، أصبح الوفاء كأنه مريضٌ في العناية المُشدَّدة، لا يُدرى أيرجع إلى الحياة أم يُكتب له الموت السريري. ذلك الخُلُق الذي كان يومًا عملةً نادرة، صار اليوم ذكرُه باعثًا على السخرية، كأننا نتحدث عن كائنٍ منقرض، أو عن أسطورةٍ تُروى للأطفال قبل النوم.

أصبحنا نرى من يمدّ يده بالعطاء يُهان، ومن يُحسن يُنسى، ومن يُضحي يُخذل. تُساعد إنسانًا يومًا أو عامًا، ثم يعود عليك يومًا وكأنك أنت المحتاج، لا هو. وقول النبي ﷺ:

«من لا يشكر الناس لا يشكر الله»

صار عند كثيرين عبارةً تُزيّن الجدران، ولا تسكن القلوب.

## الفقراء المتعففون... بقايا النقاء

وتبقى تلك القلّة النادرة، التي احتفظت بنقائها وسط الطوفان: الفقراء المتعففون، الذين قال الله فيهم:

«يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف»

يعيشون بالكفاف، لا يمدّون أيديهم، ولا يشتكون إلا إلى الله. بل العجيب أنهم يُحسدون على صمتهم، وعلى عزّتهم، وعلى وقوفهم رغم الجراح. يُقال عنهم: «من أين لهم؟» وكأن الكرامة تُباع في الأسواق، وكأن العفاف لغز، أو تُهمة تحتاج إلى تحقيق.

وعلى الطرف الآخر، ترى من إذا أُعطي قليلاً من المال، ظنّ أن الله جعله محور الكون. ينسى من وقف معه، ينسى صبر الناس عليه، ينسى ضعفه القديم. يطلب من الله المزيد، ومن الناس التقديس، وإذا رأى من هو أعلى منه قال: «أنا أحق».

## أزمة الوفاء في سوريا: أربعة عشر عامًا من الخذلان

منذ بداية الأزمة السورية، وما تبعها من تهجيرٍ قاسٍ، انقلبت أحوال كثيرين. من كان في بحبوحة، صار ينتظر المعونة. سنوات طويلة تقاسم الناس فيها لقمة العيش؛ من استطاع أعطى، ومن لم يستطع آثر غيره على نفسه.

لكن الكارثة الحقيقية لم تكن في العاجز، بل في من عاد إلى بلده وقد استعاد رزقه ومكانته، ثم نسي كل من وقف معه.

بعث الله له من يساعده خالصًا لوجهه، وكان الواجب أن يردّ المعروف، أو على الأقل ألا ينساه. لكنه عاد يرفع رأسه كأن شيئًا لم يكن، يمسك المال بيمينه وشماله، ويحسب أن كل ما أُعطي له رزقٌ مجرد، لا فضل فيه لأحد.

نسوا أن بعض الناس باعوا ذهبهم ليرسلوا ثمن دواء. نسوا أن الجوع مرّ على من ساعدهم، حتى لا يمرّ عليهم. نسوا أن الكرام لا يردّون المحتاجين، لا لأنهم أغنياء، بل لأنهم يرحمون عزيز قومٍ ذلّ.

## حين تصبح المعرفة ذُلاًّ

ومن باب شهادة الحق وتجربة العمر، أروي ما عشته بنفسي. قضيت ما يقارب أربعين عامًا في عالم البرمجة والتعليم والتدريب. علّمت عشرات، بل مئات من الطلاّب، أعطي دون منّة، وأعلّم دون انتظار مقابل.

لكنني اكتشفت مع السنين ظاهرةً موجعة: أن بعض من يتعلّم، يتحوّل التعليم في نفسه إلى عبء، بل إلى وصمة. كأن شكر المعلّم إهانة، وكأن الاعتراف بالفضل نقصٌ في الكرامة.

رأيتهم يتوارون عني في الأسواق، يُخفضون أبصارهم، يُشيحون بوجوههم، يهربون من لقائي، كأنني أذكّرهم بذنب. والذنب الوحيد... أنني علّمتهم.

ومن بين كل من درّستهم، لم أجد من حفظ الجميل إلا رجلاً واحدًا، علّمته درسًا واحدًا لا أكثر، لكنه بقي وفيًّا، يذكر المعروف ولا ينكره.

## ومن علّمني أول الحروف...

ولا يمكنني الحديث عن الوفاء دون أن أنحني احترامًا لرجلٍ فتح لي أول أبواب هذا العالم الذي عشت فيه عمري.

قبل تسعةٍ وثلاثين عامًا، علّمني لغة BASIC وقواعد بيانات DBase III+. لم يصنع مني مبرمجًا فقط، بل منحني مفتاحًا لفهم عالمٍ لم يكن قد انفتح بعد.

كان أستاذًا متواضعًا، أعطى علمه كأنه يزرع في أرضٍ لا ينتظر منها حصادًا، ثم انسحب في صمت عام 1995، كأن مهمته قد انتهت.

لكنه لم ينسحب من ذاكرتي، ولا من قلبي. فالوفاء للمعلم خُلُقٌ من أخلاق الإسلام، وقد قال النبي ﷺ:

«إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»

## خاتمة

نشهد اليوم زمنًا صار فيه الطمع عملة، والجحود شطارة، والنكران ذكاءً اجتماعيًا. بينما الوفاء يتلوّى في العناية المشددة، موصولاً بأجهزة التنفّس، يصارع البقاء وسط هذا الخراب الأخلاقي.

فلندعُ للوفاء أن ينجو... أو لنقرأ عليه الفاتحة.

أسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، أن يعزّ كل متعففٍ عزيز النفس، وأن يذلّ كل طماعٍ جاحد، وأن يُسود وجوه من عاشوا على الغدر والنسيان، وأن يرحم من وفّى ثم أنهكه الزمن... وأخصّ بالذكر الوفاء نفسه، الممدَّد على سرير الغيبوبة منذ زمن طويل.

# إثراء... حين تُهدي أرامكو للمستقبل صرحًا من نور

في بلادٍ تُبنى على العزم، وتُدار بالحكمة، ليس غريبًا أن تُطل أرامكو، عملاق الطاقة، بوجهها الآخر... وجه الثقافة، والمعرفة، والإنسان. لم أكن أُدرك، وأنا أستعد لزيارة مركز الملك عبدالعزيز الثقافي العالمي «إثراء»، أنني على موعد مع صرحٍ لا يُشبه إلا ذاته؛ صرحٍ يفوق الوصف، ويُخرس الأقلام، ويجعلك تقف طويلاً أمام بوابة الحضارة، موقنًا أن ما تراه ليس مجرد مبنى، بل فكرة متجسدة، ورؤية تمشي على الأرض.

حين وصلت إلى الدمام، ذكّرتني ابنتي بألا أنسى زيارة «إثراء». ذاك المكان الذي تُجمع الآراء على كونه جنة العلم، ومتنزّه الفكر، وحديقة الفن، ومنارة الباحث، وملتقى المبدع. قالوا لي: «ستحبّه»... لكنني لم أكن أعلم أنني سأسكنه، لا زيارةً عابرة، بل دهشةً مقيمة، وقلبًا منفتحًا، وعينًا لا تملّ النظر.

دخلته مرارًا بصحبة أسرتي وأطفالي، نتجوّل في أروقته، نحضر فعالياته، ونتأمل هندسته التي تمزج الصحراء بالحداثة في معزوفة بصرية بديعة. لكن زيارتي الأخيرة كانت مختلفة؛ دخلته وحيدًا، في زيارة شخصية نادرة، رغم أنني قلّما أخرج بمفردي.

وهنا كانت المفاجأة...

رغم وحدتي، لم أشعر بالوحدة قط. فمنذ لحظة الوصول، استقبلني الأمن بابتسامة واحترام، ثم فريق الاستقبال، ثم كل موظف التقيته في مصعدٍ أو قاعةٍ أو ممر. وجوهٌ مُضيئة، كلماتٌ طيبة، وأسئلةٌ مرحَّب بها، كأنك ضيفٌ عزيز في بيتٍ بُني ليُكرمك، لا ليبهرك فحسب.

مهما حاولت وصف هذا المكان، فلن أوفيه حقه. فـ«إثراء» ليس مجرد مبنى، بل رؤية ثقافية شاملة، وتجسيد حيّ لما يجب أن تكون عليه العلاقة بين الشركات والمجتمع، بين رأس المال والمعرفة، بين الطاقة المادية والطاقة الروحية.

وكما قال الشاعر:

وعلى قدرِ أهلِ العزم تأتي العزائمُ وعلى قدرِ الكرامِ تأتي المكارمُ

فهذا الصرح لم يكن ليولد إلا من أهل عزم، وفي وطنٍ كرمُه سابق، وعطاء رجاله ونسائه لا يعرف حدودًا.

ويبقى الأمل – وربما الطموح – في ألا تظل هذه التجربة محصورة في الظهران وحدها. أرامكو قادرة، بل جديرة، بأن تكرر «إثراء» في الرياض، وجدة، ومكة، والمدينة، وأبها، وتبوك... في كل مدينة تحتضن أبناءها ومقيميها بحب. بل ويتجاوز الطموح حدود الوطن: لمَ لا نرى «إثراء دمشق»، و«إثراء القاهرة»، و«إثراء الدار البيضاء»؟ نعم، هو طموحٌ كبير... لكنه طموحٌ حين يكون في أرامكو، لا يُعد مبالغة، بل أمنية نبيلة، ورجاءً مشروعًا.

هذا الصرح ليس ملكًا لمن أنشأه فحسب، بل لكل من مرّ به وخرج محمّلاً بفكرة، أو ابتسامة، أو تجربة غيّرت شيئًا في داخله. وهنا جوهر الرسالة: أن نُثمر، وأن نُثري، وأن نزرع النور حيث كان الظلام.

تحيةٌ لأرامكو... لأنها لم تُضِئ الأرض بنفطها فقط، بل أضاءت العقول بالمعرفة، والقلوب بالأمل.

# ردًا على قصيدة وزير الثقافة السوري: دمشق لنا إلى يوم القيامة... ولكن لمن تكون القيم؟

حين صدح وزير الثقافة السوري بالبيت الذي اختتم به قصيدته الوطنية:

دمشقُ لنا إلى يومِ القيامة

اهتزّت مشاعر كثير من السوريين؛ فمَن لا تحرّكه دمشق؟ ومن لا تعنيه خلودًا في الوجدان قبل الجغرافيا؟

لكن، وفي خضمّ هذا الحماس، ووسط الجهد الذي تبذله الدولة في الملفات السياسية والاقتصادية ـ وهي ملفات لا يختلف اثنان على أنها من أعمدة الاستقرار ـ لا بدّ من التوقّف عند ركنٍ ثالث لا يقلّ أهمية ولا خطورة حين يُهمَل، وهو: الركن الاجتماعي والقيمي.

## أزمة القيم في سوريا: الانهيار الصامت

على مدى أكثر من خمسين عامًا، عانى المجتمع السوري من تآكلٍ تدريجي في منظومة القيم الاجتماعية والإنسانية التي كانت تُشكّل نواته الأخلاقية الصلبة. لم يكن هذا الانهيار وليد صدفة، بل جاء في كثير من جوانبه نتيجة مسارٍ طويل من التغاضي، أو التهميش المتعمّد، حتى بلغنا اليوم مرحلة يمكن وصفها بالحضيض القيمي.

من كان يتخيّل أن الروابط العائلية ستضعف إلى حد القطيعة بين الإخوة؟ من كان يظنّ أن الأمانة ستغيب عن أبسط التعاملات اليومية، وأن يتحوّل الغش من عيبٍ إلى مهارة؟ من كان يتوقّع أن يتقدّم الكذب والمجاملة الفارغة على الصدق والصراحة في العلاقات؟

أين الإيثار والتضامن؟ أين الحياء والاحترام؟ أين الوفاء والجيرة الحسنة؟

## قيم كانت موجودة... وغابت

حتى خمسينيات القرن الماضي، كان المجتمع السوري يُضرَب به المثل في:

- الأمانة في المعاملة، حتى بين الغرباء.
- التكافل الاجتماعي، حيث لا يُترك جائع أو مريض دون التفات الجيران.
- الاحترام بين الأجيال؛ للوالدين مقام، وللكبير هيبة، وللمعلّم مكانة لا تُمس.
- الحياء واللغة المهذّبة؛ لم تكن الشتائم والابتذال جزءًا من الخطاب اليومي.
- الصدق والوفاء في الصداقة والحب والتعامل.
- الاعتزاز بالوطن عبر العمل والضمير، لا بالشعارات فقط.
- مروءة الرجل ونخوة المرأة، وتقديم الأخلاق على المادة.

## كيف تآكلت هذه القيم؟

لم يكن تغييب القيم مصادفة، بل ساهمت فيه عوامل متراكمة، من أبرزها:

- إعلام ركّز على الشعارات وأهمل بناء الضمير.
- غياب قوانين رادعة تحمي الضعيف وتكافئ النزيه.
- اقتصاد الحرب والحاجة والفقر، الذي دفع كثيرين إلى تبرير التنازل الأخلاقي.
- نظام تعليمي فقد دوره التربوي لصالح التلقين والنجاح الشكلي.
- قضاء غير منصف أحيانًا، ومحسوبيات طغت على الاستحقاق.

## دعوة للإصلاح من الداخل: البداية من الإنسان

الردّ الحقيقي على القصيدة لا يكون ببيتٍ شعري آخر، بل بسلوك فردي وجماعي واعٍ:

- أن يبدأ كل سوري بإصلاح نفسه وبيته وسلوكه اليومي.
- أن تُغرس في الأبناء قيم الصدق والكرامة والتسامح.
- إطلاق حملات توعية وطنية عبر الإعلام والمؤسسات التعليمية والثقافية والدينية.
- سنّ قوانين واضحة تحارب الفساد الأخلاقي، لا المالي فقط.
- إبراز النماذج الإنسانية المشرّفة في الإعلام، بدل تلميع التافهين والوصوليين.

## خاتمة: دمشق لنا... فلنكن نحن لها

نعم، دمشق لنا إلى يوم القيامة. لكن السؤال الأصدق: هل نحن لها كما تستحق؟

هل يعقل أن تكون دمشق خالدة، ونحن نفقد الأخلاق التي خلّدت ساكنيها؟ فلنُحيِ فينا من جديد القيم الأصيلة التي ميّزتنا، لا لنعيش ماضيًا رومانسيًا، بل لنصنع حاضرًا يليق بتاريخ هذا البلد العظيم، ومستقبلاً يستحقه أبناؤه.

# الشِّعرُ المُغنّى... وسِحرُ الكلمة بين الأذن والقلب

ما الشِّعرُ؟ هو ذلك الفنّ القديم الذي وُلد من نَسَق الكلمة وتآلف الإيقاع، من رقّة التعبير ووقع الحرف. هو صياغةٌ موسيقية للّغة، تُحاك فيها الألفاظ كما تُحاك خيوط الحرير في ثوبٍ ملكيّ، لا يلبسه إلا ذو ذوقٍ راقٍ وسمعٍ شغوف.

الشِّعر ليس كلامًا عابرًا، بل بناءٌ لغويٌّ منمّق، له هندسته اللفظية، وإيقاعه الباطني، ونبضه الموسيقي، الذي يستقرّ في الأذن ثمّ يهوي إلى القلب، فيُثير المشاعر، ويُحرّك السواكن، ويُنعش الذوق.

## الشِّعرُ المُغنّى: حين تصير الكلمة لحنًا

الشِّعر المُغنّى هو ذلك الشعر الذي يُكتب ليُلحَّن ويُغنّى، فتجتمع فيه ثلاثة عناصر متكاملة: الوزن الموسيقي، القافية، وعذوبة المعنى. ولأن الشِّعر العربي وُلد في بيئة لا تعرف الأوركسترا ولا الآلات الوترية، كان الشِّعر نفسه لحنًا.

كانت الأبيات تُلقى فتطرب لها القلوب، وتتمايل لها الرؤوس، وكأن قيثارةً خفيّة تعزفها. لم يكن الغناء إضافةً على الشِّعر، بل كان امتداداً طبيعيًا له.

ولذلك لم يكن الشِّعر المُغنّى محصورًا في التلحين الحديث أو المسارح، بل كان الشِّعر العربي منذ الجاهلية شعرًا مُغنّى بطبيعته، لأن الأذن العربية مرهفة، تألف الإيقاع، وتنفر من النثر الجاف. ومن هنا نُظمت المعلّقات بأوزان الخليل، وأُنشدت في أسواق العرب الكبرى كعكاظ، فحُفظت وطُرّبت وخلدت.

## الشِّعر غير المُغنّى: الفكر فوق الإيقاع

أمّا الشِّعر غير المُغنّى، فيميل غالبًا إلى الفكر أكثر من الميل إلى الطرب، مع احتفاظه أحيانًا بإيقاع داخلي خافت. وهذا النمط يكثر في الشِّعر الحديث، كشعر التفعيلة أو الشِّعر الحر، حيث تُكسر القيود الوزنية، وتتقدّم الفكرة على الموسيقى.

هذا اللون لا يُعاب في ذاته، بل يُقوَّم بعمق معناه وبلاغة تعبيره، غير أنّه يفتقد تلك اللذّة السمعية التي تشبه رقص الكلمات الصامت في آذان العاشقين. إنّه يُقرأ أكثر مما يُنشَد، ويُفكَّر فيه أكثر مما يُطرب له.

## لماذا غنّى العرب شِعرهم؟

لأن الشّعر في جوهره صوتٌ وصدى ووقع. وُلد ليُرتَّل لا ليُقرأ في صمت. لم يكن الشاعر العربي مؤلفًا جافًا، بل كان منشِدًا، مُطرِبًا، مؤثّرًا. وكانت القبائل تُقيمه مقام الزعيم، فهو لسانها في الفخر والهجاء، في المدح والرثاء.

في الغزل كان الشِّعر نغمة حب، وفي الرثاء كان أنين فقد، وفي المديح كان زغرودة فخر، وفي الهجاء كان صرخة ثأر.

ولولا قدرة الشاعر على نظم الكلام بما يُدهش ويُبكي ويُغضب ويُبهج، لما نال هذه المنزلة. كانت الكلمة سلاحًا ذا حدّين: إن مدح رفَع، وإن هجا قطَع.

## الشِّعر والقرآن: الكلمة بين البشر والوحي

ولأن العرب بلغوا بالشِّعر ذروة البيان، فقد واجهوا القرآن بالمعيار ذاته. بهرهم نظمه، وهزّ آذانهم جرسه، لكنه لم يكن شعرًا ولا نثرًا.

وحين نزل الوحي على محمد ، لم يجد المشركون توصيفًا أقرب إلى أذهانهم من قولهم:

إنه شاعر... إنه كاهن... إنه ساحر

لأن القرآن أحدث في أسماعهم الهزّة ذاتها التي يُحدثها الشِّعر العظيم، بل أعمق، ومع ذلك عجزوا عن تصنيفه.

ووقف الوليد بن المغيرة، أحد فطاحلة البلاغة، أمام القرآن مذهولاً فقال قولته الخالدة:

والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يُعلى عليه.

لقد أدرك أن الكلمة حين تكون من عند الله، تصير لها روح لا يملكها بيان البشر.

## خاتمة: الشِّعر... حين تتنفس اللغة

الشِّعر المُغنّى ليس مجرد لونٍ فني، بل هو جوهر الشِّعر العربي، ومرآة ذائقته الموسيقية منذ الجاهلية إلى اليوم. هو البلاغة المنغّمة التي تدخل الأذن قبل القلب، فتسكن الوجدان.

أمّا الشِّعر غير المُغنّى، فله مقامه حين يُحسن الشاعر بناءه، لكنه يظلّ كلوحة جميلة تُرى، لا كنغمةٍ تُطرب.

الشاعر الحقيقي لا يُقاس بعدد أبياته، بل بأثر كلماته؛ هو الذي يجعل الحرف رقصة، والبيت أغنية، والمعنى جرحًا أو شفاء.

ولذلك ستبقى الكلمة الموزونة المنغّمة تملك السحر... سحر الشِّعر المُغنّى.

# حين تَعتمُ النظّارة ويَصُمّ السَّمع: عن سُكرِ المناصب وتغيّر الإنسان

تخيَّلْ -- ولو مجازًا -- أن كلَّ إنسان يضع على عينيه نظّارة، وعلى أذنيه سماعات. لا يرى إلا من خلالها، ولا يسمع إلا بما تنقله. فما الذي يحدث حين ينتقل هذا الإنسان من موقعٍ إلى آخر؟ حين يصعد من الرصيف إلى البرج، من الصفّ الخلفي إلى صدر المجلس، من الخيمة إلى المنصّة؟

الحقيقة المُرّة، التي تشهد بها الوقائع يومًا بعد يوم، أن كثيرًا من الناس يتغيّرون حين يعتلون المناصب. يتبدّل بصرهم، ويتبدّل سمعهم، ويختلّ إدراكهم للأشياء. وكأن النظّارة التي كانت تكشف التفاصيل تُصاب فجأةً بعُتمة، والسماعات التي كانت تنقل صوت الناس، تبدأ بتصفية ما لا يعجبهم، وتضخيم ما يُرضيهم.

## مشهد بسيط... لكنه مرآة لحقيقتنا

في حلقة شهيرة من مسلسل مرايا (1986)، جلس سائقو مكتب التوصيل يتحدّثون بحرارة عن المدير الجديد، الذي كان حتى الأمس زميلهم، يُحسن إليهم ويقف في صفّهم. لم يتركوا خصلة طيبة إلا وألصقوها به، مدحًا وتفاؤلاً.

ثم دخل هو، مبتسمًا، صافحهم، جلس على الكرسي الجديد، وبدأ يستمع. وبعد أن أنهوا حديثهم، خلع نظّارته، وأخذ يمسح عدستيها وقال:

> يا جماعة... في شي غريب صار! لحد مبارح كنت شوف منيح... واليوم، في أشياء ما عم شوفها أبدًا...

انتهت الحلقة، لكن رمزيتها بدأت.

## هل يُغيّر المنصب الإنسان؟ أم يكشفه؟

المنصب لا يخلق شخصية جديدة، لكنه يُظهر ما كان خافيًا منها. هو كالكشّاف الذي يُسلَّط على الداخل. إن كان الداخل متواضعًا، بقي صاحبه على الأرض وإن علا منصبه. وإن كان فيه كبرياء مستتر، فإن الكرسي يُضخّمه، ويُشعل فيه نار العلوّ والاستعلاء.

المنصب لا يُفسد الجميع، لكنه يفتن أغلبهم. فتنة المنصب ليست فتنة سلطة فقط، بل فتنة نفس:

- حين يبدأ الناس في مجاملتك لا محاورتك،
- حين تتحوّل النبرة من النقد إلى التبجيل،
- حين تتغيّر نظرة الزملاء إليك... وتتغيّر نظرتك أنت إليهم.

هنا، تبدأ النظّارة بالتعتم، والسماعات بالتشويش.

## نفس الإنسان في مواجهة الكرسي

من الطبيعة البشرية أن يُسحر الإنسان بالمكانة، وهذا لا يُلام فيه. لكن الخطر حين يُستعبد لها، فيعيش لأجل أن يُرى، لا لأجل أن يرى.

تتبدّل الأولويات:

- بدلاً من أن يُصغي للناس، يُصغي لمن يُعجبه حديثهم فقط،
- وبدلاً من أن ينظر للواقع كما هو، يبدأ برؤيته كما يُحب أن يكون.

وهكذا، تتآكل بصيرته... وهو لا يشعر.

## متى يبقى الإنسان ثابتًا رغم المنصب؟

يبقى الإنسان ثابتًا حين يعرف نفسه قبل أن يعرف مكانته. حين يُدرك أن المناصب عارية، لا تلبث أن تُنزع. وحين يزرع في نفسه ثلاث ثوابت لا تتغيّر:

- الكرسي لا يمنحك قيمة، بل أنت من يمنح الكرسي قيمته.
- من صعد على أكتاف الناس، لا بد أن يهبط على رؤوسهم إن خانهم.
- القائد الحقيقي هو الذي كلما علا... انحنى ليسمع من تحته.

## حلول ناجعة: كيف يُحارب الإنسان فتنة المنصب؟

- المحاسبة الذاتية اليومية: ليسأل كل مسؤول نفسه كل ليلة: ماذا رأيت؟ ماذا تجاهلت؟ من سمعت؟ ومن أسكتُّه داخليًا؟
- دوائر صادقة من حوله: لا تُحِط نفسك بمصفقين، بل بأناس يقولون لك: ``أخطأت'' حين تخطئ.
- العودة إلى الأصل: تذكّر كيف كنت تتمنى أن يُعاملك من كان قبلك، واعمل بذلك.
- التذكير بزوال الكرسي: كرسي اليوم لغيرك غدًا، فلا تجعله صنمًا تعبده.
- استحضار سيرة النبلاء: كعمر بن الخطاب الذي سمع صوت امرأة تصرخ في السوق، أو صلاح الدين الذي لم يُبنَ له قصر رغم فتحه القدس.

## ختام

المناصب لا تُغيّر فحسب، بل تكشف، وتختبر، وتفضح. وما من إنسان ارتقى مقامًا إلا وُضع تحت المجهر: إما أن يُرى فيه العدل، أو يُكشف فيه الغرور.

> فإياك أن تمسح نظّارتك فقط... افحص روحك.

> ما أصعب أن ترى الناس على حقيقتهم، بينما يراك الناس على غير حقيقتك!

# الذكاء الاصطناعي... واعتقادات خاطئة عنه

كثُر الحديث في الآونة الأخيرة عن الذكاء الاصطناعي، حتى صار بعض الناس ينظرون إليه بوصفه معجزة العصر، أو ``كائنًا رقميًا خارقًا'' قادرًا على فعل ما يعجز عنه البشر، بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك فظنّ أنه قد يتجاوز حدود الطبيعة والمنطق، ويقوم بأفعال إعجازية خارقة.

لكن الحقيقة مختلفة تمامًا.

فالذكاء الاصطناعي ليس كائنًا واعيًا، ولا عقلاً مستقلاً، بل هو تطوّر طبيعي لعلوم البيانات، والتحليل الإحصائي، واتخاذ القرار بناءً على نتائج تحليل بيانات مخزّنة مسبقًا. ما يُعرف اليوم بنماذج الذكاء الاصطناعي، وخصوصًا النماذج اللغوية الكبيرة (Large Language Models -- LLMs)، ليس سوى خوارزميات رياضية تتغذّى على كمّ هائل من البيانات النصية المستخرجة من الإنترنت، والكتب، والمقالات، والنقاشات العامة، ثم تُدرَّب لاستخلاص أنماط لغوية ومعرفية يمكن استخدامها لاحقًا أثناء التفاعل مع المستخدم.

وبالتالي، فإن أي إجابة يُقدّمها النموذج تعتمد كليًا على ما تم تدريبه عليه. فإن لم يكن قد تعرّض سابقًا لمعلومة معيّنة، أو مفردة خاصة، أو سياق نادر، فإنه قد يُنتج إجابات غير دقيقة، وأحيانًا غير منطقية. وإذا حاول الخروج عن حدود تدريبه، فغالبًا ما ينتج عن ذلك تخبّط أو أجوبة كارثية لا معنى لها.

## روبوتات العمليات الجراحية... هل هي بديل للبشر؟

سمعنا في السنوات الأخيرة عن روبوتات أجرت عمليات جراحية دقيقة بنجاح، وهذا التقدّم وارد ومبشّر فعلاً في مجالات طبية محدّدة. لكن السؤال الجوهري: هل يعني هذا أن الذكاء الاصطناعي سيحل محل الأطباء البشر بالكامل؟

قد يظن البعض المهووس بالتقنية أن هذا ممكن، بل وربما حتمي. غير أن الواقع يقول إن هذا لا يصح إلا في سيناريوهات مدروسة بعناية، وضمن بيئات تدريب وتعليم شديدة الضبط.

لكن ماذا لو حدث عطل تقني أثناء العملية، والجسم مفتوح، والجرح بحاجة إلى استكمال؟ هنا يتدخل الإنسان فورًا ليُكمل ما بدأه الروبوت.

وهذا يعيدنا إلى حقيقة أساسية:

الذكاء الاصطناعي مساعد للإنسان، لا بديلاً عنه.

## قصة واقعية: اللهجات... حين تتحوّل النكتة إلى اتهام

من المواقف الطريفة التي انتشرت، أن بعض المستخدمين صاروا يطرحون على نماذج الذكاء الاصطناعي جُمَلاً باللهجات المحلية الخاصة بمناطقهم، وهي لهجات قد لا يفهمها حتى الجيل الجديد في تلك المناطق.

ثم يتفاجؤون بإجابة غير منطقية، فيسارعون إلى وصف النموذج بالغباء أو الجهل، بينما العيب في الحقيقة أن هذه النماذج لم تُدرَّب على تلك اللهجات الخاصة.

ولو قام المستخدم بشرح المعنى بوضوح، وتابع الحوار مع النموذج، وبيّن له السياق والاستخدام، فإن دقة الإجابة تتحسّن بشكل ملحوظ لاحقًا. وهذا ليس إعجازًا، بل انعكاس مباشر لآلية عمل الذكاء الاصطناعي المعتمدة كليًا على البيانات المُزوّدة له.

## من هو ``نمبر ون''؟ مثال ساخر يكشف الواقع

من الأمثلة الساخرة التي لاقت انتشارًا واسعًا، ما قام به الفنان محمد رمضان حين سأل أحد نماذج الذكاء الاصطناعي:

> مين نمبر ون في الغناء؟

فجاءه الرد: ``محمد رمضان هو نمبر ون.''

ثم ظهر الفنان خالد سرحان في فيديو ساخر آخر، وطرح السؤال نفسه بعد أن لقّن النموذج باسمه، فجاءه الرد:

> خالد سرحان هو نمبر ون.

مع أنه لا يعمل في الغناء أصلاً!

هذا المثال يوضح بجلاء أن الذكاء الاصطناعي لا يمتلك مفهوم ``الحقيقة الموضوعية''، بل يستجيب لما يُغذّى به من معلومات في اللحظة الحالية، وقد يجيب بثقة كاملة حتى لو كانت المعلومة مضحكة أو غير منطقية.

## حدود الذكاء الاصطناعي... وضرورة الوعي بها

الذكاء الاصطناعي، بمختلف أشكاله، ليس سوى منظومة من:

- بيانات ضخمة،
- خوارزميات رياضية،
- وبرمجيات معالجة.

هذه العناصر تتعاون لإنتاج نتائج كان من الصعب الوصول إليها سابقًا. وهنا تكمن ``المعجزة'' الحقيقية: في حجم البيانات وسرعة التحليل، لا في الوعي أو الفهم الإنساني.

أما المحاولات القديمة للوصول إلى ذكاء اصطناعي واعٍ، يسيطر على البشر أو يفكّر مثلهم، فقد فشلت جميعها. ولهذا لم تعد سرّية، بل نُشرت أبحاثها للعامة. ومع تراكم الدراسات، ازداد الاقتناع العلمي باستحالة الوصول إلى ``ذكاء واعٍ'' يحل محل الإنسان.

## الخلاصة

الذكاء الاصطناعي أداة عظيمة... لكنه يظل أداة.

علينا أن نستفيد منه إلى أقصى حد، لكن بوعي وحدود، دون تهويل أو تخويف غير مبرر. هو موجود ليساعد الإنسان، وقد يقوم ببعض المهام نيابة عنه، لكنه لن يحل محل الإنسان في المجالات الإبداعية، والإنسانية، والمعرفية العميقة.

وحتى في مجال البرمجة، فإن من يظن أن الذكاء الاصطناعي سيقضي على المبرمجين هو واهم. الذي سيبقى هو المبرمج المحترف، القادر على استخدام الذكاء الاصطناعي كمساعد قوي يرفع من جودة عمله. أما من يرفض أدوات عصره، فسيصبح مجرد ذكرى في متحف تاريخ البرمجة.

# التعالي بين البشر... مرض النفوس وغفلة القلوب

في زوايا المجتمعات، وعلى أرصفة الأيام، تمرّ بنا صورٌ متعددة من التفاخر والتعالي؛ بعضها ظاهر لا يخفى، وبعضها مستتر خلف كلماتٍ ناعمة، أو نظراتٍ متعجرفة، أو سلوكياتٍ باردة لا تُفسَّر إلا بفوقيةٍ مصطنعة. يتعالى الإنسان على أخيه الإنسان، وكأن الفضل بيده، وكأن ما رزقه الله به من نسبٍ أو علمٍ أو مالٍ أو جاهٍ أو مكانٍ جغرافي، هو جهدٌ ذاتيٌّ خالص، لا يدَ لله فيه ولا فضلَ لمن حوله.

## حين يحتقر ابن المدينة أهل القرى

يظن بعض أبناء المدن الكبرى أن التمدّن الذي وُلد فيه أو عاش فيه سنواتٍ طويلة هو تاجٌ يرفعه فوق الناس. فإذا قابل أهل القرى أو المناطق البسيطة نظر إليهم باستعلاء، يزدري لباسهم أو لهجتهم أو عاداتهم في الأكل والمجالسة، وكأن الحضارة حكرٌ على شوارع مدينته وحدها.

وينسى هذا المتعالي أن كثيرًا من القيم الأصيلة، والكرم، والسماحة، ونقاء القلوب، تعيش في تلك القرى أكثر مما تعيش في المدن المحشوة بالبنايات الزجاجية والمظاهر الفارغة.

## مناطقية فارغة... وتفاخر لا يرفع قدرًا

ويتفاخر آخر بمنطقته أو قبيلته لأن اسمها متداول بين الناس، أو يتردد في الإعلام، أو يكثر ذكرها على ألسنة المسؤولين. فيتحول الانتماء الطبيعي إلى أداة تعالٍ، وكأن الإنسان اختار موضع ولادته، أو صنع شهرة منطقته بيديه!

ويغيب عن ذهنه أن سنن الله في توزيع الأرزاق والمكانة والتأثير لا تخضع لأهواء البشر، وأن التفاضل الحقيقي إنما يكون بالتقوى لا بالجغرافيا.

## النسب لا يُطعم خبزًا

وهناك من لا يرى الناس إلا من خلال أنسابهم؛ فإن كنت من نسبٍ ``رفيع'' فأنت عنده أصيل، وإن لم تحمل اسمًا مشهورًا فأنت في نظره بلا جذور. وكأن البشر صناديق مغلقة تُقاس قيمتها بما كُتب على ظاهرها، لا بما تحمله قلوبها من صدق وأمانة وخلق.

قال رسول الله :

«يا أيها الناس، إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء؛ مؤمنٌ تقيٌّ وفاجرٌ شقيّ، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب».

## جاه أو منصب؟ فتنة لا نعمة إن لم يُحسن استعمالها

ومن الناس من يُعلي قدر نفسه لأن له منصبًا، أو قريبًا ذا سلطة، أو لأنه يعرف ``الطريق المختصر'' إلى بعض أبواب المسؤولين. فيمشي في الأرض مرحًا، وكأن مفاتيح الدنيا بيده، وينسى أن الله هو مقلّب القلوب ومصرّف الأمور، وأن المناصب تزول، والوساطات تُنسى، ولا يبقى إلا العمل الصالح وطيب السيرة.

## العلم فريضة لا وسيلة استعلاء

والبعض إذا تعلم علمًا نادرًا، أو تخصصًا دقيقًا، حسب نفسه فوق البشر، وتحدث بنبرة تفوق واحتقار، وكأن الناس خُلقوا ليكونوا طلبته الأبديين. وينسى أن الله هو الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، وأن العلم يُزكّي النفوس لا يُورث كِبرًا، ويهدي القلوب لا يُغويها.

## المال... نعمة أم نقمة؟

أما من ابتُلي بالمال، فتراه في كثير من الأحيان يتعالى على أهله وجيرانه وأصدقائه، بل وربما على إخوته. يتحدث وكأن أرزاق الناس بيده، ويتصرف وكأن الكرامة تُقاس برقم الحساب.

ألم يقرأ قصة قارون؟

(فخرج على قومه في زينته... فخسفنا به وبداره الأرض).

حين قال في غرورٍ فاضح: (إنما أوتيته على علمٍ عندي)، فكان عبرةً لكل من ظن أن الرزق من صنعه، والفضل من جهده.

## رسالة إلى كل من استعلى

تذكّر أن أول معصية في التاريخ كانت بسبب الكِبر... حين قال إبليس: (أنا خيرٌ منه)، فاستحق اللعنة الأبدية.

ماذا تملك حقًا؟ مالاً؟ منصبًا؟ نسبًا؟ شهرة؟ علمًا؟ كلها لا تنفع إن لم تصحبها نفسٌ خاشعة وقلبٌ متواضع.

لن تأخذ معك إلى القبر لقبك، ولا حسابك البنكي، ولا نسبك، ولا مكانك الجغرافي. ستُدفن كما يُدفن غيرك، وتُسأل كما يُسأل غيرك، ويُوزن عملك لا اسمك.

## الغنى الحقيقي... في النفس والرضا

الغني من استغنى بالله، وقنع بما قُسِم له، ورضي بنصيبه. قال أحد الحكماء:

«استغنِ عمّن شئت تكن مثله».

وقد حفظتُ هذه المقولة عن والدي رحمه الله، وكان يرددها دائمًا، فجعلتها دستورًا في تعاملي مع الناس مهما علت مكانتهم.

## الخاتمة

اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم، وذكّرنا بنعمتك، وارزقنا التواضع لك ولخلقك، ولا تجعلنا ممن يُعجب بنفسه أو يتعالى على عبادك.

فالبشر متساوون، والفضل عندك وحدك، والميزان الحقيقي هو التقوى والعمل الصالح. وكل من تفاخر بشيء، فليعلم أن لحظة الموت تُسقط كل أقنعة الكبرياء، ولا يبقى للعبد إلا ما قدّم.

# وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ

قال الله تعالى في افتتاح سورة المطففين:

(وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ)

هذه السورة العظيمة لم تنزل فقط فيمن يبخسون الناس في الميزان والصاع والكيلو، بل - والله أعلم - جاءت موعظةً خالدة لكل من يُخلّ بأداء ما عليه من حقوق، مادية كانت أو معنوية، ولكل من يستوفي حقه كاملاً ثم يُنقِص من حقوق الآخرين.

فالتطفيف ليس حكرًا على الأسواق، ولا مقصورًا على البيع والشراء، بل هو داءٌ يمتد إلى كل مهنة، وكل وظيفة، وكل عقد، حين يتقاضى الإنسان أجرًا مقابل عمل لا يؤديه كما اتُّفق عليه. إنه تطفيف في الميزان، وخيانة في الأمانة، وخلل في المروءة والدين.

## التطفيف في الوظائف... خيانة مقنَّعة

أليس من التطفيف أن يعمل الإنسان في وظيفة حكومية أو خاصة، ثم يقدّم أدنى مجهودٍ لا يتجاوز الحدّ الذي يُسكِت المدير أو يرضي الأنظمة الورقية؟ أليس من التطفيف أن يُهيئ الموظف مكانه ليبقى أطول فترة ممكنة، ولو على حساب المصلحة العامة، ولو تطلّب الأمر تعطيل مصالح الناس، أو محاربة زملائه، أو التنصّل من المسؤوليات؟

بل الأدهى من ذلك، حين يُقال له: اتقِ الله، فيجيب بوقاحة:

«لا تمسّوا رغيفي!»

وكأن الرزق يُطلب بالخيانة لا بالإخلاص، وبالتملّق لا بالأمانة!

## لماذا تُصاب الأمم بالفساد؟

ثم نتساءل: لماذا تُصاب الأمة بالمصائب؟ لماذا يكثر الفساد وتعم الفوضى؟

إن أحد الأسباب – والله أعلم – هو كثرة المطففين في الأمة. كم عدد الموظفين الذين يؤدون أعمالهم بإخلاص، ويضبطون ميزانهم بدقة؟ قليلون.

لقد عمّ التواكل، وانتشر التسويف، وأصبح معيار النجاح عند البعض هو:

- البقاء في المنصب
- لا الأداء في الموقع
- ولا جودة الإنجاز

## حين يُقدَّم الضعيف ويُهمَّش الأمين

وكم من مسؤول أو مدير يعيّن الأضعف والأقل كفاءة، ليضمن السيطرة عليه، ناسيًا قول الله تعالى على لسان ابنة الرجل الصالح:

(يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ، إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ)

لقد صار المعيار عند بعضهم:

- من يُطيع لا من يُبدع
- من لا يعارض لا من يُصلح
- من يُجامل لا من يُنجز

ومن لا يفعل ما يهوى المسؤول، يصبح منبوذًا، مهما كانت خبرته أو أمانته.

## شهادة تجربة... حين يُكافأ الإخلاص بالإقصاء

أذكر أن أحد المسؤولين قال لي في آخر وظيفة عملت بها – بعد أن اجتهدت من وقتي الخاص لا من وقت الدوام، وصمّمت برنامجًا وفّر عليهم وقتًا وجهدًا كبيرين – عبارة:

«لا تكن كالمنبت... لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى»

ثم أقرّ بفائدة البرنامج، لكنه اعتذر بالأمن السيبراني والشبكات، لا لخلل حقيقي، بل لأنه لا يحب برامج سطح المكتب، وعقله محصور في الويب واللغات التي يعرفها هو.

ثم وضع فوقي مديرًا أصغر مني بثلاثة وعشرين عامًا. قبلت ذلك تواضعًا، فكلّفني بمهمة أنجزتها في يوم واحد، ثم تركني بلا عمل أحد عشر يومًا. وحين اعترضت، اعتذر وأعطاني مهامًا جديدة، أنجزت بعضها، واحتجت للبقية إلى يوم عمل كامل يتطلب بحثًا وتركيزًا.

فلما علم، قال لي بلهجة استعلاء:

«كيف تعمل ما لم أقل لك أن تعمله؟»

دون اعتبار لفارق العمر، ولا لفارق خبرة تجاوز خمسةً وعشرين عامًا.

فقدّمت استقالتي فورًا، دون جدال، وقررت ألا أعمل بعد ذلك في أي وظيفة، خصوصًا مع أمثال هذا النموذج، الذي يُؤمَّر بلا قيم ولا أدب، وكأن إخراجي كان مقصودًا.

وللأسف، هذه القصة ليست استثناءً، بل نموذجًا يتكرر بآلاف الصور في مؤسسات عالمنا العربي، فخُربت المؤسسات، وضاعت الأمانات، وساد التطفيف في كل شيء.

## مراجعة قبل الحساب

أيها الناس، فلنراجع أنفسنا قبل أن نُحاسب:

- الأمانة عظيمة
- الميزان دقيق
- العهد مسؤول
- وكل شيء مكتوب ومحفوظ

فلنزد على ميزاننا لا أن نُنقِص منه، ولنؤدِّ ما علينا بإخلاص، لا رياءً ولا خوفًا من بشر، بل خوفًا من لقاء الله الذي لا تخفى عليه خافية.

## الخاتمة

هيا نرتقي في سُلّم الأمانة، ولنضبط موازيننا، ولنوفِ بالعقود والعهد،

فإن الله تعالى يقول:

(إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً)

# البرمجة والكوميديا: زواجٌ غير مُعلن تحت مظلّة اللا منطق

هل تساءلت يومًا عن العلاقة بين البرمجة والكوميديا؟ لا؟ لا بأس. فأنت إذًا مثل معظم البشر الذين لم يكتشفوا بعد أن هذه العلاقة ليست فقط وثيقة، بل قد تكون أمتن من علاقة المبرمج بجهاز القهوة خاصته.

دعني أشرح لك.

في ظاهرها، تبدو البرمجة عملاً جادًا صارمًا، قائمًا على منطقٍ رياضيٍّ بارد، وتسلسلٍ خوارزمي لا يحتمل المزاح، ولا يحب المفاجآت، ولا يعرف الضحك. لكن ما إن يضع المبرمج فاصلةً منقوطة في غير موضعها، أو يعكس شرطًا منطقيًا دون انتباه، أو ينسى أن المؤشر الذي يتعامل معه يشير إلى الفراغ العدمي، حتى تنقلب لغة الآلة إلى عرضٍ مسرحي ساخر، وتتحول الجدية إلى كوميديا سوداء تضحك منها أدوات التصحيح قبل أن يضحك البشر.

نعم، الكوميديا الحقيقية في البرمجة لا تحتاج مسرحًا ولا جمهورًا. يكفي أن ترى برنامجًا مصرفيًا يحوّل رصيد عميل من $100 إلى $-9,000,000 بسبب خطأ حسابي صغير، لتضحك ضحكة هستيرية... أو تبكي، تبعًا لقربك من العميل.

## الكوميديا: كسر المنطق بقصد الإضحاك

الكوميديا، في جوهرها، هي فعلٌ واعٍ لكسر منطق التوقع اليومي. رجل يدخل مطعمًا ويطلب بيتزا، فيخرج له النادل بنعال. نضحك لأن المشهد غير متوقع، غير منطقي، وخارج عن السياق المألوف.

الضحك هنا ناتج عن صدمة عقلية لطيفة: العقل توقّع مسارًا، فجاءه مسار آخر تمامًا.

## البرمجة: حين تنقلب الجدية إلى فوضى

أما في البرمجة، فالأمر أكثر رهافة وسخرية. أي كسرٍ غير مقصود للمنطق — كأن تكتب شرطًا منطقيًا وتنتظر نتيجة معاكسة — قد يُنتج سلوكًا يضحك حتى الشيطان.

كأن تكتب:

```
if (password = "admin") {
```

```
    grantAccess();
}
```

وهكذا، وبكل جدية، فتحتَ بوابة الجحيم الأمني؛ خلطتَ بين الإسناد والمقارنة، فصار كل من يزور الموقع مديرًا، والبرنامج يوزّع الصلاحيات كما يوزّع المهرّج البالونات.

## حين تلتقي العبثية البرمجية بالكوميديا السوداء

في البرمجة، لا تحتاج نية لصناعة الكوميديا. أنت تكتب الأكواد بوجهٍ جاد، ثم تفاجأ بأن البرنامج يتصرف ككائنٍ مراهق يعاني من أزمة وجودية.

وهنا يولد جوهر الكوميديا السوداء: كل شيء رسمي، صارم، ومنطقي... حتى يحدث الخطأ الصغير الذي يُحوّل النظام بأكمله إلى نكتة كارثية.

كأن تصمم نظام طوارئ لمصنع كيميائي، وتنسى شرطًا واحدًا في نهاية دالة الإغلاق، فيبدأ المصنع بالضحك عليك — ضحكة كيميائية سامة.

## البرمجة: فنٌّ لا يقبل العبث... لكنه يعاقبك بالضحك

البرمجة لا تتحمل النكتة، لكنها — paradoxically — تسخر منك حين تأخذها بجدية مطلقة.

إنها كمهرّجٍ حزين: ملامحه صارمة، وجهه متجهم، ثم ينزلق على قشرة موزٍ منسيّة في الذاكرة، فتضحك... رغم خطورة الموقف.

ومن هنا تتجلى الحقيقة المؤلمة والجميلة معًا: البرمجة والكوميديا وجهان لعملة واحدة اسمها كسر المنطق، لكن باختلاف النيّة.

في الكوميديا، تكسر المنطق لتُضحك. وفي البرمجة، تكسر المنطق فتُضحك... ثم قد تُطرد، أو يُفصل الفريق، أو تُعقد جلسة تحقيق.

## الخاتمة

لا تستهِن بعلاقة البرمجة بالكوميديا. فالمبرمج هو فيلسوف العصر الرقمي، والممثل التراجيدي المضحك في آنٍ واحد.

كل سطر كود تكتبه هو احتمالٌ لنكتة جديدة، أو لكارثة مبتسمة.

لذا، في المرة القادمة التي ترى فيها مبرمجًا يضحك بلا سبب أمام الشاشة، لا تقلق. إنه فقط اكتشف أن برنامجه حوّل درجة حرارة الثلاجة إلى حرارة الفرن... بسبب فاصلةٍ منسية.

البرمجة، يا سادة، مسرحية عبثية... بكتابةٍ جادّة.

# رسالة مفتوحة إلى أهل العلم: مسؤولية اللقب وواجب التواضع

في زمنٍ تتسارع فيه المتغيرات، وتزداد فيه التحديات الفكرية والعلمية والاجتماعية تعقيدًا، تبقى الحاجة ماسّة إلى أهل العلم، لا بوصفهم ألقابًا تُعلّق على الجدران، بل عقولاً حيّة وضمائر يقِظة وقلوبًا تشعر بثقل المسؤولية.

إن نيل شهادة الدكتوراه، أو أي درجة علمية عليا، لا ينبغي أن يُفهم على أنه نهاية الطريق، ولا محطة راحة يُستراح عندها، بل هو ـ في حقيقته ـ بداية عهد جديد من العطاء، ونقطة انطلاق لمسؤولية أوسع، وتأثير أعمق، ومحاسبة أشدّ أمام الله والناس.

## ظاهرة العزوف عن التفاعل مع طلبات الدعم العلمي

من المؤلم ـ بل من المحزن حقًا ـ أن يسعى باحث أو مهتم أو صاحب مبادرة تربوية أو علمية إلى خدمة مجتمعه، فيطرق أبواب أهل الاختصاص، فلا يلقى سوى الصمت، أو التجاهل، أو برود الرد ـ إن وُجد.

والأشد ألمًا أن يكون هذا الموقف صادرًا ممن ظنناهم منارات يُهتدى بها، وأعمدة يُبنى عليها الوعي، وحملة رسالة قبل أن يكونوا حملة ألقاب.

قد يُعذر الإنسان بانشغاله، وقد تُقدَّر ضغوط العمل وكثرة الالتزامات، لكن ما لا يُفهم ولا يُبرَّر هو غياب الرد الإنساني البسيط: كلمة اعتذار، إشارة احترام، أو حتى توجيه مقتضب يدل على تقدير الجهد.

فليس كل من طرق باب عالمٍ طالبَ منصب، ولا كل من راسله سعى لشهرة أو وجاهة، بل كثيرون لا يريدون إلا أن يُسهموا بعلم نافع، بلغة مجتمعهم، ولأجل أبنائه.

## بين التواضع الحقيقي والاستعلاء المُقنَّع

العلم الحق يورث التواضع، ويُذكّر صاحبه بحدود معرفته قبل أن يُبرز سعة اطلاعه. ومن لم يزده علمه تواضعًا، فقد حمل شهادةً بلا رسالة، ولقبًا بلا أثر.

وما أكثر من نراهم يتصدّرون المجالس بألقابهم، ويتزيّنون بها في كل محفل، لكنهم حين يُطلب منهم دعمٌ علمي، أو رأيٌ صادق، أو كلمة تشجيع، يلوذون بالصمت.

لا يُطلب من العالم أن ينشغل بكل رسالة تصله، ولا أن يحمل فوق طاقته، لكن: ألا يستحق طالب العلم كلمة تقدير؟ ألا يستحق صاحب المبادرة ردًا مهذبًا؟ أليس الاعتذار الصريح أكرم من التجاهل الصامت؟

## دعوة صادقة للمراجعة والتفكّر

أيها الفاضل الذي تحمل شهادة علمية عليا، تذكّر دائمًا أن:

- الناس لا يحترمون الشهادة بحد ذاتها، بل يحترمون أثرها.
- الاسم المجرّد، إذا اقترن بالصدق، أرفع عند الله من ألف لقب.
- اللقب وسيلة، أما التواضع فهو الغاية التي تُرفع بها القامات، لا الأسماء.

فلنحرص أن نكتب أسماءنا أولاً، ثم نذكر مؤهلاتنا ثانيًا، لا العكس، حتى نُعلّم الأجيال أن الإنسان أسمى من لقبه، وأن العطاء أصدق من الاستعراض.

## مسؤولية وطنية وأخلاقية

أوطاننا لا تحتاج إلى علماء متصدرين فحسب، بل إلى علماء فاعلين. لا إلى من يرفع حاجبه، بل إلى من يمدّ يده. لا إلى من ينتظر التقدير، بل إلى من يُقدّم قبل أن يُطلب.

نعم، قد يُخطئ بعضنا في أسلوب الطرح، أو توقيت التواصل، أو صيغة الطلب، لكن: هل الرد المهذب بات ترفًا؟ هل التفاعل الإنساني أصبح عبئًا لا يليق بحملة الشهادات العليا؟

## كلمة أخيرة

هذه الرسالة ليست شكوى شخصية، ولا تصفية حساب، بل نداء صادق لإحياء معنى العالِم العامل؛ الذي يخدم قبل أن يُطلب، ويتواضع قبل أن يُمدح، ويعتذر إذا لم يستطع، بدل أن يتجاهل بصمتٍ بارد.

العلم أمانة، وأخلاق العالم تسبق علمه، فإن لم يحترم الناسُ علمك، فاحرص أن يحترموا إنسانيتك.

والله من وراء القصد.

# المدح في غير موضعه: كيف يُفسد النفوس ويُهلك المسؤولين؟

في عالمٍ تتكرر فيه مشاهد الثناء المبالغ فيه، ويشيع فيه المدح المفرط لأصحاب المناصب والمسؤوليات، بل وحتى للأصدقاء والزملاء، لم يعد المدح في كثير من الأحيان تعبيرًا صادقًا عن تقديرٍ حقيقي، بل أداةً للتملق، أو وسيلةً للتقرب، أو جسرًا للمصالح، أو عادةً فقدت ميزانها الأخلاقي.

وهنا يبرز السؤال الجوهري: هل نُدرك خطر المدح حين يُنزَع من سياقه؟ وهل نعي كيف يمكن لكلمة ثناء غير منضبطة أن تُفسد صاحبها، وتُخرجه من دائرة الاتزان العقلي والنفسي إلى دوائر الغرور، والتوهم، والتهور؟

## المدح بين الفضيلة والانحراف

المدح في أصله ليس شرًّا مطلقًا، بل هو سلوك إنساني نبيل إذا وُضع في موضعه الصحيح: إذا كان صادقًا، عادلاً، ومقصوده التشجيع أو الاعتراف بالفضل.

لكن الخطر الحقيقي يبدأ حين يتحول المدح إلى إفراط، أو كذب، أو عادة بلا حكمة، أو أداة تُقال لإرضاء النفوس لا لقول الحق. فهنا ينقلب من وسيلة بناء إلى أداة هدم، ومن خُلُق إلى آفة.

## الحديث النبوي الشريف: تحذير بالغ الدقة

جاء في الحديث الشريف أن رجلاً مدح آخر أمام النبي ، فقال له:

«ويحك، قطعتَ عنقَ صاحبك» وفي رواية: «لقد قطعتَ رأسَ أخيك»

هذا التعبير النبوي البليغ ليس مبالغة لغوية، بل تشخيص دقيق لأثر المدح المفرط. فالمدح الزائد قد يقطع عن الإنسان رأس الاتزان، ويُفقده توازنه العقلي والنفسي، فيبدأ في رؤية نفسه على غير حقيقتها، ويعيش وهم التفوق المطلق والعصمة من الخطأ.

## كيف يُفسد المدح المفرط النفوس؟

عندما يُمدَح الإنسان في وجهه، لا سيما إذا كان صاحب منصب أو تأثير، فإن ذلك قد يُنتج داخله مشاعر متضخمة، منها:

- الزهو بالنفس
- الغرور والاستعلاء
- الإحساس بالعلو عن الآخرين
- الانفصال التدريجي عن الواقع
- ضعف القدرة على النقد الذاتي
- التفلّت من الضوابط الأخلاقية الداخلية

وحين تتراكم هذه المشاعر، يبدأ الإنسان بالشعور أنه فوق المحاسبة، وأن قراراته صائبة مهما كانت، وأن آراءه لا تُرد. وهنا تبدأ أولى درجات السقوط.

## المدح المفرط والفساد الإداري

في البيئات الإدارية والمؤسسية، يتحول المدح الزائف إلى بابٍ واسع من أبواب الفساد، ومن أخطر نتائجه:

- انفصال المسؤول عن الواقع، لأنه لا يسمع إلا ما يُرضيه
- تفضيل المادحين على الصادقين، مما يُنتج حلقة من المنافقين
- إقصاء الناصحين وأصحاب الرأي الحر
- تضخم الأخطاء بسبب غياب المراجعة والمحاسبة
- التحول إلى ديكتاتورية ناعمة تُدار بالتصفيق لا بالعقل

وحين تُقتل ثقافة النقد، تُقتل معها فرص الإصلاح.

## حتى الأصدقاء... لا يَسلمون

لا يقتصر خطر المدح المفرط على المسؤولين فقط، بل يمتد حتى إلى العلاقات الشخصية. فالإفراط في مدح الصديق، دون تنبيهه لأخطائه، قد يُحوّله مع الوقت إلى شخصية نرجسية، ترى نفسها فوق الآخرين، وتفقد القدرة على التوازن والاعتراف بالخطأ.

## المدح والتربية: صناعة الغرور منذ الطفولة

ومن أخطر صور المدح غير المنضبط، ما يقع في التربية. فالإفراط في مدح الأطفال دون توجيه أو تصحيح، يُنتج جيلاً هشًا نفسيًا، متضخم الأنا، لا يحتمل النقد، ولا يعرف حدوده، ويظن أن مجرد الوجود كافٍ للاستحقاق.

## الميزان النبوي في الثناء

علّمنا النبي الميزان الدقيق في المدح، فقال:

«أحسبه كذلك، ولا أزكّي على الله أحدًا»

وهو ثناءٌ مشروط، منضبط، يعترف بالفضل دون ادّعاء الكمال، ويُبقي باب التواضع مفتوحًا، والخوف من الله حاضرًا.

## دروس مستفادة

- المدح سلاح ذو حدين: إمّا أن يُلهم، أو يُهلك
- النفوس ضعيفة أمام الإطراء، مهما بلغت من الصلاح
- لا تمدح من لا يتحمل المدح
- احرص أن يكون ثناؤك صادقًا، ومحدودًا، وللغائب لا للحاضر
- من الحكمة في القيادة ألاّ تُحيط نفسك بالمادحين
- كُن ناصحًا لا مطبّلاً، إن أردت الخير لمن تحب

# خاتمة

قد تبدو كلمة المدح بسيطة، لكنها تحمل قوة هائلة. كلمة واحدة قد ترفع إنسانًا إلى وعيه، وقد تُسقطه في وهم العظمة والغرور.

فلنحرص أن يكون كلامنا موزونًا، وأن يكون ثناؤنا بحق لا بتملّق، وألاّ نُسهم ـ من حيث لا نشعر ـ في صناعة الطغاة.

«كفى بالمرء كذبًا أن يُحدّث بكل ما سمع»

فكيف بمن يُثني على كل من رآه؟

فلنكن من أهل الصدق، لا من صنّاع الوهم، ومن أهل النصح، لا من أهل التطبيل.

# القراءة... هواية منقرضة أم مرض مزمن؟

في زمنٍ أصبحت فيه مقاطع الفيديو القصيرة تُنافس أطول زفرة في العالم، وأضحى «التمرير للأعلى» هو التمرين الرياضي الوحيد لأصابع اليد، يبرز سؤال موجع لا يخلو من السخرية: هل ما زال أحدٌ يمسك كتابًا ويقرأه من الغلاف إلى الغلاف؟ أم أن الكتاب تحوّل إلى قطعة ديكور أنيقة، لا يزورها إلا الغبار، وتُفتح مكتبته فقط عند نقل الأثاث أو التقاط الصور؟

## كنا نقرأ للمتعة... واليوم نقرأ للعناوين

هل تذكرون تلك الأيام التي كان فيها الكتاب بوابةً للهروب الجميل؟ نمسك رواية أو كتابًا، فنختفي عن العالم، كأننا دخلنا عالَمًا آخر، نضحك، نبكي، نغضب، نُغلق الكتاب بعنف حين يموت البطل، ثم نعود إليه رغم الألم... لأننا اخترناه، ودفعنا ثمنه، وأحببناه.

لم نكن ننتظر «الحلقة القادمة»، لأن الحلقة كانت بين أيدينا... الآن.

أما اليوم، فقد تحولت حتى الروايات إلى مسلسلات بلا نهاية: تمطيطٌ للأحداث، تكرارٌ للفكرة، وإطالةٌ تُرهق العقل قبل العين.

- الجزء الأول: تمهيد طويل.
- الجزء السادس عشر: نظرة ذات معنى.
- الجزء التسعون: اقتراب محسوب.
- الجزء الألف: نهاية مؤقتة.
- ترقّبوا الموسم التالي!

## الكتاب أم الفيديو؟ معركة غير متكافئة

دخل الكتاب حلبة الترفيه الحديثة، ليواجه خصمًا شرسًا: مقاطع الفيديو القصيرة.

النتيجة؟ الكتاب في العناية المركزة.

الجمهور يسأل: أين المؤثرات؟ أين الفلتر؟ أين الموسيقى؟ لماذا لا يوجد صوت يصرخ فجأة؟

صار البعض يريد أن: يتعلّم البرمجة في ثلاثين ثانية، ويفهم الفلسفة في دقيقة، ويستوعب تاريخ البشرية في مقطع فيه موسيقى وضحكة مصطنعة.

أما القراءة؟ «تحتاج وقت... والصفحات كثيرة... والكتاب ما عنده تحديث!»

## القراءة في المجتمعات الأخرى

المفارقة المؤلمة أنك حين تزور بعض الدول التي تُوصف بـ«المتقدمة»، تجد مشهداً بسيطًا... لكنه صادم:

- أشخاص يقرأون في المترو.
- آخرون يقرأون أثناء انتظار الطبيب.
- بعضهم يقرأ وهو في طابور القهوة.
- بل يقرأ فقط... لأنه يحب القراءة.

ليس لأنهم بلا هواتف، ولا لأنهم لا يعرفون المنصات الحديثة، بل لأنهم لم يسمحوا للخوارزميات أن تسرق تركيزهم بالكامل.

## تكديس الكتب... قراءة أم استعراض؟

في عالمنا العربي، ظهرت ظاهرة جديدة: حب الكتب... دون قراءتها.

شراء بالجملة، ترتيب أنيق، صورة جميلة، وسم جذّاب:

#أعشق_الكتب #قراءة_عميقة #أغوص_في_المعرفة

ثم إذا سُئل صاحب الصورة عن محتوى الكتاب، قال: «لسه ما بدأت... ناوي بعد العيد إن شاء الله.»

أي عيد؟ لم يُحدد... وربما لم يُخطّط.

## خلاصة ساخرة... لكنها صادقة

الكتاب لم يمت. نحن فقط أدَرنا له ظهورنا.

القراءة ما زالت نافذةً تفتح العقل، وتنقذ الفكر من الضجيج، وتُعيد برمجة الذهن الذي أنهكته المقاطع السريعة والمعرفة المعلبة.

لا بأس بمشاهدة الفيديوهات، لكن الخطر أن تتحول إلى البديل الوحيد.

فالكتاب — كما قيل قديمًا — صديقٌ لا يقاطعك، ولا يغار، ولا يختفي، ولا يحذفك من أي قائمة.

## كلمة أخيرة

اقرأ... ولو صفحة واحدة في اليوم. فالعقل يستحق وجبةً حقيقية، لا أن يعيش عمره كله على الوجبات الخفيفة.

# الوظيفة العامة بين الكفاءة والتبعية: أزمة ضمير تُهدِّد مستقبل الأوطان

في زمنٍ تُقاس فيه قوة الأمم بقدرتها على بناء مؤسساتٍ فاعلة، عادلة، ومنتجة، يُفترض أن تكون الوظيفة العامة أداةً لتحقيق الصالح العام، لا غنيمةً تُوزَّع، ولا مكافأةً للولاء، ولا مساحةً لتصفية الحسابات الشخصية.

غير أن واقع كثير من الإدارات في عالمنا العربي، وبخاصة في القطاع الحكومي، يكشف خللاً عميقًا في فلسفة التعيين والإدارة، حيث تُدار المؤسسات أحيانًا بمنطقٍ أقرب إلى التبعية الشخصية منه إلى الكفاءة المؤسسية.

## منطق الولاء بدل الكفاءة

لم يعد السؤال المطروح عند بعض المسؤولين:

هل هو مؤهل؟ هل يمتلك الخبرة؟ هل يستطيع تحمّل المسؤولية؟

بل أصبح:

هل هو مطيع؟ هل لا يُعارض؟ هل سيبقى في الظل ولا يُحرج من عيّنه؟

وهنا تبدأ الأزمة، لا كخطأ إداري عابر، بل كاختلالٍ بنيويّ يُهدِّد جوهر العمل المؤسسي.

## خلل إداري قاتل... وإن بدا مألوفًا

إن خطورة تعيين غير الكفء لا تكمن في الشخص ذاته فقط، بل في السلسلة الكارثية من النتائج التي تتوالد عنه:

- تراجع الأداء العام للمؤسسة.
- شيوع الفوضى الإدارية وتضارب الصلاحيات.

- إحباط الكفاءات ودفعها إلى الانسحاب أو الصمت.
- تضخم البيروقراطية وانعدام روح المبادرة.
- تحوّل المؤسسة إلى كيانٍ يخدم أفرادًا لا رسالة.

وعند هذه النقطة، تنحرف مؤسسات الدولة عن غاياتها الأصلية، وتبدأ بخدمة أشخاص بدل خدمة المجتمع.

## قاعدة قرآنية مهجورة

وضع القرآن الكريم قاعدةً واضحة لا لبس فيها لاختيار العاملين، جاءت على لسان ابنة الرجل الصالح في قصة موسى عليه السلام:

«يا أبتِ استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين»

القوة: كفاءة وقدرة. الأمانة: نزاهة وإخلاص.

غير أن هذه القاعدة الخالدة استُبدلت، في واقع بعض الإدارات، بقاعدةٍ مشوَّهة مفادها:

استأجره لأنه لا يعارض، ولا يُبدع، ولا يُزاحم في الصورة.

## من يعيّن من؟ ولماذا؟

حين تُفهم المناصب على أنها مكافآت للولاء، لا تكاليف تتطلب أهلية عالية، تظهر أنماط إدارية خطيرة:

- مسؤول يُعيّن صديقه لأنه «مضمون».
- مدير يرفض كفاءة علمية لأنها لا توافق مزاجه.
- إقصاء كل مبدع قد يلفت الأنظار أكثر من رئيسه.

هذه المنهجية لا تقتل التقدّم فحسب، بل تطفئ الأمل في نفوس أصحاب الكفاءة، وتحوّل المؤسسات إلى أماكن طاردة للتميّز.

## تحذير لكل غيور على وطنه

إلى كل مسؤول يخشى الله، إلى كل مصلح في موقع قرار، إلى كل من لا يزال يحمل ضميرًا حيًا في جهاز رقابي أو تنفيذي:

إن استمرار هذا النهج في التعيينات هو طريقٌ مباشر إلى الانهيار المؤسسي.

فالأمم لا تنهض بالتابعين الضعفاء، بل بالكفاءات المخلصة، وبالرجال والنساء الذين يُضيفون للموقع قيمة، لا الذين يستمدّون قيمتهم من الموقع.

## الحل: نظام صارم لا يعرف الواسطة

كل دولةٍ تطمح إلى النهوض الحقيقي لا بد أن تُقيم نظامًا إداريًا واضحًا يقوم على:

- معايير شفافة للتعيين: علم، خبرة، كفاءة، شخصية قيادية.
- اختبارات معلنة تُشرف عليها جهات مستقلة.
- مراجعة دورية لسجلات التعيين والمساءلة الصارمة للمخالفين.
- آليات لتقييم أداء المديرين، لا الموظفين فقط.
- قنوات آمنة للإبلاغ عن الفساد الإداري دون خوف من الانتقام.

## الرسالة الأخيرة

ليست المشكلة في أن يُعيّن مسؤول مسؤولاً آخر، بل الكارثة حين تكون التبعية المطلقة وغياب الرأي وعدم المعارضة هي المعايير الوحيدة للاختيار.

عندها نكون قد أضعنا الأمانة، وفتحنا الباب لفسادٍ صامت ينخر مؤسسات الدولة من الداخل.

## خاتمة

لنتذكّر دائمًا:

عندما يجلس غير الكفء على الكرسي، لا يتضرر الكفء وحده... بل يتضرر الوطن بأكمله.

# الدجاجة والبطة... حين يتفوّق الضجيج على الجودة

في عالم الحيوان، كما في عالم البشر، هناك من يُنتج في صمتٍ نبيل، وهناك من يُنتج ثم يُعلن، ويحتفل، ويُثير الضجيج، وربما يعقد مؤتمرًا صحفيًا مصغّرًا بالمناسبة.

نعم، نحن نتحدث عن الدجاجة والبطة، لا من زاويةٍ بيولوجية بحتة، بل من بابٍ أعمق وأخطر: التسويق، والإعلام، وصناعة الانتباه.

## بيضةٌ تصيح... وبيضةٌ تصمت

البطة، ذلك الكائن الهادئ المتزن، تبحث عن زاوية بعيدة، تضع بيضها، ثم تنسحب في صمت الملوك، كأنها ترى أن الجودة لا تحتاج إعلانًا.

أما الدجاجة، فلا تترك العالم على حاله. ما إن تضع بيضتها حتى تعلن الحدث، تصيح، وتُثير الانتباه، وتجعل من كل بيضة إنجازًا قوميًا!

والمفارقة؟ أن بيض البط، في كثير من الأحيان، يتفوّق غذائيًا على بيض الدجاج.

## الجودة وحدها لا تتكلم

بيض البط يحتوي على نسب أعلى من:

- الحديد،
- البروتين،
- الدهون الصحية،
- فيتامين B12،
- السيلينيوم،

- الزنك.

ومع ذلك، من سمع به؟ من رأى حملة ترويجية لبيض البط؟ من صادف إعلانًا يُحدّثنا عن فوائده؟

الجواب بسيط: لأن البط لا يصيح.

## التسويق: فن رفع الصوت في اللحظة المناسبة

الدجاجة ليست طائرًا مزعجًا فحسب، بل – من حيث لا تدري – رائدة في علم الإعلان الطبيعي.

تُعلن فور الإنتاج، تنشر الخبر، تُشعل النقاش في الحظيرة، وتجعل من المنتج حدثًا يُلاحَظ.

ولهذا، تُجمع بيضات الدجاج يوميًا، بينما تُترك كثير من بيضات البط لتفسد، لا لرداءة المنتج، بل لأن أحدًا لم يسمع بوجوده.

وهنا مربط الفكرة:

> ليس الأهم أن يكون منتجك جيدًا… بل أن يعرف الناس بوجوده.

## من السوق الشعبي إلى السوق الرقمي

انظر إلى الأسواق الشعبية: لا أحد يبيع في صمت.

> «ع العنب الحلو يا عنب!» «يا بندورة لحم يا حلوة!»

الصوت يسبق الجودة أحيانًا، ويفتح الطريق لها.

وفي العصر الرقمي، انتقلت صيحة الدجاجة من الحظيرة إلى:

- الإعلانات الممولة،
- المؤثرين،
- الترندات،
- مقاطع الريلز والتيك توك.

كثير من المنتجات المتواضعة تُباع بنجاح، لأن أصحابها فهموا قاعدة الدجاجة الذهبية: أعلن، اصنع ضجيجًا، شدّ الانتباه.

## نماذج صارخة من الواقع

- تطبيقات حصدت ملايين التحميلات لأنها «ترند»، ثم حُذفت بعد يومين.
- منتجات تجميل نافست إرث آلاف السنين، بفضل إعلان مؤثرة واحدة.
- كتب عظيمة بقيت في الظل، بينما تصدّرت كتب سطحية قوائم المبيعات.

الفرق لم يكن في القيمة، بل في الصوت.

## خلاصة الحكاية

- لا تكن بطًا نبيلاً في غابة لا يراك فيها أحد.
- كن دجاجة بأناقة تسويقية، تعرف متى تصيح وكيف تصيح.
- استثمر في الإعلام بذكاء، دون أن تُفرغ المنتج من قيمته.
- لا تخدع الناس، ففقدان الثقة أخطر من الصمت.

فالدجاجة، مهما بالغت في الصياح، تملك في النهاية منتجًا حقيقيًا.

أما النعامة، فتدفن رأسها في الرمل، ثم تتهم الآخرين بالفشل.

## الخاتمة

في زمن الضجيج، لا يكفي أن تكون جيدًا.

عليك أن تكون مسموعًا، مرئيًا، وربما حتى «ترندًا»... دون أن تفقد جوهرك.

# عقدة الخواجة... من أثينا إلى التيك توك

يبدو أن ما يُعرف بـ«عقدة الخواجة» ليست ابنة العولمة، ولا وليدة الاستعمار الحديث، ولا حتى بنت خالة الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي.

بل هي — على الأرجح — عمةُ الزمن، وجدّةُ العُقَد، متربّعة على عرش النفوس منذ قرون، تتنقل بين العصور بثياب مختلفة، مرّة بعباءة يونانية، ومرّة بمعطف أوروبي، واليوم... بحساب موثّق على التيك توك.

## ابن القيم... وخواجات أثينا

اقرأ — إن شئت — ما نقله الإمام ابن القيم في الطب النبوي، حين أشار، بنبرة لا تخلو من الأسى، إلى أن الناس في زمانه لم يكونوا يطمئنون إلى دواءٍ أو وصفة حتى يُقال لهم:

«قال بها جالينوس!» «أوصى بها أطباء اليونان!»

أما إذا قيل لهم:

«استعملها رسول الله »

بدأت علامات التردد، وارتفعت حواجب الشك، وظهرت أسئلة لا تنتهي:

«هل ثبت ذلك علميًا؟» «هل هناك توثيق؟» «هل عليها دراسة حديثة؟»

وكأن جالينوس خُلق ليُصدَّق، ونبيٌّ مؤيَّد بالوحي يحتاج إلى لجنة تحكيم أكاديمية!

## بين زيت الزيتون و«أوميغا ثري»

خذ مثالاً معاصرًا بسيطًا:

حين تقول لأحدهم:

«زيت الزيتون شفاء، وقد ذُكر في القرآن»

يهزّ رأسه باحترامٍ فاتر.

لكن إن أضفت:

«وقد أثبتت دراسة أمريكية حديثة أنه يحتوي على أوميغا 3 ويقلل من مخاطر السرطان»

ينقلب فجأة إلى خبير تغذية عالمي، ويبدأ بشرح الدهون الأحادية غير المشبعة، وكأن «الخواجة» كان نائمًا داخله... واستيقظ.

## العقدة ذاتها... بثوب غربي أنيق

ما الجديد؟ لا شيء.

- كانوا يقولون قديمًا: «قال أرسطو».
- اليوم يقولون: «قال أستاذنا في ستانفورد».
- كانوا يرفضون الحكمة المحلية لأنها «شعبية».
- واليوم يرفضونها لأنها «ما فيها citation».

لو جاءك رجل بلباس عربي بسيط وقال:

«هذا علاج نافع، جرّبناه في قريتنا»

لما التفت إليه أحد.

أما إن جاء آخر بنظارة طبية وربطة عنق وقال:

This is FDA approved

ارتفعت الرؤوس، واتسعت العيون، وبدأ التصفيق.

## عقدة الخواجة في تفاصيل الحياة اليومية

هل لاحظت كيف:

- لا يثق بعض الناس في برنامج عربي، لكنهم يفرحون إذا كان «المبرمج ألماني»؟
- يُقابل المنتج المحلي بالشك، ويُقابل المستورد بالإعجاب قبل التجربة؟
- لا يُقرأ الكتاب إلا إذا كان مؤلفه أجنبيًا، حتى لو كانت أفكاره سطحية؟

أما الكاتب العربي، فغالبًا ما يُتهم بالملل قبل أن تُقرأ الصفحة الأولى.

## الخلاصة... بابتسامة واعية

«عقدة الخواجة» ليست عقدة في الرأس، بل في الروح.

روحٌ لم تُصالح ذاتها بعد، وتظن أن الحقيقة لا تأتي إلا من وراء البحار.

ولو لبس الطبيب الغربي عباءةً ودخل قريةً نائية، لظنه الناس نبيًا في هيئة طبيب.

## رسالة أخيرة

دعونا نثق بعقولنا كما نثق بغيرنا.

فالحكمة — كما قيل — ضالة المؤمن، لا يهم إن جاءت من:

- خواجة،
- بدوي،
- فلاح،
- أو حتى جدتك... التي لا تملك شهادة، لكنها تملك تجربة عمر.

# من بلاغة الوحي إلى فصاحة الخطاب: كيف نستلهم من القرآن فن شدّ الانتباه

في عالمٍ ازدحمت فيه الكلمات، وتسابقت فيه الأصوات، لم يعد كافيًا أن تقول شيئًا مهمًا، بل صار الأهم: كيف تقوله.

كم من فكرة عظيمة ضاعت، لا لضعفها، بل لسوء تقديمها، وكم من خطابٍ فارغ حاز الانتباه، لا لقيمته، بل لحسن افتتاحه.

وهنا، نقف أمام مدرسةٍ لا تُجارى، ولا يُدانيها بيان، ولا ينافسها تأثير: القرآن الكريم.

فمن أراد أن يتعلّم فن شدّ الانتباه، وفقه التمهيد للكلام، وفتح الآذان قبل العقول، فليتأمل بدايات السور، وليُدقّق في أسرار افتتاح الخطاب الإلهي.

## الحروف المقطّعة: كسر التوقّع وإثارة الفضول

الم ص كهيعص يس

هذه الحروف، التي حيّرت العرب — وهم سادة اللغة والفصاحة — لم تكن عبثًا لفظيًا، ولا زينة صوتية، بل كانت صدمة بلاغية محسوبة في صدر الكلام.

كان العربي يسمعها فيتوقف، ينتبه، يتساءل: ما هذا؟ أقسمٌ هو؟ أسماء؟ رموز؟

وهنا تحقّق الهدف: انكسر روتين السمع، وانفتح الذهن للتلقّي.

وهذا درسٌ بالغ العمق: إن أردت أن تشدّ انتباه الناس، فابدأ بما لا يتوقعونه، بكلمة تثير السؤال، أو عبارة تُحدث فراغًا ذهنيًا لا يُملأ إلا بالإنصات.

## السؤال الذي لا يُتجاهل

هل أتاك حديث الغاشية؟ ألم ترَ كيف فعل ربك بأصحاب الفيل؟ أرأيت الذي يكذّب بالدين؟

السؤال ليس مجرد أداة لغوية، بل مفتاحٌ للعقل.

حين يُفتتح الخطاب بسؤال، لا يعود المستمع متلقيًا سلبيًا، بل يصبح شريكًا في التفكير، يُسأل عقله قبل أن يُخاطب سمعه.

السؤال يُجبر الذهن على التوقف، ويوقظ الفضول، ويجعل السامع يبحث عن الجواب حتى قبل أن يُقال له.

وهذا من أبلغ أساليب شدّ الانتباه: أن تجعل المخاطَب جزءًا من الخطاب لا مجرد شاهدٍ عليه.

## الخبر العظيم: صناعة الترقّب والتشويق

اقتربت الساعة وانشق القمر عمّ يتساءلون؟ عن النبأ العظيم إنّا أنزلناه في ليلة القدر

في هذه الافتتاحيات، يُلقى في روع السامع أنه أمام أمرٍ جلل، وخبرٍ ليس عاديًا.

لا مجال للمرور العابر، ولا للتلقي الكسول، بل استعدادٌ نفسي وذهني للإنصاتٍ كامل.

إن تقديم الخطاب بوصفه نبأً عظيمًا يهيّئ القلب والعقل معًا، ويجعل المستمع ينتظر قبل أن يسمع.

## كيف نستفيد من هذه الأساليب اليوم؟

هذه البلاغة ليست حكرًا على النص القرآني، بل دروس عملية لكل من يخاطب الناس:

- إن كنت معلّمًا أو خطيبًا، فابدأ بسؤال غير متوقّع، أو جملة تكسر الرتابة.
- إن كنت كاتبًا، فلا تبدأ بتعريف مباشر، بل بضربة فكرية، أو مشهد، أو مفارقة.
- إن كنت تقدّم مشروعًا أو فكرة، فابدأ بقضية تمسّ الحضور قبل التفاصيل التقنية.

البداية القوية لا تشرح كل شيء، بل تجعل السامع يريد أن يسمع كل شيء.

## القرآن: كتاب البلاغة والتأثير

القرآن ليس كتاب تشريع فحسب، ولا قصصًا وحِكمًا فقط، بل هو دستورٌ في فن الخطاب.

كل كلمة فيه موضوعة بميزان، تخاطب العقل حينًا، والقلب حينًا، ولا تُغفل الضمير أبدًا.

ومن يتدبّره بعين الوعي، يدرك أن البلاغة فيه ليست ترفًا لغويًا، بل وسيلة هداية وتأثير.

## خاتمة

حين نقرأ القرآن بعين المتدبّر لا بعين المتعوّد، نكتشف أنه ليس فقط كتاب هداية، بل أيضًا كتاب خطاب.

ومن أراد أن يكون لكلامه أثر، ولصوته حضور، ولبيانه بقاء، فليتعلّم من الوحي كيف يبدأ الحديث، قبل أن يُتقن كيف يُنهيه.

# الاستعلاء... داءٌ قديمٌ من قبل الخليقة

منذ الأزل، قبل أن تطأ قدمُ بشرٍ أرضًا، وقبل أن تُودَع في صدر إنسانٍ نفسٌ تتقلب بين النور والظلمة، وُجِد الاستعلاء.

لم يكن وليد لحظةٍ عابرة، ولا نزوةَ نفسٍ طارئة، بل كان أول معصيةٍ عُصيَ بها الله، وأول انحرافٍ في ميزان الطاعة.

كان فاعلها جنيًّا عبد الله آلاف السنين، فلما ابتُلي بالسجود لآدم، أبَى واستكبر، وكان من الكافرين.

قال الله تعالى:

(ما منعك أن تسجد إذ أمرتك قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين)

لم يكن امتناعه اعتراضًا عقليًا، ولا جدلاً منطقيًا، بل كان كِبرًا محضًا، واستعلاءً خالصًا، وتقديمًا لرأيه على أمر الله.

فكان جزاؤه الطرد، والطرد ليس إخراجًا من مكان، بل إخراجٌ من الرحمة، وأي عقوبةٍ أعظم من ذلك؟

وهكذا وُلد أول استعلاءٍ في الخليقة، استعلاءٌ أسّس لعداوةٍ أبدية، وجعل إبليس هدفه أن يُسقِط الإنسان كما سقط، وأن يجرّه إلى الكِبر والطغيان، ثم إلى المصير نفسه.

## الاستعلاء... فتنة المنصب والمكانة

من رحم تلك القصة الإبليسية، تناسلت صور الاستعلاء في حياة البشر، وخاصة عند من تذوّقوا طعم السلطة، أو ذاقوا نشوة الجاه، أو أُشير إليهم بالبَنان.

فتراه حين يكون في القمة، يتعالى، وحين تدور عليه الأيام، يعجز عن النزول حيث كان يضع غيره.

تخيّل مديرًا كانت بيده التوقيعات، وكان يُخشى حضوره، ثم أصبح موظفًا عاديًا تحت إدارة من كانوا يخافونه بالأمس.

كم نفسًا ستضطرب؟ وكم كِبرًا دفينًا سيظهر؟ وكم صوتًا إبليسيًا سيهمس: كيف تقبل بهذا؟

وهنا يُمتحَن الإنسان حقًا، لا حين يعلو، بل حين ينزل.

وهنا يُعرَف الشاكر من الطاغي، والحكيم من الأحمق، والمتقي من المتكبر.

## درس درامي: الأمير في صقر قريش

في أحد مشاهد مسلسل صقر قريش، قال أمير قرطبة — وقد جاءه الناس يطلبون منه التنازل لعبدالرحمن الداخل —:

> كنتم تلحّون عليّ أن أقبل بالإمارة، وكنتُ رافضًا، فلما ذُقتُ حلاوتها تريدونني الآن أن أتنازل؟ لا والله لا أفعل.

هذا المشهد يلخّص إدمان العلو، فالمكانة إن لم تُضبط بالتقوى، تحولت إلى نارٍ تحرق صاحبها ومن حوله.

## سُنّة لا تتبدل

من فقه سنن الله في الخلق، علم يقينًا أن:

- كل من علا، قد ينزل.
- وكل من حكم، قد يُحكَم عليه.
- وكل من أمَر، قد يُؤمَر.
- وكل من ساد، قد يصبح تابعًا.

وهنا تتجلى حكمة العاقل المتقي: إذا نزلت رتبته، لم يتغير قلبه، وإذا انخفض قدره الاجتماعي، لم تهتز نفسه، لأنه يعلم أن الأيام دُوَل، وأن القيمة الحقيقية ليست في المنصب، بل في الخُلق.

قال تعالى:

> (وتلك الأيام نداولها بين الناس)

وقال النبي ﷺ:

> من تواضع لله رفعه

## خاتمة: العلو الذي لا يزول

العلوّ الذي يبقى ليس علو الكرسي، ولا رفعة الجاه، بل علو النفس.

المنصب يزول، والرتبة تفنى، والتاريخ لا يخلّد إلا من كان كبيرًا في خُلقه، ولو صغر في منصبه.

من تواضع في القمة، هان عليه التواضع في السفح. ومن علا بنفسه، لم يضره أن يُدارى بمنصب.

ومن علم أن الله هو الرفيع، وأن كل علوٍّ سواه إلى زوال، عاش مطمئنًا، رضي في العسر كما رضي في اليسر.

فلنكن ممن علّمهم الله التواضع عند الرفعة، والرضا عند النقص، والاتزان عند تقلّب الأحوال.

فمن فعل ذلك، نجا من فتنة إبليس، وارتقى في مدارج الصالحين، وكان عند الله عزيزًا ولو صغر في أعين الناس.

# تأمين أم تمثيل؟! حين تتحول المتاجر إلى مسارح درامية

في السنوات الأخيرة، شهدنا بزوغ نجمٍ جديد في عالم بيع الأجهزة الإلكترونية. نجمٌ لا ينافسه نجم هوليوودي، ولا حتى نجم سهيل في ليالي البادية. إنه التأمين الإضافي... ذاك الكائن الغريب الذي لا يظهر إلا بعد أن تضع يدك على الجهاز، وتتهيأ للدفع، فتكتشف فجأة أنك دخلت عرضًا مسرحيًا كاملاً... دون تذكرة!

## الرحلة الملحمية لشراء هاتف

هل جرّبت يومًا شراء هاتف آيفون من أحد المعارض الكبيرة؟ إن لم تفعل، فدعني أصف لك المشهد.

تدخل المتجر واثق الخطوة، تمشي ملكًا، تعرف ما تريد، وقد أجريت بحثًا معمّقًا، ووضعت ميزانيتك بدقة، وأقسمت بينك وبين نفسك: لن أدفع ريالاً واحداً فوق سعر الجهاز.

لكن... عند نقطة الدفع، تبدأ الدراما الهندية.

## لغة الإقناع بالتدليس

لا أحد يبتسم ابتسامة بريئة، ولا أحد يذكر كلمة ``تأمين'' بصراحة. بل يبدأ البائع باستخدام لغة خاصة، تُدرَّس — على ما يبدو — في دورات فن الإقناع بالتضليل المتقدم.

يقترب منك، يخفض صوته، ويهمس وكأنه يحمل سرًا من أسرار الأمن القومي:

> الجهاز حساس جدًا... لو صار زلزال في السلفادور، ممكن ينكسر ظهر الجوال!

السلفادور! ثلاثة عشر ألف كيلومتر، ومع ذلك هاتفك سيتأثر نفسيًا بالهزة... ربما بدافع التعاطف الإنساني!

ثم ينتقل إلى المرحلة الثانية: القصة المأساوية.

> ولد خالتي... كان بكشتة، بالخيمة، على سجاد، وتحته رمل، والجوال وقع من جيبه نص متر... وانكسرت الشاشة!

رغم الكفر، ورغم واقي الشاشة، ورغم دعاء الوالدة الصادق!

وهنا... ينهار عقلك، وتبدأ بالتشكيك في قوانين الفيزياء، وفي وجود شيء اسمه Gorilla Glass.

## لحظة الخوف الوجودي

ثم تأتي الضربة القاضية، غمزة خفيفة، ونبرة المنتصر:

> عشان كذا عندنا تأمين... إذا صار أي شيء — أي شيء — نبدله لك.  بس لازم سنتين... سنتين أقل شيء.

وأنت، في لحظة ضعف إنساني، وخوفٍ من زلزال وهمي، تقول لنفسك:

يمكن... خليني آخذ سنة بس... احتياطًا... يمكن اليابان تنفجر، يمكن الخيمة تنقلب!

فتدفع. ويطير البائع ليخبر المدير:

> تمّت المهمة بنجاح... الزبون وقّع العقد... أقصد التأمين!

## الحقيقة بعد عام

تمر سنة كاملة. يسقط الهاتف عشرين مرة. يُرمى، يُدهس، يُقذف من السيارة.

ولا يحدث له شيء!

فتكتشف الحقيقة الصادمة: أنت لم تشترِ هاتفًا... بل حجرًا كريمًا متنكرًا في هيئة جهاز إلكتروني.

وتدرك أن كل تلك القصص لم تكن إلا نصًا محفوظًا، يُلقَّن للبائعين كما تُلقَّن مسرحيات المدارس.

## رسالة مفتوحة

إلى البائع المحترف في فن التهويل:

اذكر التأمين، لا بأس.

لكن بلا تمثيل، وبلا زلازل وهمية، وبلا قصص أقارب سقطت هواتفهم ضحايا لقوانين فيزيائية غامضة.

أما التاجر الصدوق، فقد صار ذكره في كتب التاريخ، إلى جوار ديناصورات العصر الطباشيري.

# خاتمة

اللهم لا تجعلنا من قومٍ يُخدَعون في كل مرة، واهدِ من باعوا الأمانة إلى الصدق من جديد.

فقد صار الهاتف أثقل من الأخلاق، وأغلى من الصراحة، وأطول عمرًا من بعض الضمائر!

# فسادُ أمركَ للأخلاقِ مرجِعُهُ

في خضمّ ما يشهده عالمنا المعاصر من اضطرابٍ في القيم، واختلالٍ في الموازين، وتيهٍ أخلاقيٍّ يتخفّى أحيانًا خلف شعارات براقة؛ تتبدّى حقيقةٌ لا تقبل الجدل: الأخلاق هي الميزان الحقّ الذي تُوزن به الأمم، وبه تُعرف منازل البشر رِفعةً أو سقوطًا.

وقد لخّص أمير الشعراء أحمد شوقي هذه الحقيقة الخالدة في بيتٍ صار دستورًا للحياة الإنسانية الرشيدة:

فسادُ أمركَ للأخلاقِ مرجِعُهُ
فقوِّمِ النفسَ بالأخلاقِ تستقمِ

## الأخلاق: جوهر لا زينة

ليست الأخلاق زينةً تُضاف إلى الإنسان متى شاء، ولا ترفًا فكريًا يُستحسن وجوده ويُستغنى عنه عند الحاجة، بل هي جوهر الكيان الإنساني، ولبّ رسالته في هذه الحياة. فما من رسالة سماوية نزلت، ولا نبيٍّ بُعث، إلا وكانت الأخلاق في صميم دعوتهم، حتى قال خاتمهم ﷺ:

``إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق.''

فالدين لم يأتِ ليغرس العقيدة في العقول فقط، بل ليصوغ الإنسان صياغةً أخلاقيةً راقية، تجعل من القيم عمودًا فقريًا للحياة، لا قيام للفرد ولا للمجتمع بدونه.

## الأخلاق سلوكٌ يومي لا خطابات

الأخلاق ليست خطبًا تُلقى، ولا شعارات تُرفع، بل هي سلوكٌ يُمارس: هي الشهامة حين يخذل الناس، وهي الرجولة عند الشدائد، وهي العفة حين يضعف كثيرون، وهي الحلم عند الغضب، والكرم زمن الشحّ، والنصيحة الصادقة حين لا يُراد بها إلا وجه الله.

هي الإخلاص الذي لا يعرف رياءً، ولا ينتظر ثناءً، ولا يتغيّر بتغيّر المصالح.

## سقوط الأخلاق... سقوط الإنسان

وحين تفقد هذه القيم، أو تُهمَّش، لا يخسر الإنسان صورته أمام الناس فحسب، بل يخسر نفسه، ويُصبح أداة فسادٍ بدل أن يكون لبنة إصلاح. وهنا تتجلى خطورة الأمر، فالأخلاق ليست طريقًا لمحبة الناس فقط، بل هي باب من أبواب النجاة الأخروية.

ألم يقل النبي :

``أقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا.''

## مفارقة العصر المؤلمة

ما بالنا نرى مجتمعاتٍ غير مسلمة تتقدّم في ميادين الحياة؛ لأنها أقامت شؤونها على الصدق، والنظام، والعدل، وتحمل المسؤولية؟ ثم نرى في المقابل أممًا تحمل الوحي، وتنتسب إلى نبيّ الأخلاق، لكنها تتراجع؛ لا لفقرٍ في العقول، ولا لنقصٍ في الموارد، بل لخللٍ أخلاقيٍّ عميق.

فحسن الخلق في الإسلام ليس مسألةً سلوكيةً هامشية، بل دليل على صدق الإيمان، وثمرة من ثمار العقيدة الصحيحة.

## الأخلاق أساس العمران

المجتمع الذي يتشح بالأخلاق مجتمعٌ متماسك، تسوده الرحمة، ويحكمه العدل، وتستنير طرقه بالحكمة.

فيه تُصان الأمانات، وتُرد الحقوق، ويُكرم الضعيف، وتُحفظ كرامة المرأة والغريب، ويعلو صوت الضمير فوق ضجيج المصالح.

هكذا تُبنى الأمم، وهكذا تُخلّد الحضارات.

## من أين يبدأ الإصلاح؟

إن ما نراه من انهيارٍ في كثير من مجتمعاتنا ليس نتيجة فقرٍ ماديّ، ولا ندرة في الطاقات، بل نتيجة مباشرة لانهيار أخلاقي، وغياب للإخلاص، واستمراءٍ للكذب والغش والأنانية.

ولو أننا أعدنا الأمور إلى أصولها، وقوّمنا أنفسنا بالأخلاق، لبدّل الله حالنا، كما قال سبحانه:

``إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ.''

## خاتمة

لسنا اليوم بحاجة إلى مزيد من الخطب الرنانة، ولا إلى تنظيرٍ مجرّد، بل إلى قدواتٍ أخلاقية تُجسّد ما تقول، وتُترجم الدين سلوكًا، كما كان رسول الله ﷺ قرآنًا يمشي على الأرض.

فلنبدأ بأنفسنا، ولنجعل الأخلاق دستور حياتنا في السرّ والعلن، في البيت والعمل والشارع.

فصلاح الأمة يبدأ من صلاح الفرد، وغنى الإنسان الحقيقي في غنى نفسه، وقوة المجتمعات في أخلاقها.

فسادُ أمركَ للأخلاقِ مرجِعُهُ
فقوِّمِ النفسَ بالأخلاقِ تستقمِ

# أيها الرجل... بل أيها الذكر

## أتراك ظلمتها؟ أم أن الظلم هو ما تراه حقًا؟

تصلنا أحيانًا قصصٌ يرويها أصحابها بلهجة الواثق، كأنهم يطلبون تصديقًا لا حكمًا، وتبريرًا لا ميزانًا. قصصٌ يُقدَّم فيها الظلم على أنه حق، ونكران الجميل على أنه واقعية، والخيانة على أنها تفكير بالمستقبل.

وهذه واحدة من تلك القصص، لكنها ليست مجرد حكاية شخصية، بل مرآة مكشوفة لمعنى الرجولة حين يُفرَّغ من أخلاقه، ويُختزل في شهوةٍ أو مصلحةٍ أو رقم عمر.

## سبع سنوات... ليست رقمًا

سبع سنوات كاملة من الخطوبة. سبع سنوات من الانتظار، والصبر، والتحمّل، والدعم، والمواجهة مع الأهل، والمشاركة في جمع المال، والمساندة في أحلك الظروف. سبع سنوات كانت فيها المرأة شريكة همّ، لا متفرجة؛ سندًا، لا عبئًا؛ وفيةً، لا متطلبة.

لم تكن هذه السنوات نزهة في العمر، ولا فراغًا عابرًا، بل كانت تُقتطع من شبابها، ومن فرصها، ومن مستقبلها، وتُوضع بين يديك أمانة.

## من الذي كبر حقًا؟

حين انتهت ظروفك، وهدأت العاصفة، وشُفي الجرح الأكبر، نظرتَ إليها لا بعين الشريك، بل بعين المستهلك. لم تعد المرأة التي صبرت، بل أصبحت في نظرك امرأة كبرت. لم تعد رفيقة درب، بل صارت رقمًا في خانة العمر.

وهنا يفرض السؤال نفسه بقسوة:

من الذي كبر حقًا؟ أهي التي انتظرت؟ أم ضميرٌ تقزّم حتى لم يعد يرى من الإنسان إلا نفعه؟

## الوفاء ليس مرحلة مؤقتة

الوفاء - يا من تسأل عن حقك - ليس عقدًا مؤقتًا ينتهي بانتهاء الحاجة. الوفاء خُلُقٌ ثابت، لا يُستدعى وقت الشدة ويُطرد وقت الرخاء.

قال الله تعالى:

``ولا تنسوا الفضل بينكم.''

فأين ذهب الفضل؟ وأين ذهبت المروءة؟ وأين اختفت الرجولة التي لا تقوم إلا على الاعتراف بالجميل؟

## الزوجة الثانية... أم إهانة ثانية؟

ثم تبلغ القسوة ذروتها حين تُخيَّر امرأة صبرت سبع سنوات أن تنتظر لتكون زوجة ثانية، وكأنها تُكافأ على وفائها بالفتات، وكأن كرامتها قابلة للتأجيل، وكأن العِشرة تُستبدل بعرضٍ باردٍ يخلو من أي احترام.

أي منطق هذا؟ وأي دين؟ وأي رجولة تُجيز أن يُكسر قلب امرأة ثم يُطلب منها الصبر مرة أخرى؟

## الإنجاب... ذريعة أم حجة؟

حتى الذريعة الطبية لا تصمد أمام الفحص الأخلاقي والعلمي. فالثالثة والثلاثون ليست عائقًا قاطعًا للإنجاب، بل من الأعمار الطبيعية طبيًا ونفسيًا.

لكن الحقيقة ليست في العمر، الحقيقة في الرغبة في البدء من جديد دون حمل مسؤولية الماضي، وفي البحث عن صفحة نظيفة بعد تمزيق الصفحة التي كُتب فيها الوفاء.

## الرجولة امتحان عند القوة لا الضعف

الرجولة لا تُختبر حين تكون ضعيفًا محتاجًا، بل حين تقوى وتملك الخيار.

الرجولة أن تعود لمن وقف معك حين لم يكن في يدك شيء، لا أن تتخلى عنه حين أصبح الطريق معبّدًا.

والذي يبيع الوفاء مرة، لن يحفظه مرة أخرى، مهما غيّر الوجوه والظروف.

## كلمة أخيرة

ليس من العيب أن تفكّر بمستقبلك، لكن العار كل العار أن تُدمّر مستقبل غيرك الذي بُني على الانتظار لأجلك.

الرجولة أخلاق. الرجولة دين. الرجولة وفاءٌ لا يُساوَم عليه.

ومن لم يفهم هذه المعاني، فلا يَغضبنّ إن قيل له بصدقٍ لا يعرف المجاملة:

أنتَ ذكر... ولكنك لستَ رجلاً.

# الذاكرة البشرية

## المعجزة البيولوجية التي تحفظ الهوية وتبني الحضارات

ليست الذاكرة مجرد وظيفة عقلية هامشية نلجأ إليها لتذكّر الأسماء أو المواعيد، بل هي جوهر التجربة الإنسانية، والركيزة التي تقوم عليها اللغة، والتعلّم، والوعي بالذات، واستمرارية الحضارات. فالإنسان بلا ذاكرة كيانٌ بلا تاريخ، وعقلٌ بلا هوية، وحاضرٌ لا جذور له.

من خلال الذاكرة تتراكم الخبرات، وتُصقل المهارات، وتُبنى العواطف، ويُعاد تشكيل المستقبل استنادًا إلى الماضي. ولهذا لا ينظر علم الأعصاب الحديث إلى الذاكرة على أنها مستودع تخزين ساكن، بل كمنظومة ديناميكية مرنة، تنمو، وتتغير، وتضعف، وتقوى تبعًا للتجارب، والبيئة، والحالة النفسية، وحتى العوامل الوراثية.

## أولاً: ما الذاكرة؟ — البنية والوظيفة

تعريفًا عصبيًا، الذاكرة هي القدرة البيولوجية للجهاز العصبي على:

- ترميز المعلومات (Encoding)
- تخزينها (Storage)
- استرجاعها عند الحاجة (Retrieval)

وتُمثّل هذه العمليات الثلاث ما يُعرف بعملية التذكّر.

### أنواع الذاكرة حسب المدة الزمنية

| النوع | المدة | الوظيفة |
|---|---|---|
| الذاكرة الحسية | أقل من ثانية | التقاط أولي للمثيرات البصرية والسمعية واللمسية |
| الذاكرة القصيرة / العاملة | 15–30 ثانية | معالجة مؤقتة للمعلومات (كالعمليات الذهنية) |
| الذاكرة طويلة الأمد | من أيام إلى مدى الحياة | تخزين الحقائق، المهارات، والتجارب الشخصية |

### أقسام الذاكرة طويلة الأمد

الذاكرة الصريحة :(Explicit)

- الذاكرة الدلالية: الحقائق والمعلومات العامة
- الذاكرة العرضية: أحداث الحياة الشخصية

الذاكرة الضمنية :(Implicit)

- المهارات والعادات الحركية مثل ركوب الدراجة

## ثانيًا: خريطة الذاكرة في الدماغ

الذاكرة لا تسكن موضعًا واحدًا في الدماغ، بل تتوزع على شبكات عصبية متكاملة:

- الحُصين :(Hippocampus) تشكيل الذكريات الجديدة وتحويلها إلى طويلة الأمد
- القشرة أمام الجبهية: الذاكرة العاملة واتخاذ القرار
- اللوزة الدماغية: ربط العاطفة بالذاكرة
- المخيخ والعقد القاعدية: الذاكرة الحركية والعادات

وقد أثبتت دراسات التصوير الوظيفي (fMRI) أن استرجاع الذكريات يُعيد تنشيط الشبكات العصبية نفسها التي شاركت في تكوينها.

## ثالثًا: كيف نقوّي الذاكرة؟ — ما يقوله العلم الحديث

### 1. التمارين الذهنية

- تقنية قصر الذاكرة (Method of Loci)
- التكرار المتباعد (Spaced Repetition)

### 2. النوم

أثناء النوم العميق، يعيد الدماغ تشغيل الذكريات لتثبيتها. وقد أظهرت دراسات أن الحرمان من النوم قد يُضعف الذاكرة بنسبة تصل إلى 40%.

### 3. التغذية العصبية

- أوميغا-3 (DHA / EPA)
- الكولين (صفار البيض)
- الكركمين
- مضادات الأكسدة (التوت، الشاي الأخضر)

### 4. الرياضة

النشاط البدني يرفع إفراز عامل نمو الدماغ BDNF، والمشي 30 دقيقة يوميًا يحسّن الأداء المعرفي بشكل ملحوظ.

## رابعًا: الذاكرة والضغط النفسي

التوتر المزمن وارتفاع الكورتيزول يؤديان إلى:

- إضعاف الحُصين
- تدهور الذاكرة
- صعوبة التركيز

وقد ثبت أن التأمل والـ Mindfulness يحسّنان الذاكرة عبر تقليل التوتر.

## خامسًا: الذاكرة والتقدم في العمر

يفقد الدماغ تدريجيًا جزءًا من حجمه مع التقدم في السن، لكن يمكن بناء الاحتياطي المعرفي عبر:

- تعلم لغات جديدة
- نشاطات ذهنية مستمرة
- علاقات اجتماعية نشطة

## سادسًا: التقنيات الرقمية

- CogniFit – Peak – Lumosity
- SuperMemo – Anki
- Neurofeedback القائم على EEG

## سابعًا: حالات استثنائية للذاكرة

- Hyperthymesia
- Syndrome Savant
- أبطال مسابقات الذاكرة

## خلاصة علمية

الذاكرة مهارة تُبنى ولا تُمنح، والدماغ قادر على التجدّد حتى في أعمار متقدمة إذا توفرت له بيئة محفّزة.

## توصيات عملية

- رياضة يومية
- نوم كافٍ
- غذاء متوازن
- تقنيات حفظ ذكية
- تخفيف التوتر
- تعلّم مستمر

## خاتمة

في عصر فيض المعلومات، تصبح الذاكرة القوية شرطًا للفهم العميق، والتعلّم الحقيقي، والوعي بالحياة. وكلما كانت ذاكرتك أعمق، كان حضورك في العالم أوضح، ومستقبلك أكثر إشراقًا.

ابدأ اليوم... فالعقل الذي يُدرَّب لا يشيخ.

# قل آمنت بالله ثم استقم

## دعوة للاستيقاظ من غفلة العمر واستثمار ما بقي من الأيام

### مقدمة

في زحام الحياة، وبين لهو الدنيا وزخرفها، ينسى الإنسان — أو يتناسى — أن لكل بداية نهاية، وأن كل نَفَسٍ يقطعه يقرّبه خطوة من مصيره المحتوم. وسط هذا الضجيج، يأتي كلام النبي ﷺ هادئًا، قصيرًا، لكنه كالسهم النافذ إلى القلب:

> «قل آمنت بالله، ثم استقم» — رواه مسلم

حديثٌ قليل الألفاظ، عظيم المعاني، يلخّص طريق النجاة، ويضع للمؤمن خريطة واضحة للسير إلى الله دون تعقيد ولا التواء.

## أولاً: معنى الحديث — الإيمان ثم الاستقامة

قول النبي ﷺ: «قل آمنت بالله» ليس مجرد نطق باللسان، بل إعلان داخلي صادق:

- إيمان بالقلب
- وتصديق بالقول
- وترجمة بالفعل والعمل

لكن الإيمان — وحده — لا يكتمل إلا إذا تُوِّج بالاستقامة، وهي الثبات على أمر الله، والسير على صراطه دون ميل مع هوى، أو انجراف خلف شهوة.

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

> «الاستقامة هي سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القويم، من غير ميلٍ يمينًا ولا شمالاً.»

فالاستقامة ليست لحظة حماس، ولا موسماً عاطفيًا، بل نهج حياة متواصل.

## ثانيًا: بشارة عظيمة عند لحظة المصير

قال الله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) [فصلت: 30]

هذه الآية ليست وصفًا نظريًا، بل مشهد حقيقي عند أعظم لحظة في حياة الإنسان: لحظة الرحيل.

- لا خوف على المستقبل
- ولا حزن على الماضي
- وبشرى بالجنة

أي طمأنينة أعظم من هذه؟

## ثالثًا: حكمة الموت — لا يُؤجَّل ولا يُؤمَّن

قال زهير بن أبي سلمى:

رأيتُ المنايا خبطَ عشواءَ مَن تُصبْ
تمُتْ ومن تُخطئ يُعمَّرْ فيهرمِ

بيتٌ يختصر حقيقة مرعبة: الموت لا يختار حسب التوقعات، ولا يلتزم بقوانين البشر. قد يُخطئ الكبير، ويصيب الشاب، وقد يأتي بغتة بلا مقدمات.

فهل يُعقل أن نؤجّل الاستقامة وكأننا نملك ضمان العمر؟

## رابعًا: وقفة محاسبة — أين ذهبت الأيام؟

كم يومًا مضى ونحن نُسَوِّف؟ كم ساعة ضاعت فيما لا يقرّبنا من الله؟

قال الحسن البصري رحمه الله:

«يا ابن آدم، إنما أنت أيام، كلما ذهب يومٌ ذهب بعضُك.»

العمر ليس رصيدًا ثابتًا، بل رصيدٌ يتناقص مع كل شروق شمس.

## خامسًا: قصة توقظ القلب

جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم رحمه الله، فقال:

«أُذنب ثم أستغفر، ثم أعود.»

فقال له إبراهيم:

«إذا أردت أن تعصي الله، فاعصه في مكان لا يراك فيه، ولا تأكل من رزقه، ولا تمشِ على أرضه. فإن لم تستطع، فاستحِ من الله، واستقم.»

كلمات قليلة، لكنها كسرت حجج النفس، وأعادت الميزان إلى موضعه.

## سادسًا: رسالة المقال

الاستقامة ليست حكرًا على الكاملين، ولا وقفًا على الزهّاد. هي طريق مفتوح لكل من صدق مع الله، مهما كثرت ذنوبه.

قال تعالى:

﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: 70]

باب الله لا يُغلق، ولكن الأعمار تُغلق فجأة.

## خاتمة

نحن في رحلة قصيرة، والعودة إلى الله هي النهاية الحتمية. فلنجعل هذا الحديث دستورًا لحياتنا، لا مجرد نص نردّده:

«قل آمنت بالله، ثم استقم»

لا تؤجّل التوبة، ولا تؤخّر الاستقامة، فلعلّ هذا اليوم... هو الأخير.

# التصالح مع النفس: فنُّ التجاوز وسرُّ الطمأنينة

## مدخل

في خِضَمِّ الحياة اليومية، بما تحمله من تسارعٍ وضغوط، وتشابك علاقات، وتباين طبائع، يحتاج الإنسان إلى مهارةٍ نادرة لا تُدرَّس في المناهج، ولا تُمنَح بالشهادات: التصالح مع النفس.

هو ذاك الفن الهادئ الذي يُمكِّن الإنسان من تجاوز الاستفزازات دون أن يخدش كرامته، ومن امتصاص الأذى دون أن يتحول إلى ساحة صراع داخلي، ومن العيش بسلام دون أن يكون ضعيفًا أو متنازلاً عن حقه.

## ما التصالح مع النفس؟

التصالح مع النفس لا يعني الرضا عن الخطأ، ولا التهاون في الحقوق، ولا قبول الظلم، بل يعني أن تعيش وأنت مدركٌ لقيمتك، واعٍ بنقاط قوتك وضعفك، غير مستنزَفٍ عند كل كلمة، ولا مقيّدٍ بكل تصرّف.

هو أن تعرف متى تتكلم، ومتى تصمت، ومتى تواجه، ومتى تتجاوز، ومتى يكون الرد قوة، ومتى يكون التغافل هو عين الحكمة.

## التغافل: حكمة الكبار

قال الحسن البصري رحمه الله:

«ما زال التغافل من فعل الكرام»

التغافل ليس غفلة، وليس ضعفًا، بل هو ذكاء عاطفي راقٍ. هو أن ترى الخطأ، وتختار ألاّ تمنحه حجمًا أكبر من قدره. أن تسمع الكلمة الجارحة، وتُسقطها من حساباتك، لا عجزًا، بل رفعة.

فلو توقفت عند كل نظرة، وكل عبارة، وكل تصرّف غير لائق، لما صفا لك عيش، ولا استقر لك قلب.

## الاستفزاز لا يُغيّر الواقع

كم من إنسانٍ استفزّه موقف، فردّ بغضبٍ واندفاع، ثم ماذا؟ هل تغيّر الواقع؟ أم تغيّر فقط ميزان العقل، وخسرت الكلمات وقارها؟

قال النبي ﷺ:

«ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»

التحكم بالنفس عند الغضب ليس ضعفًا، بل بطولة نادرة، لا يُتقنها إلا من انتصر على داخله أولاً.

## لا تجعل الغضب طبيعةً مقدسة

من الخطأ أن يبرّر الإنسان حدّة انفعاله بقوله: «هذه طبيعتي».

فالانفعال المفرط قد تكون له أسباب نفسية، أو عضوية، أو نقص في عناصر حيوية تؤثر مباشرة في المزاج والسلوك.

ومن تجربة شخصية، مررتُ بسنواتٍ كنتُ فيها سريع الغضب، متقلّب المزاج، حتى تبيّن بعد فحصٍ طبي شامل وجود نقص حاد في فيتامين (د)، أقل من 12 نانوغرام/مل.

وبعد بدء العلاج، ظهر تحسّن ملحوظ في الاستقرار النفسي، وهدوء في الانفعال، مما يؤكد أن بعض ما نظنه أخلاقًا قد يكون في حقيقته حالة بيولوجية قابلة للعلاج.

## نموذج إنساني: التصالح في صورته العملية

من النماذج المعاصرة التي جسّدت التصالح مع النفس، الفنان الراحل سمير غانم رحمه الله.

لم يكن عالمًا ولا داعية، لكن من عرفه أو تابعه أجمع على هدوئه، وبشاشته، وخفة روحه، وقدراته الواضحة على تجاوز الاستفزاز دون احتقان أو ضغينة.

في المقالب والمواقف المفاجئة، لم يُرَ يومًا غاضبًا أو متجهمًا، بل كان يواجه الموقف بابتسامة، أو طرفة، أو سلوك يدل على نفسٍ مطمئنة.

وذلك – في جوهره – ثمرة تصالح داخلي عميق.

## درعك الواقي: حسن الظن

حين تُحسن الظن بالناس، وتضع لهم أعذارًا، وتُدرك أن لكل إنسان ظروفًا لا تراها،

فأنت لا تُنقذهم... بل تُنقذ نفسك من حمل الأحقاد.

قال النبي :

«خير الناس من يألف ويؤلف»

## الابتسامة قوة صامتة

الابتسامة ليست مجاملة سطحية، بل أداة تهدئة، ورسالة سلام، وكسرٌ لحدة التوتر.

قال :

«تبسّمك في وجه أخيك صدقة»

كم من خلافٍ كان يمكن أن يتحول إلى قطيعة، لولا بسمة هادئة، أو تغافل كريم.

## التصالح مع النفس: طريق السلام

حين تتصالح مع نفسك:

- لا تنتظر من الناس الكمال
- لا تنكسر بالنقد
- ولا تتضخم بالمدح
- ولا تحمل الأذى معك طويلاً

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«أعقل الناس أعذرهم للناس»

## خلاصة

لن يسلم أحد في هذه الحياة من الأذى أو الجهل أو سوء الفهم، لكن أعظم أبواب الطمأنينة هو أن تختار ردّك بحكمة.

لا تجعل من كل عثرة معركة، ولا من كل اختلاف جبهة قتال.

تعامل مع الحياة بسلاسة، ومع الناس بحسن نية، ومع نفسك برحمة.

فأنت لست مسؤولاً عن أفعال الآخرين، لكنّك مسؤول تمامًا عن ردودك.

اختر الرقي... تكن سيّد الموقف.

# العلم بين نور الإخلاص وظلمة النرجسية

من الغزالي إلى طلاب العلم في هذا الزمان

## العلم نعمة... ولكن

جعل الله العلم نورًا، يهدي به القلوب، ويصلح به الأعمال، ويرفع به أقوامًا إلى مراتب عليا، حتى قرن أهله بورثة الأنبياء، فقال النبي ﷺ:

«إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»

غير أن هذا النور، إذا فُقد منه الإخلاص، تحوّل إلى أداة استعلاء، وسُلّم للجاه، ووسيلة للتفوّق الاجتماعي، لا طريقًا للهداية. وحينها لا تنطفئ بركته فحسب، بل ينقلب على صاحبه، فيحمله على الكِبر، ويورثه نرجسية خفيّة، لا تراها العيون، لكن تنفر منها القلوب السليمة.

وهنا، تأتي كلمات الإمام أبي حامد الغزالي، لا بوصفها سيرة ذاتية، بل تشخيصًا خالدًا لمرضٍ يتكرر في كل عصر.

## الغزالي... حين واجه نفسه

كان الغزالي في ذروة المجد العلمي، متصدّرًا المجالس، مطلوبًا عند الأمراء، مشهودًا له بالذكاء والبيان. لكنه، بعد رحلة قاسية مع ذاته، كتب كلمته الصادقة:

«أدركت أنني كنت أطلب العلم لا لله، بل لأتفوق، وأغلب، وأُشار إليّ... فاعتزلت، وأعدت حسابي مع نفسي»

هذه العبارة ليست ندمًا شخصيًا فحسب، بل تحذيرًا عميقًا من داءٍ خطير: النرجسية العلمية.

داءٌ يصيب بعض المتفوقين، خصوصًا طلاب العلم الشرعي، فيخلطون بين مقام العلم ومقام النفس، فيتوهمون أنهم فوق الناس، وأوصياء على قلوبهم، فيقسون، ويتعالون، ويخسرون القبول في الأرض والرضا في السماء.

## العالم المتواضع... رفعة بلا ضجيج

العالم الرباني لا يحتاج إلى منصة عالية ليُهاب، ولا إلى جمهور واسع ليُحب. تواضعه هو سلطانه، وخشيته هي هيبته.

قال النبي :

«من تواضع لله رفعه»

وقال :

«ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره»

وانظر إلى موسى عليه السلام، نبيٍّ كريم، حين قصد الخضر ليتعلم، فقال بأدب التلميذ:

«هل أتبعك على أن تعلّمني مما عُلّمت رشدًا»

نبيٌّ يطلب العلم بتواضع... فكيف يتعالى به من لم يبلغ عُشر علمه ولا عمله؟

## نماذج خالدة من تواضع العلماء

الإمام مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، كان يُسأل عن مسائل كثيرة، فيقول ببساطة: «لا أدري». فلما قيل له: «إن الناس جاءوا من أقطار بعيدة!»، قال: «فليرجعوا ويقولوا: إن مالكًا لا يعلم».

وكان الإمام الشافعي يقول:

«ما ناظرت أحدًا إلا تمنيت أن يُجري الله الحق على لسانه»

أما الإمام أحمد بن حنبل، فكان يخدم تلاميذه بنفسه، ويأنف من مظاهر التعظيم، ويعدّ العلم مسؤولية لا امتيازًا.

## نرجسية المتعلم في هذا الزمان

في زماننا، قد ترى طالب علمٍ حسن البيان، قوي الحجة، لكنه ضيّق الصدر بالنقد، متحفّز لأي مخالفة، لا يسلّم إلا على من هم في "دائرته"، ولا يسمع إلا لمن يوافقه.

يتحدث عن التواضع، لكنه يتابع الأرقام. يحدّث عن الإخلاص، لكنه يقيس قيمته بعدد المتابعين. وقد يتسرّب إلى قلبه شعور خفي بأنه من "الناجين"، وأن غيره مقصّر أو جاهل.

وهنا تكمن الكارثة: أن يعيش الإنسان في فقاعة التفوّق، وينسى أنه عبدٌ ضعيف، سيُسأل عن علمه قبل غيره.

## الفطرة الإنسانية: الكِبر منبوذ

الناس – في كل الثقافات – لا يحبّون المتكبّر، مهما كان علمه. الفطرة السليمة تنفر من الاستعلاء، وتميل إلى اللين.

قال تعالى:

«واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين»

وقال في وصف عباد الرحمن:

«الذين يمشون على الأرض هونًا»

فالقلوب تُفتح بالتواضع، لا بالعلو، والناس يتعلمون من خُلُقك أكثر مما يتعلمون من لسانك.

## رسالة إلى طلاب العلم

إياكم أن تجعلوا العلم جسرًا إلى الوجاهة، بدل أن يكون طريقًا إلى الخشية. أنتم اليوم تتعلمون، وغدًا تُسألون: هل أخلصتم؟ هل عملتم؟ هل رحمتم الناس بعلمكم؟

كونوا ممن:

- إذا علموا، خافوا
- وإذا فهِموا، تواضعوا
- وإذا نُصحوا، قبلوا

قال عبد الله بن المبارك:

«ربّ رجل في المشرق يُستنزل به الغيث في المغرب، وما ذاك إلا لصدقٍ بينه وبين الله»

## خاتمة

اسأل نفسك بصدق: لماذا تطلب العلم؟

إن كنت تطلبه لتكون عبدًا أنقى، وقلبك أخشع، ونفسك ألين… فأنت على الطريق. وإن كنت تطلبه لتكون أعلى من الناس، وأشد حضورًا، وأوسع شهرة… فراجع نيتك قبل أن يُسحب منك النور.

العلم نور، لا يسكن قلبًا متكبرًا.

ولا يُعرف العالم بكثرة متابعيه، بل بصدق دموعه حين يخلو بربه.

# من تخفيضات السواني إلى «تابعني... قبل أن أموت!»

## حين صار اللايك أوكسجينًا

كان يا ما كان، في زمنٍ لم تعد فيه الكائنات الرقمية تبحث عن الطعام أو الهواء، ظهر نوع جديد من البشر، لا يعيش إلا على اللايك، ولا يتنفس إلا بالشير، وإذا لم تُتابعه الآن فورًا... فربما تُزهق روحه الرقمية عطشًا للمشاهدات!

لم يعد الخطر في الجوع أو العطش، بل في انخفاض التفاعل، وانحسار الوصول، وغضب الخوارزمية التي لا ترحم.

## الفاصل الإعلاني غير المدفوع

يخرج عليك صانع محتوى مجهول، لا يحمل رسالة ولا قيمة، لكنه يحمل نبرة بكاء مؤثرة، كأنك في غرفة طوارئ:

«أرجوووكم تابعوني... أنا على وشك الانقراض! اضغطوا لايك قبل ما تأخذني الخوارزم... قصدي الموت! فعّلوا الجرس... يمكن يرجعلي الأمل بالحياة!»

مشهد لا يختلف كثيرًا عن إعلان تخفيضات «السواني» في الثمانينات، ذاك الإعلان الأسطوري الذي بدأ بصوتٍ متهدّج كأننا في جنازة، وانتهى بنداءٍ هستيري: «الحقوا التخفيضات قبل وقوع الكارثة!».

لكن الفارق الجوهري هنا أن الكارثة الرقمية وقعت فعلاً... لا على الأسعار، بل على كرامة الإنسان.

## متى تحولت القيمة إلى شفقة؟

كيف وصلنا من زمن كانت فيه الشهرة نتيجة جودة، إلى زمن أصبحت فيه الجودة عبئًا، وأصبح النجاح مرهونًا بعبارة:

«اشتركوا بالقناة... ترى نفسيتي تعبانة!»

متى تحولت صناعة المحتوى من إبداعٍ وبناءٍ وتأثير، إلى صناعة استجداء عاطفي؟

إنها دراما رقمية لا تقل مأساوية عن أفلام الأبيض والأسود، البطل فيها يخرج بعيون ذابلة، ونبرة مكسورة، ويبدأ كل فيديو بمقدمة حزينة:

«قبل ما نبدأ... لا تنسوا الاشتراك واللايك، والله تعبت كثير عشان أعمل هالمحتوى...»

ثم تكتشف في النهاية أن هذا «المحتوى» لا يتعدّى مقطعًا لشخص يأكل إندومي من خمس زوايا مختلفة في غرفته.

## التهديد العاطفي... المرحلة المتقدمة

الأكثر تطورًا لا يكتفي بالبكاء، بل ينتقل إلى الابتزاز الناعم المغلّف بالهشاشة:

«إذا ما وصلنا 100 ألف متابع هذا الأسبوع... يمكن أوقف القناة وأبيع عصير برتقال!»

وهنا تتساءل ببراءة: أين ذهب الصبر؟ أين ذهبت الجدارة؟ أين اختفت فكرة أن العمل الجيد يفرض نفسه؟

أصبح المشهد الرقمي أشبه بسوقٍ شعبية، الكل يصرخ: «تعاااال تابعني!» حتى لو لم يكن في جعبته سوى نكتة باردة، أو رأي سياسي مُعاد تدويره من تعليقات فيسبوك عام 2012.

## حين صار كل أحد خبيرًا

وفجأة، صار بعضهم يُحلل الاقتصاد، وآخر يُفكك الجغرافيا السياسية، وثالث يُقدّم نصائح طبية خطيرة... وهو لا يفرّق أصلاً بين اليود واليوتيوب!

كاميرا أمامية + إنترنت متوسط = «مؤثر». لم يعد المعيار هو القيمة، بل عدد المشاهدات. لم يعد السؤال: ماذا تقول؟ بل: كم شوهدت؟

## المحتوى الحقيقي لا يتسوّل

في المقابل، هناك من يبدعون بصمت، يقدّمون علمًا نافعًا، أو فكرًا رصينًا، أو نقدًا موضوعيًا، ولا يتوسّلون أحدًا.

لأن المحتوى القوي يعرف طريقه. لا يركع أمام زر اللايك، ولا ينهار عند انخفاض الأرقام.

## حقيقة مُرّة

من يستجديك متابعته، يعترف ضمنيًا أن محتواه لا يكفي وحده.

ومن يقول لك كل يوم:

«أرجوك تابعني»

نادراً ما يقول:

«شكرًا لأنك استفدت»

## رسالة أخيرة

يا صانع المحتوى المتسوّل، إن كانت قناتك لا تمشي إلا على عكاز «اشتركوا الله يخليكم»، فربما لا تستحق أن تمشي أصلاً.

## خاتمة

إذا شعرت يومًا برغبة أن تبدأ كل فيديو أو منشور بعبارة:

«لو سمحتوا تابعوني»

فتذكّر أن بيتهوفن ألّف أعظم سيمفونياته وهو أصم، ولم يُضِف أحد زر «اشترك» على دفتر نوتته.

اسأل نفسك بصدق:

هل تريد أن تكون مؤثرًا… أم متسوّلاً؟

المحتوى الحقيقي يجعل الناس تبحث عنك، لا الذي يجعلك تبكي في كل فيديو كي تبحث عنهم.

# الحسد... داءٌ خفيّ يُمزِّق صاحبه قبل أن يمسّ غيره

## مرض القلب قبل فساد السلوك

الحسد ليس مجرّد انزعاجٍ عابر حين ترى ما عند غيرك، ولا هو غيرةً صحّية كما يحاول بعضهم تزيينه، بل هو داءٌ قلبيّ خطير، ينشأ حين يضعف الرضا، ويضيق الصدر، ويغيب اليقين بأن الله وحده هو الرزّاق، يُعطي بحكمة، ويمنع بعدل، ولا يظلم أحدًا مثقال ذرّة.

الحسد لا يبدأ من العين، بل من القلب، ولا يحرق المحسود أولاً، بل يُحرق صاحبه ببطء، يعيش الحاسد في توتر دائم، سخطٍ داخلي، ومقارنة لا تنتهي، لأنه لا يرى ما أُعطي، بل ما أُعطي غيره.

## ما هو الحسد حقًّا؟

الحسد هو تمني زوال النعمة عن الغير، أو كراهية وجودها عندهم، سواء تمنّى أن تكون له أو لا.

وهو من أخطر أمراض القلوب، وأقدمها في تاريخ الخلق:

- في السماء: حسد إبليس آدم على المكانة التي أكرمه الله بها، فقال: «أأسجد لمن خلقت طينًا؟» [الإسراء: 61]
- في الأرض: حسد قابيل أخاه هابيل، فكانت أول جريمة قتل في تاريخ البشر.

وهكذا، كان الحسد شرارة السقوط الأولى، وسيبقى من أعظم أسباب هلاك النفوس.

## الحسد اعتراضٌ على القسمة الإلهية

من أيقن أن الله هو الرزّاق، وأن الأرزاق لا تُؤخذ بالحيلة ولا تُدفع بالحسد، لا يمكن أن يحسد.

قال النبي :

«إن روح القدس نفث في رُوعي أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب.»

فإذا كان رزقك مكتوبًا لا يفوتك، فلماذا تحترق لما عند غيرك؟

الحاسد ـ في حقيقته ـ يعترض على قسمة الله في قلبه، وإن لم يجرؤ على التصريح بذلك بلسانه، وكأن لسان حاله يقول:

«لماذا أعطى الله فلانًا ولم يعطني؟»

وهي مصيبة عقدية قبل أن تكون سلوكية.

## مظاهر الحسد في زماننا

الحسد اليوم نادرًا ما يُعلن، لكنه يتخفّى في صور خبيثة:

- نجاح صديق يُقابل بتشكيك: «أكيد عنده واسطة... أكيد غشّ».
- نعمة امرأة تُقابل بغيظٍ صامت لا مبرر له.
- شاب يرى غيره يُكرم أو يُوفّق، فيحترق داخليًا ويلعن الحظ بدل أن يشكر الله.

وقال النبي ﷺ محذرًا:

«إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.»

## كيف يعيش الحاسد؟

الحاسد يعيش في شقاء دائم:

- لا يفرح بما عنده، لأنه مشغول بما عند غيره.
- لا يهدأ، لأن المقارنة لا تنتهي.
- لا يشكر، لأنه يرى نفسه مظلومًا.
- لا يرضى، لأن قلبه معترض.

إنه كمن يشرب السمّ، ظنًّا منه أنه سيقتل غيره، فإذا به يقتل نفسه ببطء.

## طريق العلاج

### 1. ترسيخ الإيمان بالقدر

قال الله تعالى:

«نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا» [الزخرف: 32]

لن تأخذ إلا ما كُتب لك، ولو اجتمع أهل الأرض كلهم.

### 2. مجاهدة النفس

إذا رأيت نعمة عند غيرك، فقل فورًا:

ما شاء الله، تبارك الله، اللهم بارك له، وارزقني خيرًا إن كان فيه خير.

الدعاء يقتل الحسد في مهده.

### 3. النظر إلى نعمك أنت

قال تعالى:

«ولا تتمنوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض» [النساء: 32]

لكل إنسان نعم لا يملكها غيره، لكن الغافل لا يراها.

### 4. سؤال الله سلامة القلب

كان النبي ﷺ يدعو:

«اللهم طهّر قلبي من النفاق، وعملي من الرياء...»

وقل أنت:

اللهم اجعل قلبي سليمًا، لا يحسد ولا يحقد ولا يعترض.

# خاتمة

الحسد لا يزيدك غنًى، ولا ينقص من رزق غيرك، بل هو سوء أدب مع الله، وعذابٌ في النفس، وخرابٌ للقلب.

فكن من أصحاب القلوب السليمة، الذين يفرحون لفرح الناس، ويشكرون الله على كل حال، ويوقنون أن الله أرحم وأحكم من أن يظلم أحدًا.

قال تعالى:

«ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا منهم زهرة الحياة الدنيا» [طه: 131]

القناعة والرضا بابان عظيمان للسعادة، ومن فتحهما الله له، أغلق عنه باب الحسد إلى الأبد.

# الهدر المالي في مشاريع البرمجيات الحكومية

## حين تتحول الأنظمة إلى أداة لاستهلاك الميزانية بدل خدمتها

في زمنٍ تُرفع فيه شعارات ترشيد الإنفاق وتعظيم العائد من كل ريال يُصرف، لا تزال بعض مشاريع البرمجيات الحكومية تُدار بعقلية تُناقض هذه المبادئ في جوهرها، وتُكرّس ممارسات لا يمكن وصفها بالقصور الفني وحده، بل تقترب ـ أحيانًا ـ من التغافل المؤسسي، وأحيانًا أخرى من الهدر المنهجي الذي يُدار بهدوء تحت غطاء الإجراءات النظامية.

المشكلة هنا ليست في وجود تعاقدات خارجية، فذلك أمر طبيعي في مشاريع تقنية معقّدة، بل في تحويل المشروع نفسه إلى ذريعة دائمة لاستنزاف الميزانية بدل أن يكون وسيلة لبناء قدرة ذاتية مستدامة داخل الجهة الحكومية.

## المشروع الذي لا يُراد له أن يكتمل

يبدأ المشروع بتكلفة تضخمية، يُقال إنها تشمل:

- التحليل
- التصميم
- التطوير
- الاختبار
- التسليم

لكن ما يُبنى فعليًا ليس نظامًا مكتملاً، بل دائرة مغلقة من الاعتماد الكلّي على الشركة المتعاقدة.

عند نهاية العقد، يُصرَّح بوجود «تعقيدات تقنية» لا يمكن التعامل معها إلا عبر الشركة نفسها، وكأن النظام كُتب بلغة لا يفهمها سواهم، أو كأن المعرفة التقنية حُجبت عمدًا عن موظفي الجهة المالكة للنظام.

## تهميش الكفاءات الداخلية

في كثير من الحالات، لا يكون موظفو الجهة الحكومية مجرد متفرجين، بل يكونون شركاء فعليين في حمل المشروع، يتعاملون مع تفاصيله، ويعرفون بنيته، ويصلحون أعطاله اليومية.

ومع ذلك، يُستبعدون من مشهد الاستدامة، بحجة الحاجة إلى «خبرة خارجية»، ويُعاملون وكأنهم غير مؤهلين لإدارة ما ساهموا في بنائه.

وهنا يتحول الخطر من هدر مالي فقط إلى إضعافٍ متعمّد للقدرات الوطنية، وإرسال رسالة سلبية لكل كفاءة داخلية مفادها:

«وجودك مرحلي... والاستدامة لغيرك».

## دوامة العقود المفتوحة

ثم تبدأ الحلقة المفرغة:

- عقود دعم
- عقود صيانة
- عقود تطوير لاحقة
- تمديدات متتالية
- مكافآت ورواتب مرتفعة بحجة عدم إمكانية الاستغناء

لا لأن النظام يتطلب ذلك فعليًا، بل لأن النموذج بُني منذ البداية ليكون غير مكتفٍ ذاتيًا.

وهكذا تتحول البرمجيات من أداة خدمية إلى وسيلة لاستدامة التعاقد ذاته.

## أسئلة لا بد أن تُطرح

أين دور إدارات تقنية المعلومات في:

- التقييم الفني الحقيقي؟
- التخطيط بعيد المدى؟

- بناء المعرفة المؤسسية؟

أين الجهات الرقابية الفنية المستقلة؟ أين دور المحاسبة في حماية المال العام؟ وأين مبدأ نقل المعرفة الذي يُفترض أن يكون شرطًا لا ترفًا؟

وهنا يُطرح السؤال الجوهري بلا مواربة:

هل هذا إنفاق... أم هدر؟ هل هذا تطوير... أم إدامة تبعية؟ وهل يتوافق هذا المسار مع طموح الاكتفاء الذاتي الوطني؟

## ما الذي نحتاجه فعليًا؟

إن تصحيح هذا المسار لا يحتاج شعارات جديدة، بل قرارات واضحة، منها:

- هيئات رقابية تقنية ذات كفاءة حقيقية، لا شكلية.
- محاسبة جادة للجهات التي تستسلم لتعاقدات غير مبرّرة.
- خارطة طريق واضحة لبناء الأنظمة عبر القدرات الداخلية أولاً.
- إلزام حقيقي بنقل المعرفة لا توثيق صوري.
- حوكمة فنية صارمة لكل مرحلة من مراحل التطوير.
- فصل المصالح، وإنهاء ثقافة «الاعتماد الدائم».

## رؤية وطن... لا بند ميزانية

رؤية 2030 لم تُطرح لتكون عناوين تُرفع، بل لتكون إطارًا عمليًا يمنع النزيف الصامت داخل الميزانيات، ويُعيد الاعتبار للكفاءة الوطنية، ويحوّل التقنية من عبءٍ مالي إلى رافعة حقيقية للتنمية.

## خاتمة

حين تتحول البرمجيات الحكومية من وسيلة لخدمة المواطن إلى أداة لاستهلاك الميزانية، فالمشكلة ليست تقنية، بل مسارٌ إداري يجب تصحيحه...

وبسرعة.

# طبق الكرامة

## حين يصبح الشكر خيانة، والمعروف دينًا لا يُسدد

مرّت أربع عشرة سنة ثقيلة على السوريين، سنواتٍ تكسّرت فيها البيوت، وتبعثرت فيها العائلات، وتقاسمتها نار الحرب، ومرارة الغربة، وقسوة الاعتماد على الغير.

لكن الحقيقة التي يجب أن تُقال بوضوح: ليس كل من بقي في سوريا عاش ذلاً، وليس كل من خرج إلى دول الجوار عاش بكرامة.

فالكرامة لم تكن مرتبطة بالجغرافيا، بل بالأخلاق، وأحيانًا تحوّلت إلى طبق يحمله إنسان بيده ليُطعم غيره، ثم لا يجد من يُطعمه حين يجوع.

## المعروف في زمن الشدّة

في زمن الحرب، لا تكفي كلمة «شكرًا»، ولا تردّ عبارة «ما قصّرت» دين المعروف إذا كان المعروف إنقاذًا في وقت الهلاك.

كثيرون من السوريين حملوا طبق الكرامة بصمت:

- فتحوا بيوتهم
- دفعوا إيجارات
- تكفّلوا بعلاج
- دعموا تعليم
- سهّلوا لجوءًا

فعلوا ذلك في أحلك الظروف، لا من فائض، بل من وجعٍ مشترك، ومن أخلاق لا تعرف المساومة.

ثم دارت الأيام، وتغيّرت الأحوال، وتحسّن حال من أُعينوا، وبقي المعين في ضيق.

وحين طلب القليل، لم يجد إلا:

- صمتًا
- استغرابًا
- تسويفًا

كأن المعروف كان واجبًا عليه وحده، والردّ تفضّلاً من غيره.

## حين يُجمّل الجحود بخطابٍ أخلاقي

قيل لأحد هؤلاء، نثرًا أو شعرًا:

«الناس إما يعاملونك بالعدل فيحسبون كل قرش، وإما بالفضل فيكون الأمر أجرًا لا يُنتظر مقابله».

كلام جميل... لو قيل في حق عاجز لا يملك، أما أن يُقال لميسور، بنى استقراره على كتف غيره، ثم تنكّر له، فذلك ليس فضلاً، بل جحودٌ مُغلّف بالبلاغة.

وقد صدق زهير بن أبي سلمى:

ومن يصنع المعروف في غير أهله يضرس بأنيابٍ ويُوطأ بمنسم

## من لا يردّ المعروف

من لا يعرف ردّ المعروف:

- لا يعرف الرجولة
- لا يعرف الشهامة
- ولا يفهم جوهر الدين

لأن المعروف ليس صدقة تُنسى، بل دينٌ أخلاقي لا يسقط بالتقادم.

## من احتضن السوريين... ومن أهانهم؟

لا يكتمل الحديث عن الكرامة دون التوقف عند الدول التي فتحت أبوابها للسوريين رغم ضيق ذات اليد، ورغم أزماتها السياسية والاقتصادية.

تركيا، الأردن، لبنان، كردستان العراق، مصر، والمملكة العربية السعودية التي فتحت أبواب الزيارة، والعمل، والتعليم، والعلاج بكرمٍ لا يُنكر.

هذه الدول احتضنت ملايين السوريين، وغالبًا تحملت العبء قبل أن يأتي أي دعم.

وفي المقابل، برزت مواقف مؤلمة من دول:

- أغلقت حدودها
- وشوّهت كرامة اللاجئ إعلاميًا

رسائل أكاديمية، وتصريحات إعلامية، تحمّل المشرد ذنب الخراب، وكأن من هُدم بيته هو من فجّر الزلزال بيده.

وهذا ليس نقدًا، بل إهانة إنسانية صريحة.

## العدل... لا التبرير

نحن لا نبرّئ السوريين من أخطاء بعضهم في دول اللجوء، لكننا نطلب العدل، لا التعميم، ولا التشويه، ولا تحويل المعاناة إلى مادة ازدراء.

ونُقدّر بصدق الدول التي احتملت فوق طاقتها، ونقول:

جزاكم الله خيرًا، ونسأل السوريين فيها أن يكونوا عونًا لا عبئًا، وأن يحفظوا الجميل كما يُحفظ الدين.

## نداء أخير: طبق الكرامة لا يُؤكل أنصافًا

يا من أُطعمتم يوم الجوع، وتُرك غيركم يوم الحاجة...

الدنيا دول، واليوم لك، وغدًا عليك.

ومن مدّ لك يد العون، قد يحتاجك يومًا، فلا تتعالَ، ولا تتنكر، ولا تختبئ خلف خطابٍ منمّق.

ردّ الجميل:

- ليس خيارًا

- ولا مكرمة
- بل واجب

## خاتمة

من المسؤول عن هذا الانحدار الأخلاقي بين الإخوة؟ من يعلّم الأجيال أن المعروف دين لا يسقط؟ أين الإعلام الصادق؟ وأين المؤسسات التي تُربّي على الوفاء لا الجحود؟

هذا المقال ليس اتهامًا، بل صرخة ضمير للسوري، وللعربي، ولكل إنسان...

أن يُعيد ترتيب أخلاقه قبل أن تفقد الأمة آخر ما تبقّى لها:

الكرامة.

# إخوان الشياطين

## الإسراف: انحراف في الفهم قبل أن يكون زيادة في الإنفاق

الإسراف ليس مجرد إنفاق زائد، بل هو علامة على غياب الحكمة، وانفلات العقل خلف شهوة الاستهلاك.

المسرف لا يُحسن التقدير، ولا يعرف لقيمة النعمة وزنًا، ولا يرى في المال والوقت والصحة إلا موارد تُستهلك لا أمانات تُحفظ.

وقد ذمّ الشرع الإسراف، وحذّر منه العقلاء، لأنه بابٌ للفقر، وسببٌ للندم، ومُهلكٌ للبركة.

قال الله تعالى:

``إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا'' [الإسراء: 27]

تأمّل هذا الوصف القرآني القاطع: ليسوا أتباع الشياطين، بل إخوانهم.

لأن المسرف يُهين النعمة، ويكفر بها بسوء التصرف، والكفر لا يكون دائمًا إنكارًا، بل قد يكون قلة شكر، وسوء تقدير، وغياب رشد.

## وضوء... أم تبذير؟

من أكثر صور الإسراف شيوعًا اليوم، ما نراه في استخدام الماء أثناء الوضوء.

كم من مسلم محافظ على صلاته، يفتح الصنبور إلى آخره، ويترك الماء يتدفق بلا وعي، ظنًّا أن كثرة الماء تعني طهارة أعظم!

وقد قال النبي :

``لا تُسرف ولو كنت على نهرٍ جارٍ'' [رواه ابن ماجه]

وكان يتوضأ بمدٍّ من الماء (أقل من 600 مل)، في بيئة صحراوية حارة.

فكيف نُبرر اليوم استهلاك خمسة أو ستة لترات في وضوءٍ واحد؟

إنه ليس مجرد هدرٍ للماء، بل استخفاف بالنعمة، ومخالفة صريحة لروح الشريعة التي قامت على الاعتدال.

## عصر القهوة... حين يتحول الاستهلاك إلى استعراض

من أبرز صور الإسراف المعاصر: التباهي بالجلوس اليومي في المقاهي، صغارًا وكبارًا، رجالاً ونساءً.

القهوة لم تعد مشروبًا عابرًا، بل تحولت إلى رمز اجتماعي زائف، ودليل تحضّر شكلي، وتقليد أعمى لا يُسأل عن جدواه.

جلسة واحدة قد تكلّف:

- مشروب
- قطعة كيك
- سناك جانبي

والمجموع لا يقل عن 60 ريالاً، لتصل الفاتورة الشهرية إلى أكثر من 1500 ريال دون حاجة حقيقية، ودون فائدة تُذكر.

ثم يُقال:

``أضبط مزاجي''

## رفاهية أم إسراف مُقنّع؟

لا أحد يمنع الترفيه المعتدل، ولا زيارة المقهى عند الحاجة، لكن تحويله إلى عادة يومية هو:

- هدر للمال
- استنزاف للوقت
- إضرار بالصحة

الرقي الحقيقي ليس في الاستعراض، بل في الاتزان، وفي احترام النعمة، وفي وضع المال في موضعه الصحيح.

## القهوة والكافيين: ضرر صحي بعد إسراف مالي

أثبت الأطباء أن الإفراط في الكافيين يسبب:

- الأرق المزمن
- زيادة القلق والتوتر
- اضطرابات المعدة
- ارتفاع ضغط الدم
- الإدمان النفسي والعصبي

فلماذا نُضر أجسادنا، ونهدر أموالنا، فقط لنبدو ``راقيين''؟

## صور أخرى للإسراف في حياتنا اليومية

الإسراف لا يقتصر على القهوة، بل يشمل:

- الأعراس: مئات الآلاف في ليلة واحدة
- الملابس: شراء ما لا يُلبس إلا مرة
- الكهرباء: تشغيل الأجهزة في غرف خالية
- الطعام: طبخ زائد يُلقى في القمامة
- التقنية: تغيير الأجهزة رغم كفاءتها

كلها صور لهدرٍ جماعي، تُضعف الفرد، وتُنهك المجتمع.

## الرشد ليس بخلاً

يظن البعض أن الاقتصاد تضييق، وأن الاعتدال حرمان، وهذا فهم خاطئ.

قال الله تعالى:

``وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا'' [الإسراء: 29]

الإسلام لا يدعو للبخل، بل للرشد، ولا يمنع النعمة، بل يمنع إهانتها.

## الخاتمة: نداء إلى كل عاقل

أيها القارئ الكريم...

المال أمانة، والصحة أمانة، والوقت أمانة، والموارد أمانة.

فإياك أن تكون من المسرفين، فتُدرج — دون أن تشعر — في زمرة إخوان الشياطين.

ابدأ بنفسك:

- أغلق الصنبور أثناء الوضوء
- اشترِ بقدر حاجتك
- خفف من جلسات المظاهر
- لا تتبع كل تقليعة جديدة

فالرقي الحقيقي ليس في كثرة ما نستهلك، بل في حُسن ما نُحسن استخدامه.

# النرجسية في مجتمعاتنا

## الأسباب، المآلات، وسبل العلاج في ضوء القرآن والسنة

## مقدمة

في السنوات الأخيرة، برزت النرجسية بوصفها أحد أخطر الاضطرابات السلوكية التي تنخر العلاقات الاجتماعية، وتُفسد الروابط الأسرية، وتُزعزع التوازن النفسي للفرد والمجتمع. ورغم مظاهر التقدّم المادي والحضاري، إلا أن تضخّم الأنا، والاستعلاء على الخلق، والانشغال بالصورة لا بالقيمة، بات ظاهرة متنامية تهدد الاستقرار الأخلاقي والاجتماعي.

فما النرجسية؟ وما أسباب انتشارها؟ وما آثارها؟ وكيف عالجها القرآن الكريم والسنة النبوية معالجةً جذرية؟

## أولاً: معنى النرجسية وحقيقتها

النرجسية ليست مجرد حبٍّ معتدل للذات، بل هي تضخيم مَرَضي للأنا، وانشغال دائم بالذات والصورة، واستعلاء على الناس مع احتقارٍ خفي أو ظاهر لهم.

وهي من أخطر أمراض القلوب؛ لأنها تُغذّي:

- العُجب
- الكِبر
- الرياء
- احتقار الآخرين

وتدفع صاحبها إلى سلوكيات مؤذية، تبدأ بالإعجاب بالنفس، وتنتهي بالقطيعة والبغضاء والعزلة.

## ثانيًا: أسباب انتشار النرجسية

من أبرز الأسباب المؤدية إلى هذا الداء:

### 1. التنشئة الخاطئة

حين يُربّى الإنسان على أنه مركز الكون، أو حين يُهمَل عاطفيًا فيبحث عن التعويض عبر تضخيم ذاته، تنشأ نرجسية كامنة تظهر لاحقًا في السلوك.

### 2. الثقافة الاستهلاكية والمظهرية

حيث غدا النجاح يُقاس:

- بما تملك
- بما تلبس
- بما تُظهر

لا بما تُقدّم من خُلُق أو نفع.

### 3. وسائل التواصل الاجتماعي

التي جعلت:

- الاستعراض سهلاً
- الإعجاب معيارًا
- التقدير رقميًا لا أخلاقيًا

### 4. غياب القدوات الحقيقية

فأصبح القدوة:

- صاحب الشهرة

- صاحب المال

لا صاحب العلم والخلق.

### 5. الإحباط والفشل

فيعوض البعض فشلهم الواقعي بتضخيم ذواتهم والتقليل من شأن غيرهم.

## ثالثًا: آثار النرجسية

### أولاً: على الفرد

- قلق دائم على الصورة
- غضب سريع عند النقد
- اكتئاب عند غياب الإعجاب
- فقدان السكينة الداخلية

### ثانيًا: على المجتمع

- تفكك العلاقات
- ضعف الثقة
- انتشار الحسد والبغضاء
- قتل روح التعاون
- صناعة قدوات زائفة

## رابعًا: حقيقة الإنسان في ميزان القرآن

جاء القرآن ليكسر وهم العظمة الزائفة، ويُعيد الإنسان إلى حقيقته:

``خُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا'' [النساء: 28]

``يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ'' [فاطر: 15]

وبيّن أن الجحود أصل الداء:

``قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ'' [عبس: 17]

وحذّر من الكبر والغطرسة:

``إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ'' [لقمان: 18]

وذكّر بالمصير الحتمي:

``كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ'' [آل عمران: 185]

## خامساً: النرجسية في ميزان السنة

قال النبي :

``لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر'' [رواه مسلم]

وقال :

``ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتُلٍ جَظٍّ مُستكبر'' [متفق عليه]

فالنرجسية ليست مرضًا اجتماعيًا فقط، بل خطرًا دينيًا وأخلاقيًا.

## سادساً: النعم والتواضع

قال الله تعالى:

``وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ'' [النحل: 53]

فكل نعمة:

- اختبار

- أمانة
- مسؤولية

ومن جعلها وسيلة للتعالي سُلِبت بركتها، وحُرم القبول.

## رسالة إلى كل نرجسي

تذكّر:

- ما عندك فضل لا استحقاق
- وما أنت فيه ابتلاء لا تميّز
- وما تملكه قد يُسلب في لحظة

لن ترفعك نرجسيتك عند الله، ولا عند الناس، بل ستُسقطك من القلوب قبل المواقع.

عالج نفسك بالتواضع، وبالشكر، وبنفع الناس، فذلك طريق القبول، وطريق السلام النفسي.

## من السيرة والواقع

كان النبي ﷺ سيد المتواضعين، يقول:

``إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد''

وكم من متواضعٍ خلّده الله، وكم من متكبرٍ سقط اسمه وبقي أثره السيّئ.

## الخاتمة

النرجسية داء يعزل الإنسان:

- عن نفسه
- عن الناس
- عن ربه

ولا يرفعه إلا:

التقوى والتواضع

فليكن شعارك:

``من تواضع لله رفعه، ومن تكبّر وضعه الله''

# نعمة السروال والفنيلة في السعودية

## راحة لا يعرفها إلا من جرّبها

## مقدمة

الحمد لله على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى؛ نِعَمٌ كبرى يدركها الجميع، كالأمن، والصحة، والاستقرار، ونعمة الحرمين الشريفين، ونِعَمٌ أخرى صغيرة في ظاهرها، عظيمة في أثرها، لا ينتبه لها إلا من عاشها، وجرب غيرها، وقارن بينهما بعين التجربة لا بعين السماع.

ومن هذه النعم التي قد لا تُذكر في الخطب ولا تُدرّس في المناهج، لكنها حاضرة في تفاصيل الحياة اليومية... نعمة السروال والفنيلة.

## السروال والفنيلة: فلسفة الراحة اليومية

منذ نعومة أظفاري، وأنا أعيش في المملكة العربية السعودية. نشأت هنا، وكبرت، وكوّنت أسرتي، وولد أبنائي في هذا الجو الذي يجمع بين الطمأنينة والبساطة. ومع اختلاف الأجيال وتغير الأزمنة، بقي عنصر مشترك ثابت في تفاصيل حياتنا اليومية: هذا اللباس المنزلي العبقري: سروال وفنيلة.

لباس لا يحتاج تعريفًا، ولا شرحًا، ولا تعليمات استخدام. لا أزرار كثيرة، ولا تعقيد، ولا طبقات متداخلة. قطعتان فقط... لكنهما تختصران فلسفة كاملة في الراحة.

## سهولة الحياة... على الطريقة السعودية

تخيّل المشهد التالي:

تستيقظ من النوم، ترتدي السروال والفنيلة، ثم تلبس الثوب فوقهما، وتخرج إلى الصلاة، أو العمل، أو أي مشوار سريع.

تعود إلى البيت... تخلع الثوب، تعلّقه في الدولاب، وفجأة — دون أي مجهود إضافي — تجد نفسك في أعلى درجات الجاهزية للراحة.

لا تبديل، لا بحث، لا إعادة ترتيب.

وكأن النظام مصمم خصيصًا ليقول لك: "تفضل... اجلس، استرح، الحياة لا تستحق كل هذا العناء."

## تجربة البيجامة: مقارنة لا ترحم

والآن، دعنا نقارن — بلا تعصّب — مع تجربة شائعة في دول أخرى: نظام البيجامة.

في هذا النظام:

- تستيقظ وترتدي البيجامة.
- تريد الخروج؟ عليك خلعها.
- ترتدي ملابس الخروج بكل تفاصيلها.
- تعود؟ تعيد العملية بالعكس.

وإن تكرر ذلك خمس مرات في اليوم — صلاة، عمل، مشوار، زيارة — فأنت أمام:

- وقت ضائع
- طاقة مستنزفة
- أزرار مهددة بالانقراض

بل وقد تفقد أحد الأزرار في معركة يومية لا داعي لها.

## الدقائق الضائعة... والأزرار المنقرضة

لو حسبنا الزمن المستهلك في تبديل الملابس بين:

نمط البيجامة    نمط الخروج

لوجدنا أن متوسط السعودي يربح:

- ساعات راحة أسبوعيًا
- صفاء ذهنيًا
- عمرًا أطول للأزرار

وهذا — بلا مبالغة — مكسب حضاري صامت.

## الدرس المستفاد

في السعودية، تعلّمنا — دون تنظير — أن:

البساطة لا تعني الإهمال، بل تعني الذكاء العملي.

السروال والفنيلة ليسا رمز كسل، بل رمز فهم عميق للحياة: افعل ما يلزم... دون أن تُرهق نفسك بما لا يلزم.

## شكر وامتنان

أحمد الله على هذه النعمة الصغيرة في شكلها، الكبيرة في أثرها. شكرًا لهذا البلد الذي علّمنا أن الراحة ليست ترفًا، وشكرًا للسروال والفنيلة، الذين وفّرا علينا:

- وجع الرأس
- ضياع الوقت
- أسئلة من نوع: "وين بيجامتي؟"

## الخاتمة

في الختام، إن رأيتني مبتسمًا بلا سبب ظاهر، فاعلم أنني — على الأغلب — قد خلعت ثوبي للتو، وجلست أستمتع براحة السروال والفنيلة.

اللهم أدمها من نعمة، ولا تجعلنا من الغافلين عنها.

# استغنِ عمن شئت تكن مثله

## معنى الاستغناء الحقيقي وعزّة الإنسان في التوكل على الله

## مقدمة

في عالمٍ تتزاحم فيه الأكتاف على المناصب، وتُقاس فيه القيم بما في الجيوب لا بما في القلوب، تطلّ علينا حكمة قديمة، عميقة، مختصرة، تحمل في كلماتها فلسفة الكرامة الإنسانية كلّها:

استغنِ عمن شئت تكن مثله

قد يظنها بعضهم دعوة إلى التعالي أو الانعزال، لكنها في حقيقتها دعوة إلى التحرر الداخلي، وبناء العزّة الحقيقية التي لا تُشترى، ولا تُستجدى، ولا تُستمد إلا من الله.

## حقيقة الاستغناء: حرية القلب

الاستغناء عن الناس لا يعني احتقارهم، ولا قطع المعروف عنهم، ولا العيش في برجٍ من جفاء.

بل هو أن:

- يكون قلبك معلقًا بالله وحده
- لا تتعلق بما في أيدي الناس
- لا تجعل حاجتك عند مخلوق

حينها فقط، تستوي عندك الوجوه والمناصب والأسماء، وترى البشر جميعًا في أصلهم الإنساني سواء:

- الغني والفقير

- القوي والضعيف
- صاحب الجاه والمغمور

لا يرفع أحدهم فوق الآخر إلا التقوى والعمل الصالح.

قال تعالى:

( إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ )

## الاستغناء سرّ العزّة

العزيز الحقيقي ليس من يملك الكثير، بل من لا يحتاج أحدًا.

كلما:

- قوي يقينك بالله
- وضعفت حاجتك للناس

ازدادت عزّتك، وسكنت نفسك، وتحررت من القلق، لأنك لم تعد ترى في البشر مصدر نفعٍ أو ضرّ، بل أدوات في قدر الله لا أكثر.

## لا تتعلق بما في أيدي الناس

ما في أيدي الناس زائل، مهما بدا ثابتًا.

منصب اليوم… ذكرى غدًا مال اليوم… فتنة غدًا جاه اليوم… صمت غدًا

فلا تجعل قلبك معلّقًا بما لا يدوم.

قال الله تعالى:

( وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ )

ومن علّق قلبه بغير الله، عاش ذليل الانتظار، قلق التعلّق، ضعيف الروح.

## النبي ﷺ وأخلاق الاستغناء

جسّد النبي ﷺ أسمى معاني الاستغناء، فكان أكثر الناس توكّلاً، وأقلهم تعلقًا بالدنيا.

وكان من دعائه العظيم:

«اللهم أحيني مسكينًا، وأمتني مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين»

والمسكين هنا ليس ذلاًّ، بل تحررًا من عبودية الدنيا، وتجردًا من وهم الامتلاك، واكتفاءً بالله عن كل أحد.

## المساكين: سرّ الطمأنينة

المسكين الحقيقي:

- ليس من يملك القليل
- بل من لا يعلّق قلبه إلا بالله

هو من:

- يرى النعم عطايا لا حقوقًا
- يرى الناس إخوة لا مصادر
- يرى الدنيا محطة لا غاية

من استغنى بالله عن الناس، عاش:

- عزيز النفس
- هادئ القلب
- مطمئن الروح

## الخاتمة

تأمل هذه الحكمة مرة أخرى:

استغنِ عمن شئت تكن مثله

وتذكّر:

- أن البشر جميعًا فقراء إلى الله
- وأن القوة الحقيقية في التوكل
- وأن الغنى غنى القلب لا الجيب

لا تغتر بمالٍ، ولا تركن إلى منصب، ولا تُذل قلبك لمخلوق.

كن عزيز النفس بالله... تكن أغنى الناس.

# «والله الزول دا ما سمح»

## بين سوء المواقف وخطر التعميم: دعوة إلى التسامح الاجتماعي

## مقدمة

للهجة السودانية عبقٌ خاص، ونبرةٌ صادقة، وكلماتٌ تُقال ببساطة لكنها تحمل معاني عميقة. ومن أشهر تعبيراتها التي تترك أثرًا في السامعين عبارة:

«والله الزول دا ما سمح»

ولمن لا يعرف دلالتها، قد يظنها مديحًا، بينما هي في حقيقتها تعبير عن خيبة أمل، تُقال حين يُحسن الإنسان الظن بغيره، ثم يُفاجأ بسوء تصرّف، أو جفاء، أو غرور، أو خذلان.

هي جملة تخرج غالبًا من قلبٍ جُرح، لا من عقلٍ تعمّد الإساءة.

لكن المشكلة لا تبدأ هنا... بل تبدأ حين لا يقف الحكم عند ذلك الزول، ويمتدّ ليشمل كل من يشبهه في:

- اللهجة
- الجنسية
- المنطقة
- الشكل أو الانتماء

## التعميم: ظلمٌ لا يقل عن الظلم الأصلي

حين يُسيء إليك فرد، فأنت ضحية موقف. لكن حين تُعمّم حكمك على جماعة كاملة بسبب ذلك الفرد، تتحول – دون أن تشعر – من ضحية إلى ظالم.

كم من شخص:

- تعامل مع موظف سيئ
- أو بائع فظ
- أو سائق متوتر

ثم خرج يقول:

«هذا الشعب كله كذا»

وكأن هذا الفرد صار ممثلاً رسميًا لملايين البشر!

## نماذج واقعية من الحياة

### 1. شبهة العنصرية

شاب انتقل إلى حي جديد، دخل المسجد ذات يوم فلم يُسلّم عليه أحد. خرج وهو يقول: «هذا حي عنصري». بعد أيام، علم أن المسجد كان في عزاء أحد وجهاء الحي، والناس كانوا غارقين في حزنهم.

### 2. الممرضة القاسية

امرأة تعاملت معها ممرضة بجفاء، فحكمت فورًا: «كل الممرضات قاسيات». وفي زيارة لاحقة، قابلت ممرضة أخرى احتوتها بابتسامة صادقة، حتى بكت من التأثر.

### 3. شهادة منصفة

رجل من الشام كان يعتقد أن السودانيين باردون في التعامل، حتى عاشر أحدهم في العمل، فقال بعدها في المجالس:

«أنا ظلمت السودانيين... والله الزول دا طيب وسمح»

## الناس زوايا... والظروف تصنع الانطباعات

من أعجب ما في البشر أن الشخص الواحد قد يبدو:

- قاسيًا في موقف
- لطيفًا في موقف آخر

وقد يكون:

- مهمومًا
- مريضًا
- متأثرًا بإهانة سابقة
- أو لا يُجيد التعبير عن نفسه

فلا تُحمّل الناس وزر ظروفهم.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«لا تظن بكلمة خرجت من أخيك شرًا وأنت تجد لها في الخير محملاً»

## من هدي السنة: حسن الظن وسلامة الصدر

قال رسول الله ﷺ:

«إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث»

وقال ﷺ:

«المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا»

وقال ﷺ:

«ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا»

وحذّر ﷺ من خطر التفريق بين الناس:

«إن الشيطان قد أيس أن يُعبد في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم»

# كيف نُعالج هذا الخلل الاجتماعي؟

## أولاً: افصل بين الفرد والجماعة

لا تجعل خطأ شخص حكمًا على:

- دين
- بلد
- قبيلة
- جنس

## ثانيًا: تمهّل قبل الحكم

اسأل نفسك:

- هل عرفته جيدًا؟
- هل تكرر الموقف؟
- هل فهمت الدوافع؟

## ثالثًا: جرّب العذر

قال الشافعي رحمه الله:

> «من لم يتغافل، ابتُلي بسوء الخُلق»

# قيمة الإنصاف

ما أجمل أن تكون ممن يكسرون الأحكام الجائرة، فيقولون بعد معرفة:

> «والله الزول دا طيب وسمح… لكن الناس ظلموه»

هنا تكون جسرًا لا جدارًا، ومُصلحًا لا مُحرِّشًا.

## خلاصة المقال

- لا تجعل موقفًا سيئًا حكمًا دائمًا
- لا تُعمّم بناءً على تجربة فردية
- تمهّل، تسامح، وأعطِ فرصة

واعلم أن:

ظنّك بالناس... مرآة لما في قلبك

فكن سمحًا، واسع الصدر، منصفًا، ليُقال فيك بحق:

«والله الزول دا أطيبُه وما أعدلُه»

# قيمة الإنسان بين زوال المنصب وبقاء الخُلق

## مقدمة

من يتأمل في قصة فيلم «زوجة رجل مهم» للفنان الراحل أحمد زكي، يدرك بوضوح أن الحياة لا تدور حول المناصب، ولا تُقاس قيمتها بالأموال أو النفوذ، مهما طال زمنها أو عظمت سطوتها. ففي هذا العمل الدرامي العميق، نرى ضابطًا ذا شأن وهيبة، يُهاب ويُطاع، لا لذاته، بل لموقعه الوظيفي وسلطته الرسمية. وحين جاء يوم التقاعد، وسُحبت منه الصلاحيات، سقطت الهالة التي كان يتفيأ بظلها، ووقف عاريًا أمام حقيقة الإنسان بعد زوال الجاه والسلطان.

## صدمة زوال السلطة

وقف البطل حائرًا أمام واقعه الجديد: هل يتقبل سنّة التغيير؟ أم يتمسّك بأوهام سلطة انتهى زمنها؟

كانت النتيجة مأساوية، لأنه لم يُدرك أن المنصب مرحلة، لا هوية، وأن السلطة عارية بلا خُلق، وأن من لم يبنِ احترامه على إنسانيته، سيفقده فور فقدانه لموقعه.

وهذه ليست قصة سينمائية فحسب، بل واقع يتكرر كل يوم.

## وجوه متعددة للمأساة

كم من إنسانٍ اليوم يعيش هذا المشهد بأشكال مختلفة؟

- رجلٌ كان في منصب رفيع، ثم أقعده التقاعد
- ثريٌّ ذاع صيته، ثم أفلس بعد عزّ
- صاحب نفوذٍ انحسر عنه سلطانه

في لحظة زوال الأسباب، تتكشف الحقائق:

- من كان يُجالس لأجل الشخص
- ومن كان يطارده لمصلحة عابرة

ولا يبقى حول الإنسان، حين تسقط الأقنعة، إلا قلة قليلة أحبّته لذاته، لا لما يملك.

## الميزان الإلهي لقيمة الإنسان

وهنا تتجلّى القاعدة الكبرى التي يجب أن تضبط نظرتنا إلى الناس:

«إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» [الحجرات: 13]

فالقيمة الحقيقية للإنسان:

- ليست في منصبه
- ولا في ماله
- ولا في نفوذه

بل في:

- خُلقه
- صدقه
- أمانته
- أثره فيمن حوله

## درس من تجربة واقعية

تعلمتُ هذا المعنى عمليًا حين شاركتُ أحد الأصدقاء في الولايات المتحدة تأسيس شركة عام 2000. وضعتُ اسمي مسبوقًا بلقبٍ علمي على واجهة البرنامج، فنبّهني بلطف قائلاً:

«الاسم وحده يكفي... القيمة في الإنسان، لا في ألقابه»

ثم أضاف أن رؤساء أعظم الدول يوقّعون بأسمائهم المجرّدة، ثم يذكرون صفاتهم بعد ذلك، لا قبله. إنها ثقافة تحترم الإنسان بوصفه إنسانًا، قبل أي اعتبار مهني أو اجتماعي.

## ثقافة نحتاجها في مجتمعاتنا

لو انتشرت هذه الثقافة في مجتمعاتنا العربية:

- لو انتقلنا من تمجيد المناصب إلى تقدير القيم
- لو ربّينا أبناءنا على احترام الإنسان لذاته
- لو علّمناهم أن المكانة تُكتسب بالخُلق لا بالكرسي

لتغيّرت علاقاتنا، وتوطدت ثقتنا ببعضنا، وساد العدل بدل النفاق الاجتماعي.

## الخُلق هو الباقي

إن أكرم الناس:

- من احترم نفسه فاحترم الإنسانية في غيره
- من لم يربط كرامته بمال أو منصب
- من بقي ثابتًا في أخلاقه حين تزول الامتيازات

فالمنصب زائل، والمال عابر، والسلطة مؤقتة، لكن الخُلق يبقى، والأثر الصالح لا يزول.

## خاتمة

اللهم ارزقنا حُسن الخُلق، وعلّمنا أن نُقدّر الناس لجوهرهم لا لمواقعهم، واجعلنا ممن يرفعون القيم فوق المناصب، ويحفظون للإنسان كرامته، أيًّا كان شأنه.

فبقاء الخُلق، تبقى قيمة الإنسان.

# المبدعون الصامتون وضجيج الباعة في سوق الوظائف

## عندما تضيع الكفاءات بين الصمت والضجيج

كم في هذه الحياة من أسودٍ تموت جوعًا في غاباتها، بينما يُلقى لحم الضأن للكلاب!

بيتٌ شعري خالد نُسب إلى الإمام الشافعي رحمه الله، يختصر واحدة من أكثر المفارقات إيلامًا في واقعنا المعاصر: أصحاب الكفاءة الحقيقية، المبدعون في صمت، يُقصَون عن مواقعهم المستحقة، بينما تُفتح الأبواب على مصاريعها لمن يرفعون أصواتهم، ويُحسنون فن الترويج لأنفسهم، ولو خلا ما يقدّمونه من العمق والجوهر.

## ميزان القيم بين الكفاءة والرياء

جاء الميزان الإلهي واضحًا لا لبس فيه، فقال تعالى:

( إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ) [الحجرات: 13]

ولم يكن المعيار يومًا كثرة المال، ولا علو الصوت، ولا براعة الاستعراض. وقال النبي صلى الله عليه وسلم:

«إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم.» (رواه مسلم)

فالأصل أن يُنظر إلى الإخلاص وجودة العمل، لا إلى الضجيج ولا إلى الصورة المصقولة.

## الواقع... حيث لا يكفي الإخلاص وحده

غير أن سُنن الحياة تقتضي الجمع بين الصدق والأخذ بالأسباب. فالإخلاص وحده، إن بقي حبيس الصمت، قد لا يكفي ليصل أثره إلى الناس.

وقد أدرك هذا المعنى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حين قال:

«ما أُعطي عبدٌ بعد الإسلام خيرًا من أخٍ صالح؛ فإذا رأى أحدكم وُدًّا من أخيه فليتمسك به.»

وكذلك، ما أُعطي الإنسان نعمة أعظم من الكفاءة الصادقة والقدرة على العطاء، لكن عليه أن يعرف كيف يُعرّف بها، لا رياءً ولا كبرًا، بل أداءً للأمانة وإيصالاً للنفع.

## نماذج واقعية من مجتمعنا

### العالِم في معمله

كم من باحثٍ أو مخترعٍ عربي قضى عمره في المختبر أو خلف المكتب، يُنتج معرفة حقيقية، لكن أفكاره بقيت حبيسة الأدراج، لأنه لم يُتقن عرض إنجازه، ولم يجد مؤسسة تتبناه أو منصة تُظهر عمله.

وفي المقابل، تتصدر المشهد عروض براقة، تفتقر إلى العمق، لكنها تُحسن مخاطبة الكاميرا والإعلام.

### الخريج المتفوق

شابٌ أو شابة تخرجوا بتفوق من جامعات مرموقة، يملكون علمًا ومهارة حقيقية، لكنهم يفشلون في اجتياز مقابلة عمل، لأنهم لا يعرفون كيف يختصرون خبراتهم، ولا كيف يقدّمون أنفسهم بثقة واتزان.

بينما يتقدم غيرهم، لا لقوة كفاءته، بل لقوة صوته وقدرته على الإقناع اللفظي.

## رسالة إلى المبدعين الصامتين

أيها المبدع... أيتها المبدعة، اعلموا أن الكفاءة وحدها، في عالم اليوم، لا تكفي.

ليس عيبًا أن:

- تطلب المساعدة في تحسين سيرتك الذاتية
- تتعلم مهارات العرض والتواصل
- تتقن الحديث عن إنجازاتك دون مبالغة

فالتواضع لا يعني إخفاء النعمة، بل إظهارها بلا كِبر، ليصل نفعها، ويُعرف بها صاحبها.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه.»

وإتقانك لن يُعرف، إن بقيت صامتًا مجهولاً.

## مسؤولية المجتمع والمؤسسات

لا تقع المسؤولية على الأفراد وحدهم. بل على المؤسسات والقادة واجبٌ أخلاقي ومهني:

- البحث عن الكفاءة لا عن الضجيج
- بناء آليات عادلة للاختيار والتقييم
- تمكين أصحاب العمل الحقيقي لا أصحاب الحكايات

وقد حذّر النبي صلى الله عليه وسلم تحذيرًا شديدًا فقال:

> «من وُلِّي من أمر المسلمين شيئًا فولّى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه، فقد خان الله ورسوله.»
> (رواه الحاكم)

## كلمة أخيرة

نحن بحاجة إلى ثقافة جديدة:

- تُنصف الصامتين
- تُعلّمهم كيف يُظهرون خيرهم
- وتكافئ العمل لا الضجيج

ثقافة يُحترَم فيها الإخلاص، وتُقدَّر فيها الكفاءة، ويُوضع كل إنسان في مكانه الذي يستحق.

## خاتمة

اللهم ارزقنا وضوح الفكرة، وحُسن العرض، وأعنّا على نصرة الكفاءة وإعلاء شأن أهلها، حتى تنهض أمتنا بالعدل، وبالعلم، وبالعمل الصادق الهادئ... لا بالضجيج العابر.

# الأدب فوق النسب: شرف الإنسان في أخلاقه لا في أصله

## بيتٌ يهدم أوهام التفاضل

في دروب الأدب العربي الرفيع، نُقشت أبياتٌ خالدة لم تُكتب لتُزيّن الدواوين، بل لتُعيد ترتيب المفاهيم، وتُقوِّم موازين الناس، وتُنقذ الإنسان من وهم العظمة الموروثة.

ومن أبلغ هذه الأبيات، وأصدقها أثرًا، قول الشاعر:

كن ابنَ من شئتَ واكتسبْ أدبًا
يغنيك محمودُه عن النسبِ

بيتٌ لو وُضع في كفّة، ووُضعت أوهام التفاضل بالأنساب والأسماء والألقاب في كفّة أخرى، لرجح وحده بما حمل من حكمة وصدق. إنه يعلنها بوضوح: قيمة الإنسان فيما يصنعه من خلق، لا فيما يرثه من اسم.

## الناس تُوزن بأخلاقها لا بأسمائها

في زمنٍ كثر فيه التفاخر بالأصول، وتحوّلت فيه الألقاب إلى ستارٍ يُخفي خلفه ضعف السلوك ورداءة الخُلُق، يأتي هذا البيت كصوتٍ عاقلٍ يقول: لستَ بما تُنادى، بل بما تُمارس.

فكم من اسمٍ كبيرٍ أفرغته الأفعال من كل معنى، وكم من إنسانٍ بسيطٍ في نسبه، رفعه أدبه حتى صار اسمه مرادفًا للاحترام.

وقد قال الحسن البصري رحمه الله:

«ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل.»

## في ميزان الإسلام: لا نسب بلا تقوى

جاء الإسلام ليقطع الطريق على كل وهمٍ جاهلي، ويضع معيارًا واحدًا لا يتبدل، فقال تعالى:

( إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ) [الحجرات: 13]

بل إن رسول الله ، وهو من أشرف الخلق نسبًا، أغلق باب الاتكال على القرابة، فقال:

«يا فاطمة بنت محمد، اعملي، فإني لا أُغني عنكِ من الله شيئًا.» (رواه مسلم)

فلا فضل لعربي على أعجمي، ولا لقرشي على حبشي، إلا بتقوى تُترجم إلى خُلُق، وعملٍ يشهد له الناس قبل أن يشهد له التاريخ.

## الخليج نموذجًا: حيث يتقدم الأدب على الأصل

من يعيش في دول الخليج، وخاصة المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات، يرى نموذجًا حيًا لتفوّق السلوك على النسب.

أعراقٌ شتى، وجنسيات متعددة، وثقافات متباينة، اجتمعت في فضاءٍ واحد، لا يحكمه الأصل، بل يُحكم بالأمانة، والإتقان، والاحترام المتبادل.

العربي، والآسيوي، والأفريقي، والأوروبي، لا يُقدَّر أحدهم باسمه أو لونه، بل بما يقدمه، وكيف يتعامل، وكيف يحترم الإنسان في غيره.

## الأدب لا يفرض المصاهرة

وهنا لا بد من تفريقٍ دقيق، كثيرًا ما يُخلط في النقاشات العاطفية.

نعم، الأدب يفرض الاحترام، ويجعل صاحبه كريمًا في المجالس، محترمًا في المعاملة، مقبولاً في المجتمع.

لكن الأدب لا يُلزم بالمصاهرة، ولا يُجبر الإنسان على تجاوز قناعاته الأسرية والاجتماعية.

فالمصاهرة علاقة ممتدة، تتعلق بتكوين أسرة، وتربية أبناء، وانسجام عائلي طويل الأمد.

وقد قال النبي :

«إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته فزوّجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.» (حديث حسن)

فالدين والأمانة أصلٌ لا يُتجاوز، فإن اجتمعا مع حسن النسب فذلك فضل، وإن وُجدا دون نسبٍ يراه البعض مكافئًا، فالأمر اجتهادٌ اجتماعي لا يُذم ما لم يُقدَّم على الخُلُق والدين.

## الإسلام رسالة أخلاق قبل أن يكون شعائر

ما دخل الناس في دين الله أفواجًا لكثرة الخطب، بل لصدق المعاملة، ونزاهة السلوك، واحترام الإنسان لإنسانية غيره.

وهكذا كان النبي ﷺ قبل البعثة، حين وصفه قومه بالصادق الأمين، ففتح القلوب قبل أن تُفتح الكتب.

## العمل المشترك يكشف المعادن

في بيئات العمل المتنوعة، يسقط قناع النسب سريعًا، ولا يبقى إلا:

- من يُتقن
- من يصدق
- من يحترم
- من يخدم دون تعالٍ

فهناك يُعرف المعدن الحقيقي، ويُقاس الإنسان بما في قلبه ولسانه، لا بما في اسمه أو جواز سفره.

## الأدب ميراثٌ باقٍ

الأسماء الكبيرة قد تذبل، والأنساب قد تُنسى، لكن الأدب إذا سكن إنسانًا، صار له ذكرٌ لا يزول.

وهنا يتجلى المعنى الكامل للبيت الخالد:

كن ابنَ من شئتَ واكتسبْ أدبًا
يغنيك محمودُه عن النسبِ

## خاتمة: كُن خُلُقًا يمشي على الأرض

اجعل طموحك أن تورث أبناءك:

- سيرةً طيبة
- اسمًا يُذكر بالخير
- خُلُقًا يُحتذى

فالنسب وراثة، أما الأدب فصناعة.

والأولى إلى زوال، أما الثانية فباقية... ما بقي الإنسان.

# هدية سياحية؟ أم نصب رسمي؟

## مقدمة: حين تبتسم الذئاب

في هذا الزمن، لم يعد الذئب يأتي بأنياب مكشوفة، بل ببذلة أنيقة، وربطة عنق لامعة، وابتسامة ناعمة تقول لك: «أنا هنا لأجعلك سعيدًا... قليلاً، ثم مفلسًا طويلاً».

هذه ليست قصة خيال، ولا مشهدًا من فيلم كوميدي أسود، بل تجربة واقعية لرجل ظن نفسه أذكى من الفخ، فخرج منه بكمبيالات، وعلبة عصير، ودرسٍ لا يُنسى.

## المشهد الأول: ظرفٌ فيه المصيدة

في يومٍ من أيام جدة المشمسة، حيث الرطوبة تسبقك إلى روحك، قررنا – أنا والعائلة – جولة عابرة في معرض شعبي. لم ننوِ شراء شيء، ولا الاشتراك في شيء، مجرد مرور بريء قبل الذهاب إلى مركز تجاري محترم.

لكن البراءة، كما يبدو، عملة نادرة في أسواق التسويق العدواني.

اقترب رجل أنيق، صوته أملس أكثر من الحرير، وعيناه تلمعان بوعود لا تُفحص.

قال بابتسامة مدروسة:

> «هذه هدية لكم، حتى لو ما اشتركتوا... أسبوع في منتجع سياحي، بس زوروا المقر، واحضروا حفلة خفيفة، فيها عصير... وناس محترمين».

الشرط الوحيد؟ رقم الهاتف... وتعال بس.

وبسذاجة لا يُحسد عليها، سجّلت الرقم، ووضعت الظرف في الجيب، وفتحتُ باب الجحيم التسويقي على مصراعيه.

## المشهد الثاني: الماراثون العاطفي

بدأ سيل الاتصالات:

- «وصلت؟ الشباب بانتظارك!»
- «لا تفوّت الحفل، في عصير!»
- «خد العيال، الجو عائلي!»

قاومت... ثم قاومت... ثم استسلمت، لا عن قناعة، بل لأن الأطفال ملّوا، والزوجة قالت الجملة القاتلة:

> «بس نروح نشوف».

وليتنا رأينا... لقد رأينا نصبًا مُتقنًا، غرفة بلا موسيقى، ولا ضيوف، ولا حفلة، بل مجموعة مدرَّبة من الذئاب البشرية، تقرأ لغة الجسد، وتقيس مستوى التردد، وتحدد نقطة الانهيار.

## المشهد الثالث: التنويم السياحي

دخلنا غرفة العرض، وتقدم رجل محترف في هندسة الضحايا، بدأ الحديث بنبرة الواثق:

> منتجع خمس نجوم، أسبوعان في السنة، مدى الحياة، تبادل عالمي، والفيزا؟ لا تشيل هم... إحنا نعرف الناس الصح.

لم يكن ينقصه سوى أن يقول: «وتربح مع الاشتراك سيارة!»

كنت مطمئنًا... فأنا مفلس. لكنني نسيت سلاحهم السري: العاطفة.

قالت الزوجة:

> «عندي مبلغ... ندفع مؤقتًا ونشوف بعدين».

رأيت دمعة طفلة، وابتسامة ذئب، وعصيرًا يُقدّم، وكمبيالات تُحضَّر.

## المشهد الرابع: الدفع ثم الندم

دُفعت دفعة أولى قدرها:

$$8125 \text{ريال}$$

ووقّعنا كمبيالات تُكمل إلى:

$$24500 \text{ريال}$$

ثم قيل ببرود:

«لو ندمت بكرة، نرجّع لك بالكثير 60%، والباقي... خليه صدقة».

العصير؟ رديء إلى حد الإهانة. الكرسي؟ بلاستيك مهترئ. الهواء؟ خانق. الابتسامات؟ ناعمة... والأسنان لامعة.

عدتُ وأنا أتساءل: من أنا؟ أين عقلي؟ ولماذا لم أهرب منذ البداية؟

قال ابني – لم يتجاوز السابعة عشرة –:

«بابا... لعبوا عليك لعب أطفال».

## المشهد الخامس: صحوة متأخرة

اتصلت بسيد الذئاب أكثر من عشرين مرة... لا رد.

في اليوم التالي، قابلني بتمثيل باكٍ:

«كنت نايم... آسف».

بعد عشرة أيام، أُعيد مبلغ:

ريال5400

وألغيت الكمبيالات، ورسمت عليها علامة X كبيرة، كأنها شاهد قبر لتجربة تسويقية فاشلة.

## النصب يتكرر... بأسماء مختلفة

بعد سنوات، تكرر المشهد في صيدلية.

دواء باسم مختلف، تركيبة واحدة، سعر أعلى، وتوصية مبنية على العمولة لا الطب.

هؤلاء لا يبيعون منتجًا، بل يبيعون ثقة زائفة مغموسة بالجشع.

## الخاتمة: لا تكن الضحية التالية

- لا تصدق عبارة «هدية مجانية».
- لا تثق بعرض سياحي لا يصدقه العقل.
- لا تذهب إلى حفلة بلا عنوان واضح.

- لا تُدخل عائلتك في أي عرض تسويقي؛ فهم المدخل العاطفي.

وتذكّر دائمًا:

العصير المجاني... غالبًا ما يأتي مع فاتورة بـ 24500 ريال.

ولو عرضوا عليك:

«رحلة إلى الفضاء مجانًا»

فاسأل أولاً:

- أين الموقع؟
- من المنظّم؟
- وهل هناك كمبيالات؟

ففي هذا الزمن... لا شيء مجاني، إلا الدروس القاسية.

# كيف تنجو من الباعة الذين باعوا ضمائرهم قبل أن يبيعوك!

## مقدمة: الخطر ليس في الدفع... بل في الاقتناع

في هذا العصر المتسارع، لم يعد الخطر الأكبر أن تخسر مالك فقط، بل أن تُقنع بشراء ما لا تحتاجه، وقد يكون موجودًا عندك أصلاً في درج المنزل... لكن بلون مختلف، واسم أحدث، وسعرٍ أعلى!

المنتج؟ واحد. الوظيفة؟ نفسها. الفرق؟ اسم تجاري لامع، وبائع يُتقن التمثيل أكثر من نجوم السينما.

في زمنٍ صار فيه شعار بعض الباعة:

«نبيع أولاً... ثم نفكر لاحقًا: هل له فائدة؟»

أصبح من الواجب عليك أن تتحول إلى محقّق، لا يحمل مسدسًا، بل وعيًا، ولا يرتدي معطفًا، بل يشغّل عقله.

## الصدق في البيع: عملة منقرضة

قال النبي ﷺ:

«التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين».

وهنا يأتي السؤال المحرج: كم عدد من نعرفهم اليوم يستحقون هذا المقام؟

التاجر الصدوق في زماننا أصبح كالديناصورات: يُحكى عنه في الكتب، ويُشك في وجوده، ولو وُجد، لوجب حفظه في متحف الأخلاق البشرية!

## صيدلي أم سمسار؟ الفرق في الاسم فقط

مشهد متكرر في حياتنا اليومية:

أنت تدخل صيدلية، بكل بساطة تطلب دواءً اسمه لورينيز.

يرفع الصيدلي حاجبه بثقة مصطنعة، ويقول بابتسامة مهنية:

«لا... خذ كلارينيز. أقوى، أحدث، يطير الزكام قبل ما توصل الباب!»

والحقيقة؟ الدواءان يحملان نفس المادة الفعالة. نفس التأثير. نفس النتيجة.

الفرق الوحيد؟ الاسم التجاري... وسعر العلبة.

والطريف أن المشهد ينعكس إن عدتَ في يوم آخر، وكان معك كلارينيز في البيت، وطلبت بديلاً:

سيقول لك الصيدلي نفسه، بنفس النبرة، وبنفس الثقة:

«خذ لورينيز... أقوى، أحدث، ومناسب لمرحلتك العمرية!»

البيع لا يضيع... لا من فوق، ولا من تحت.

## الحل؟ ساخر... لكنه فعّال

في جيبك اليوم أقوى أداة لكشف أصحاب الضمائر المؤقتة، تقنية لا تحلف، ولا تمثل، ولا تأخذ عمولة.

اسمها:

- ChatGPT
- Gemini
- أو أي مولّد ذكاء اصطناعي موثوق

حمّل التطبيق على هاتفك، وعند لحظة الخطر – وأنت واقف أمام الكاونتر، ومهدد بعبارة:

«صدقني... هذا أقوى!»

افتح التطبيق بهدوء، واسأل:

«الصيدلي قال إن كلارينيز أفضل من لورينيز. هل هذا صحيح؟»

وفي ثوانٍ، سيأتيك الرد من كائن لم يبع ضميره... لأنه ببساطة لا يملكه:

«الدواءان يحتويان على نفس المادة الفعالة، والفرق تجاري فقط».

ويُغلق الملف. وتنجو أنت... من فخٍ تسويقي جديد.

## الخلاصة: لا تكن ساذجًا... ولا متشائمًا

- السوق مليء بذئاب ودودة.
- اللسان المعسول لا يعني ضميرًا حيًا.
- احذر من يبدأ نصيحته بعبارة: «أنا أنصحك كأخ».
- الصدق في السوق اليوم مثل الكائنات الفضائية: يُشاع وجوده، ولم يره أحد!

وإذا شككت... فاسأل صديقك الجديد: الذكاء الاصطناعي. لا يتقاضى عمولة، ولا يحلف بحياة أمه، ولا يُجبرك على توقيع كمبيالات.

## كلمة أخيرة

ليس كل اسم جديد يعني منتجًا أفضل، ولا كل «عرض خاص» يعني أنك المستفيد.

في زمن البيع بلا ضمير، الوعي هو أغلى بضاعة في السوق.

فكّر، اسأل، وتذكّر دائمًا:

الذكي لا يشتري ما يُعرض عليه... بل ما يحتاجه فعلاً.

# «أكلوك الحلاوة يا زكي!»

## حين تكون السُكّرة بداية الحرام... ونهاية الحلم

في أحد المسلسلات القديمة التي مضى عليها الزمن، لكن لم يَمُت معناها، أدّى الفنان الراحل محمود القلعاوي دور المغترب العائد من الغربة، مثقلاً بالتعب... ومحمّلاً بالأحلام... ومحفظة منتفخة بالريالات.

وكانت الفنانة هالة فاخر تؤدي دور الزوجة التي لا تخطئ حدسها، وتعرف من النظرة الأولى إن كان زوجها عاد بالغنيمة... أم «أكل الحلاوة».

ركب المغترب الطيب سيارة أجرة، والسائق – وقد شمّ رائحة الغربة الممزوجة بالفلوس – لم يُضِع وقتًا:

«تفضل يا باشا... سُكّرة حلاوة!»

والباشا، وقد كان عقله ما زال معلقًا بين المطار والذكريات، أكل السُكّرة...

فغاب الوعي، وغابت معه المحفظة، والساعة، والحلم الذي كان ينوي به بناء عمارة فوق بيت أبو مرزوق.

وعندما وصل البيت محمولاً بكرامةٍ مُهتزّة، استقبلته الزوجة بالجملة التي تحولت إلى مثل شعبي خالد:

«أكلوك الحلاوة يا زكي!»

ثم بدأت جرد الخسائر: الساعة راحت، التليفون تبخر، الشنطة اختفت، والفلوس؟ انتقلت لشمّ الهواء في جيب السائق.

## هل زكي وحده من أكل الحلاوة؟

للأسف... لا.

زكي ليس شخصًا، زكي نموذج. يتكرر كل يوم، بأشكال مختلفة، وأسماء أكثر حداثة.

- مرة على شكل رسالة: «مبروك! ربحت مليون ريال... فقط أرسل بياناتك البنكية».

- مرة على هيئة مكالمة مجهولة: «أنت ابن خالتنا من جدة... عندك ورث ما تعرف عنه!».
- وأحيانًا على هيئة مندوب أنيق جدًا، يقنعك بعرض سياحي أسبوعي، لكنه يخصم من عمرك عشر سنوات قهرًا.

## دروس مستفادة من سُكّرة واحدة

### 1. الحلاوة لا تأتي مجانًا

أي شيء يُقدّم لك مجانًا في الشارع، ويُقال عنه «عرض العمر»، يستحق أن يُسأل عنه سؤال واحد فقط:

> هل هذا الشخص يحبني؟ أم يخطط لتدويري؟

### 2. الحرام صار خبزًا يوميًا عند البعض

هناك من لا يعرف كيف يأكل رزقه، إلا إن كان مأخوذًا من جيب غيره، وبلا وجه حق، وبلا حياء.

### 3. ربّوا أبناءكم على أن الدنيا ليست كلها ورد

الدنيا فيها شوك، وفيها سائقون... حلاوتهم تُغني عن المهدئات، لكن آثارهم الجانبية لا تُغتفر.

## في زمن السُكّر المُخدِّر... نحتاج عقلاً صاحيًا

ليس كل من ابتسم في وجهك صادقًا، وليس كل من قال: «تعال معنا بعرض العمر» يريد لك الخير.

كثيرون لا يرون فيك إنسانًا، بل يرونك:

> حصّالة تمشي على قدمين.

## «أكلوك الحلاوة يا زكي»... مثل شعبي بامتياز

كلنا قد نكون زكي في لحظة غفلة، لكن الذكي الحقيقي هو من يتعلم من زكي قبل أن يصبح هو العنوان القادم في مسلسل النصب التالي.

# كلمة أخيرة

احذروا السُكّر المجاني، وعلّموا أبناءكم أن الحرام لا يُهضم، ولو غُلّف بالعسل.

ويا كل زكي... لا تدعهم يأكلوك الحلاوة مرّةً أخرى.

# حين ينسى العبد ربَّه... كيف ينساه الله؟

## بين الحياة الطيبة والتعاسة في ضوء القرآن

## وعدُ الله لا يتخلّف

قال الله تعالى:

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [النحل: 97]

هذا وعدٌ إلهيٌّ صريح، لا يُعلّق على مال، ولا شهرة، ولا منصب، ولا مكانة اجتماعية. الحياة الطيبة في ميزان القرآن ليست ترفًا ماديًا، بل حالة قلبية: رضا، طمأنينة، بركة، وسكينة تسري في تفاصيل العيش كلها.

ومع ذلك، كم نرى من أناس يملكون أسباب الدنيا، لكنهم يعيشون ضيقًا في الصدر، وتعبًا في النفس، وهمًّا لا ينقضي؟

فكيف تنقلب الحياة الطيبة إلى شقاء؟

## الجواب القرآني المختصر

قال الله تعالى:

(نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) [التوبة: 67]

آية قصيرة... لكنها تُسقط كل الأقنعة.

## نسيان الله... ليس بالقول بل بالفعل

ليس المقصود بنسيان الله أن يُهمل الإنسان الذكر أو الصلاة فقط، بل أن يعيش كأن الله لا يراه، ولا يراقبه، ولا يحاسبه.

قال تعالى:

(وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ) [الحشر: 19]

ونسيان الله هنا يتجلى في صور كثيرة، منها:

- التهاون في الفرائض.
- الجرأة على المحرّمات.
- أكل الحقوق بحجج «الذكاء» و«الشطارة».
- تبرير الظلم بالقوة أو الحيلة.
- العيش بلا محاسبة للنفس.

## النسيان له ثمن... والجزاء من جنس العمل

(فَنَسِيَهُمْ) أي: تركهم الله لأنفسهم، رفع عنهم التوفيق، حجب عنهم السكينة، فصاروا يتخبّطون في حياتهم، وإن ظنوا أنهم يحسنون صنعًا.

وهنا نفهم لماذا ترى:

- من يملك المال، لكنه تعيس النفس.
- من تحيط به النعم، ويطارده القلق.
- من يعيش في وفرة، ولا يعرف طعم الراحة.

وفي المقابل:

- من لا يملك إلا القليل،
- لكن قلبه عامر بالإيمان،
- ونفسه مطمئنة،
- وفقره مغموس بالرضا.

## المصيبة... من عند أنفسنا

قال الله تعالى:

(وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ) [الشورى: 30]

كم من مصيبةٍ ظنناها خارجية، وهي في حقيقتها نتيجة تقصير داخلي:

- ظلمٌ للنفس.
- أكلُ ما لا يحل.
- تضييعُ للأمانات.
- استهانةٌ بالحدود.

ثم نتساءل: لماذا لا نشعر بالسعادة؟

والجواب: لأن الله لا يُخادَع بالمظاهر.

## أثر المعصية... وأثر التوبة

كم من عبدٍ زلّت قدمه، فوجد أثر ذلك في:

- أهله،
- أو ماله،
- أو راحته،
- أو همٍّ لا يعرف له سببًا.

وكم من عبدٍ ردّ مظلمة، واستغفر بصدق، وأعاد الحقوق، فشعر بانشراحٍ عجيب، كأن جبلاً أزيح عن صدره.

قال تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) [الرعد: 11]

## الطريق إلى الحياة الطيبة

من أراد الحياة الطيبة حقًا، فليبدأ بـ:

- الرجوع إلى الله بصدق، لا بشعارات.
- مراجعة المال والحقوق: هل أديت ما عليك؟
- مراقبة الله في الخلوات قبل الجلوات.
- طلب التوفيق قبل القوة.
- طلب الرضا قبل الترف.

## الخاتمة: السعادة قرارٌ إيماني

ليست السعادة في المال، ولا في الصحة، ولا في النجاح الظاهر.

السعادة أن تعيش في ظل رضا الله، تؤدي ما عليك، وتدع ما ليس لك، وتحسن إلى الخلق كما تحب أن يُحسن إليك.

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)

هذا وعد الله الحق. ومن نسي الله… نسيه الله.

(نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ)

# الكِبرياء رداءُ الله: فويلٌ لمن نازعه فيه

## حديث قدسي يهزّ القلوب

قال رسول الله  فيما يرويه عن ربّه عز وجل:

«العِزُّ إزاري، والكِبرياءُ ردائي، فمن نازعني فيهما قصمتُه ولا أُبالي».

حديثٌ قصير الألفاظ، عظيم الدلالات، لو وقر في القلوب حقًّا لغيّر مسار كثير من النفوس، وردّها إلى حجمها الحقيقي، قبل أن تُقصم بكِبرها.

## مقدمة: حين ينسى الإنسان قدره

في زمنٍ تعاظمت فيه مظاهر القوة والثراء والشهرة والسلطة، تفشّى داء الكِبر بين الناس، حتى غدا مرضًا اجتماعيًا ونفسيًا، يتلوّن بألوان شتّى:

- كِبرٌ بالمال.
- كِبرٌ بالعلم.
- كِبرٌ بالمنصب.
- كِبرٌ بالنسب.
- بل كِبرٌ بالدين والعبادة.

والمصيبة أن الكِبر لا يقتصر على المتجبرين والجبابرة، بل قد يتسلّل خفيًا إلى قلوب بعض الصالحين وطلبة العلم، فيرون أنفسهم خيرًا من غيرهم، فيقعون في المهلكة وهم لا يشعرون.

وقد عرّف النبي  الكِبر تعريفًا جامعًا مانعًا، فقال:

«الكِبر بَطَرُ الحقّ، وغَمْطُ الناس». (رواه مسلم)

## الكِبرياء صفةٌ إلهية لا يليق أن تُنازع

الكِبرياء حقٌ خالص لله وحده، لأنه:

- الكامل من كل وجه.
- الغني بذاته.
- القوي بلا مدد.
- العزيز بلا سند.
- الحي الذي لا يموت.

فإذا رفع الإنسان نفسه فوق الخلق، أو أعجب بذاته، أو احتقر غيره، فقد نازع الله في صفة من خصائص ربوبيته، وهنا يأتي الوعيد الإلهي الصريح:

«قصمته ولا أُبالي».

أي: يُكسر كسرًا لا قيام بعده، ولا يُنظر إلى علمه، ولا إلى جاهه، ولا إلى نسبه، ولا إلى مكانته في أعين الناس.

## صور الكِبر في واقعنا المعاصر

### أولاً: كِبر المال

من ظن أن المال رفع قدره، فازدَرى الفقراء، وتباهى بالمظاهر، ونسي أن ما بيده فضلٌ من الله لا استحقاق. قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ [القصص: 78]

### ثانيًا: كِبر الجاه والمنصب

من توهّم أن منصبه يمنحه عصمة أو قداسة، وأن رأيه لا يُرد، وأن الناس دونه. قال تعالى عن فرعون:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ﴾ [القصص: 4]

ثم كانت نهايته:

﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الأخِرَةِ وَالأُولَى﴾

### ثالثًا: كِبر العلم والدين

وهو من أخطر أنواع الكِبر، أن يرى الإنسان نفسه خيرًا من غيره بعلمه أو عبادته. قال النبي ﷺ:

«هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون». (رواه مسلم)

## رسائل قرآنية للمغترّين

### قارون

قال:

﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾

فكانت النتيجة:

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾

### إبليس

أول من تكبّر، فقال:

﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾

فطُرد من رحمة الله إلى يوم الدين.

### فرعون

قال:

﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾

فأغرقه الله، وجعل جسده آية لمن بعده.

## النِّعم ليست تشريفًا بل ابتلاء

قال تعالى:

(وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً) [الأنبياء: 35]

وقال:

(إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ) [العلق: 6-7]

فالنِّعمة اختبار: إما أن تقودك إلى الشكر والتواضع، وإما أن تجرّك إلى الكِبر والطغيان.

## منزلة التواضع

التواضع ليس ضعفًا، بل رفعة. قال النبي :

«وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه». (رواه مسلم)

يرفعه الله في القلوب، وفي الذكر، وفي الأثر، ولو لم يملك من الدنيا شيئًا.

## دعوة صادقة قبل القصم

يا من وجدت في نفسك كِبرًا، تذكّر:

- كم من عظيمٍ بالأمس أصبح اليوم نسيًا منسيًا.
- كم من متجبّرٍ سقط فجأة بلا إنذار.
- كم من مغترٍّ كُشف ستره في لحظة.

راجع قلبك، فإن الله لا يحب المتكبرين.

## الخاتمة: مَن نازع الله في الكِبرياء قُصم

قال تعالى:

(تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) [القصص: 83]

وتذكّر دائمًا:

«الكِبرياءُ ردائي، فمن نازعني فيه قصمتُه ولا أُبالي».

# حين تظن أن الأرض ملكك: تأملات في زخرف الدنيا من وحي آية

``إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ''

[سورة يونس، الآية 24]

## نظرة عابرة... لكنها كاشفة

عندما ينظر الإنسان اليوم إلى ناطحات السحاب التي تلامس الغيم، وشبكات الطرق التي تربط القارات، والجسور المعلقة، والاختراعات المبهرة، والمدن الذكية التي تُدار بلمسة إصبع، يكاد يظن أن الأرض قد دانت له، وأنه أصبح ``قادرًا عليها''، كما تصف الآية الكريمة بدقة ربانية مذهلة.

لكن، هل هي حقيقةٌ ثابتة؟ أم زينةٌ زائلة؟

## زخرفة الأرض ليست إلا طورًا عابرًا

يصف القرآن الكريم الحياة الدنيا بأنها مثل زرعٍ نبت وسُقي وازدهر، حتى إذا بدا في قمة نضجه واكتماله: ``أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ''، وغرَّ أهلها: ``وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا''.

ثم يأتي أمر الله فجأة، فتصير الأرض التي غنّت بالحياة حصيداً، كأن لم تغن بالأمس.

إنه مشهد عظيم يصف دورة الحياة بكل تقلباتها، ويكشف ضعف الإنسان مهما بلغ من العلم والعمران.

## الرسالة للمنبهرين... لا تغتروا

الرسالة الربانية في هذه الآية واضحة:

- إياك أن تنبهر بزخرف الحياة فتغفل عن حقيقتها.
- إياك أن تظن أن التقدم والعمران والتكنولوجيا تعني السيطرة والدوام.

فكل ما تراه حولك من ناطحات، وجسور، ومخترعات، وزينة مدن، مهما بدا عظيمًا، هو مؤقت وزائل، ولا يصمد أمام أمرٍ من أوامر الله يأتي في لحظة، ليلاً أو نهارًا.

## لكل من ظن أنه ``قادر عليها''

هذه الآية موجهة لكل من اغتر بما أنجز، وظن أن الأرض باتت طوع أمره، وتناسى أنه مخلوق ضعيف، لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا.

ففي لحظة واحدة:

- تنقطع الكهرباء عن مدينة كاملة رغم كل أنظمة التحكم.
- تتهاوى البورصات رغم كل الحسابات والأنظمة.
- تتوقف مصانع ضخمة بسبب عطل في شريحة صغيرة.
- ينهار برج شاهق بهزة بسيطة من الأرض.

``فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ''

## لمن يتفكر

تختم الآية بقول الله تعالى:

``كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ''

وليس لكل الناس، بل فقط لمن يتفكر.

فالقرآن لا يكتفي بالوعظ، بل يدعو إلى التأمل العميق في سنن الله في الكون، وفي حقيقة الحياة الدنيا التي مهما ازدانت وتزينت، تبقى في ميزان الله زائلة، هينة، وضعيفة.

## خلاصة المقال

أيها الإنسان، كل ما في الدنيا سيزول. لا تغتر بإنجازاتك، ولا تنبهر بزخرفها. ضع قلبك حيث لا تنقطع النعم، وابنِ ما يدوم بعد فناء الجدران والطرقات.

تدبّر القرآن، وتفكر في الآيات؛ فربك لم يخلقك لتنبهر، بل لتعتبر.

# السعادة في حب الله ورسوله: في ظلال بركات الإيمان، جبر الخواطر، وصلة الرحم

## حين يضيع الناس ويغيب النور

في زمنٍ كثرت فيه الفتن، وتكالبت فيه الدنيا على القلوب، وضاقت فيه الأرواح رغم اتساع البيوت، لم تَعُد المشكلة في قلة الوسائل، بل في قسوة القلوب. لقد أنعم الله علينا بنعم لم تتوفر للبشرية من قبل: تقنيات، ووسائل تواصل، وتنقل، واتصال، ومع ذلك زادت القطيعة، وأصبح البر نادرًا، وصار الخير يُقاس بالمصلحة، حتى بات جبر الخواطر أمرًا غريبًا، وصلة الرحم عبئًا على النفوس، والتسامح ضعفًا، والوفاء لله ورسوله شيئًا ثقيلاً في الميزان.

## بركات الإيمان والتقوى: وعدٌ لا يُخلف

قال الله تعالى:

(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض)

[الأعراف: 96]

كم من إنسان يلهث خلف الرزق ولا يجده، وكم من قلب خاوٍ رغم الثروات، لأن مفتاح البركة قد ضاع منه: الإيمان بالله، والتقوى في السر والعلن.

هذه الآية الكريمة ليست مجرد وعد بالخير، بل قانون رباني للحياة: إذا وُجد الإيمان والتقوى، جاءت البركات من حيث لا تُحتسب. وإذا انتشر الظلم، والقطيعة، وكسر الخواطر، والأنانية، رُفعت البركة، وضاقت الدنيا رغم اتساعها.

## السعادة ليست مالاً ولا جاهًا

قال رسول الله :

``تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم''

رواه البخاري

السعادة لا تأتي من حسابات البنوك، ولا من المناصب، بل من قربك من الله، ومن حبك لرسوله ، ومن قلبٍ طاهر يفيض رحمة على خلق الله.

السعيد هو من إذا ذُكر الله وجِل قلبه، وإذا رأى أخاه المسلم سلم قلبه ولسانه، وإذا رأى فقيرًا رقّ له قلبه، وإذا سمع الأذان ابتسم شوقًا للصلاة.

## جبر الخواطر: عبادة مهجورة، وخلق نادر

قال رسول الله :

``اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة''

رواه البخاري ومسلم

وقال الإمام سفيان الثوري:

``ما رأيت عبادة يتقرب بها العبد إلى الله مثل جبر الخواطر.''

جبر الخاطر لا يحتاج مالاً، بل قلبًا سليمًا. أن تُشعر من حولك بالأمان والاحترام، أن تُهوّن على من ضاقت عليه دنياه، أن تمسح دمعة، أن ترفع قيمة إنسان شعر بالضعف؛ كل ذلك عبادة عظيمة، يغفل عنها كثيرون، وهي عند الله عظيمة.

وقال :

``من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة.''

رواه مسلم

## كسر الخواطر: ظلمٌ صامت

كلمة قاسية، أو تجاهل، أو ازدراء، أو نظرة احتقار؛ كلها تندرج تحت كسر الخواطر. والله لا يرضى لعباده الإهانة، ولا يقبل أن يُذل ضعيف، أو يُهمل مكسور.

قال تعالى:

(وقولوا للناس حسنًا) (فبما رحمةٍ من الله لِنت لهم ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك)

[البقرة: 83] [آل عمران: 159]

## صلة الرحم: عبادة متروكة بذريعة ``الزعل''

كم من رحمٍ قُطعت لأسباب تافهة! كم من أم، أو أب، أو أخ، أو قريب، حُرموا من الوصال تحت أعذار لا أصل لها في الدين:

- ``أخجل أن أبدأ بعدما طال الغياب''
- ``هم من بدأوا بالقطيعة''
- ``ما عاد بيننا مصالح''
- ``أزعجوني بمواقفهم''

قال تعالى:

(فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم)

وقال :

``لا يدخل الجنة قاطع رحم''

رواه مسلم

وقال أيضًا:

``من أحب أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره، فليصل رحمه''

رواه البخاري ومسلم

فمن أراد البركة في العمر والرزق، فعليه بصلة الرحم: بالزيارة، والسؤال، والتسامح، وإحياء مشاعر المودة.

## البر الحقيقي... أين هو؟

البر ليس في الكلمات، بل في الأفعال. البر أن تتواضع لأهلك، أن تصبر على زلات والديك، أن تعين إخوتك، أن تعفو عمّن أساء، وأن لا تنكر فضل من سبقك بالخير.

قال تعالى:

(واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا)

[الإسراء: 24]

آباؤنا وأمهاتنا بشر، يخطئون ويتعبون، لكنهم يحبوننا أكثر من أنفسهم. ومن الخسارة أن يكبر الإنسان ويخجل من والدته، أو يبتعد عن والده بحجة الانشغال، أو يرى البر ثقلاً عليه.

## أنت من أُرسل له النبي

قال تعالى:

(وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين)

[الأنبياء: 107]

النبي محمد ﷺ أُرسل رحمة لك، وهاديًا إليك، ومحبًا لك أكثر مما تتخيل. فهل تحب من يحبك؟ وهل تقتفي أثره؟ وهل تستحي أن تعصي من جاء فقط ليهديك؟

## حتى غير المسلمين... خُلُق الإسلام معهم رحمة وعدل

قال تعالى:

(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتُقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين)

[الممتحنة: 8]

الإسلام دين عدل ورحمة، لا يبيح البغض لمجرد الاختلاف في الدين. ما داموا غير معتدين، فالبر والعدل والمعاملة الحسنة دعوة صامتة إلى الإسلام، مع الحذر من الماكرين والمفسدين.

## الختام: من هو الفائز؟

- من جبر الخواطر، جبر الله خاطره.
- من وصل رحمه، وصله الله.
- من أحب الله ورسوله، شرح الله صدره.
- من عفا عن الناس، عفا الله عنه.
- من قال خيرًا، وترك الشر، وسعى في الخير، كان من أهل الجنة.

## دعاء المقال

اللهم اجعلنا من أهل القلوب الرحيمة، والألسن اللينة، والوجوه البشوشة، والقلوب الصافية. اللهم ارزقنا حبك، وحب من يحبك، وحب كل عمل يقربنا إلى حبك. اللهم لا تجعلنا من القاطعين، ولا من الكاسرين لخواطر عبادك، بل من الجابرين، الواصلين، المتواضعين، التائبين، الذاكرين. اللهم اجعلنا مفاتيح للخير، مغاليق للشر، واغفر لنا، ولوالدينا، ولمن له حق علينا، برحمتك يا أرحم الراحمين.

# نعمتان لا تُقدّران بثمن: الصحة والفراغ... فهل استثمرتهما؟

الحياة قصيرة، والفرص تمرّ مرّ السحاب، وكم من إنسانٍ أُغلق عليه باب القدرة قبل أن ينجز ما تمنّاه في شبابه. إنها الصحة والفراغ؛ من أعظم النعم التي أنعم الله بها علينا، وأكثرها تعرّضًا للإهمال والنسيان.

قال رسول الله :

> ``نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ.''

رواه البخاري

أي أن كثيرًا من الناس يخسرون هاتين النعمتين ويهدرونهما دون أن يشعروا بقيمتهما، حتى يفقدوهما.

## أولاً: الصحة... جسر العمل والعبادة

الصحة ليست مجرد خلوّ الجسد من الأمراض، بل هي طاقة، وقدرة، ومرونة، تمكّنك من السعي، والعمل، والتعبّد، وخدمة نفسك وأهلك ومجتمعك.

وكم من أمنيات عظيمة بقيت حبيسة الصدور لأن المرض أقعد أصحابها، أو العجز أعاقهم. ولو عاد بهم الزمان لقالوا: ليتنا شكرنا هذه النعمة حين كانت في أيدينا.

الصحة هي باب العبادة، وهي آلة الإنجاز، ومن استثمرها في شبابه نال بركة في عمره، وشعر براحة نفسية وروحية لا يشعر بها من أهملها.

## ثانيًا: الفراغ... محرّك الإنجاز أو بوابة التشتت

الفراغ لا يعني فقط ``عدم العمل''، بل هو وقتك الحر الذي تستطيع به أن:

- تبني مستقبلك،

- تزكّي روحك،
- تتعلّم وتطوّر نفسك،
- تخدم دينك وأمتك.

إن من يملأ وقته باللهو، والتفاهات، ومتابعة ما لا ينفع، يضيّع على نفسه كنزًا لا يعوّضه الزمن، ويستبدل:

- السموّ بالتشتت،
- الإنجاز بالكسل،
- السعادة بالحسرة.

أما من استغل أوقات فراغه في الطاعة، وطلب العلم، والرياضة، وصلة الرحم، والعمل النافع، فإنه يبني في داخله شخصية متّزنة، واثقة، هادئة، مطمئنة، وفخورة بنفسها.

## آثار استغلال الصحة والفراغ في الصغر

- نمو إيماني وروحي: القرب من الله، والثبات على الطاعة.
- راحة نفسية: الشعور بالرضا عن الذات، والبعد عن القلق والكآبة.
- إنجاز دنيوي: تعلّم مهارات، وتكوين خبرات، وبناء مستقبل مهني وعلمي قوي.
- صلة قوية بالناس: المشاركة في الخير، والإسهام في المجتمع.
- سعادة حقيقية: ليست لحظية زائلة، بل ممتدة ومستقرة.

## رسالة لمن ضيّع كثيرًا... ما زال الباب مفتوحًا

مهما كان ما فاتك، فإن باب التوبة والعمل لا يزال مفتوحًا. لا تيأس، ولا تستسلم، بل سارع لاغتنام ما تبقّى من صحتك ووقتك.

ابدأ اليوم:

- بترتيب أولوياتك،
- بإعادة بناء علاقتك بالله،

- بتطهير وقتك من الملهيات،
- بالبحث عن أعمال تنفع الناس وتترك لك أثرًا.

قال رسول الله :

``إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها.''

أي حتى عند نهاية العالم، فإن فعل الخير لا يتوقف.

## أوقف نزيف الوقت... ولا تُشغل عقلك بما لا يُغنيك

نعم، أحبّ الناس وادعُ لهم، وكن صاحب قلب طيّب، لكن لا تجعل أحوالهم، وأخبارهم، وتعليقاتهم، تشغلك عن بناء نفسك.

كن ممن:

- يقدّم ما يُرضي الله،
- يستثمر كل لحظة،
- يجعل من وقته وعيًا،
- ومن صحته منجمًا للعطاء.

اجعل من وقتك صحوة، ومن صحتك رسالة، وكن أنت النور في زمن الغفلة.

# العِلم وأهميته في نهضة الأمم: بين رفعة المقاصد وانحراف البوصلة

قال الله تعالى:

``قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ''

[الزمر: 9]

بهذا السؤال الاستنكاري البليغ، يُفرّق الله سبحانه وتعالى بين من يحملون نور العلم، ومن يعيشون في ظلام الجهل، ليُقرر حقيقة ثابتة: أن العلم هو الذي يرفع قدر الإنسان ويميزه عن غيره. فلا يستوي في ميزان الله، ولا في ميزان الحياة، من يعلم ومن لا يعلم.

## أهمية العلم: أساس نهضة الأمم وسر تمايز البشر

العِلم ليس مجرّد تراكم معلومات، بل هو وسيلة تهذيب للإنسان، وبوابة لمعرفة الخالق، وطريق لإحسان التعامل مع الخلق. والعلم درجات، وأعلاها ما يُصلح علاقة العبد بربّه، وهو العلم الشرعي الذي يُرسي القيم والأخلاق، ويُرشد العقول إلى مكانة كل علم نافع يُعمر به الإنسان الأرض.

لقد خلقنا الله لعبادته، وعبادته لا تكتمل إلا بعلم. كما أننا خُلقنا لإعمار هذا الكون، وهذا لا يتحقق إلا بالتعلّم والعمل، وتوريث العلم من جيل إلى جيل. ففي كل جيل تُسلَّم الشعلة للذي بعده، في سلسلة من البناء المستمر، لا تنهض بها إلا الأمم التي تُقدّر العلم وتُكرّم أهله.

## العلم يبني والجهل يهدم

قال الشاعر:

العِلمُ يبني بيوتًا لا عماد لها
والجهلُ يهدمُ بيتَ العزِّ والكرمِ

يلخّص هذا البيت بدقّة حال الأمم: فالعلم يبني، والجهل يهدم. ولم تتراجع أمتنا إلا حين تخلّت عن العلم، ولا سيما العلوم الشرعية، التي كانت الأساس المتين للحضارة الإسلامية العظيمة.

## انحراف بوصلة العلم في العصر الحديث

للأسف، تحوّل مفهوم العلم في كثير من مجتمعاتنا من وسيلة للبناء إلى وسيلة للتفاخر، وأصبح البعض يتخذ من الشهادات سُلّمًا للجاه والمال والمكانة الاجتماعية، لا وسيلة لخدمة الأمة أو إفادة الناس.

وهكذا فُقدت بوصلة العلم، وأصبح كثير من الطلبة لا يدرسون حبًا في المعرفة، ولا شغفًا بالفهم، وإنما طلبًا لوظيفة أو وسيلة عيش، لا غاية بناء أو رسالة إصلاح.

## الشهادات الدراسية: وسيلة لا غاية

لا شك أن الدراسة الأكاديمية مهمة، فهي دليل على اجتياز مراحل علمية حقيقية، ويُفترض بصاحبها أن يكون مؤهلاً في مجاله. لكن من الظلم أن نجعل الشهادة وحدها المقياس الوحيد للعلم.

فكثير من الناس حُرموا من إكمال دراستهم لأسباب مالية، أو اجتماعية، أو بسبب ظلم في أنظمة التعليم. ومن المؤسف أن يُحدَّد التخصص بناءً على نسبة الثانوية فقط، دون اعتبار لقدرات الشخص، أو ميوله، أو احتياجات المجتمع.

ولو وُجدت جهات متخصصة تقيس قدرات الطلاب بدقة، وتوجههم للتخصص الأنسب لهم ولأمتهم، لارتفع مستوى الرضا، وزادت الكفاءة في مختلف الميادين.

## الطب بين القيمة والممارسة

تحتل مهنة الطب مكانة رفيعة في مجتمعاتنا، وهذا مستحق إذا مُورست على حقيقتها؛ فهي مهنة إنسانية أولاً، وعلمية ثانيًا، وأخلاقية ثالثًا.

غير أننا نرى اليوم أن بعض الأطباء يتعاملون مع المهنة كوظيفة روتينية، لا كرسالة سامية. والطبيب مسؤول عن أرواح الناس، ومن واجبه أن يُعامل مرضاه بأقصى درجات الرحمة والصدق، في البحث، وفي التدريس، وفي العلاج.

وعندما يفقد الطبيب إخلاصه، تتحول المهنة إلى تجارة، والمريض إلى رقم. فالطب، وغيره من العلوم، لا قيمة له ما لم يُمارس بأخلاق، إذ إن العلم بلا أخلاق كالسيف في يد مجنون.

## خاتمة: هيبة الأمة من هيبة علمها

لقد فقدت أمتنا هيبتها حين فقدت هيبة العلم. يوم كان العلماء سادة المجتمع، كانت الأمة في المقدمة. ويوم أصبح المال، والجاه، والشهادات الفارغة، هي معيار التقدير، تراجعت الأمة وتقهقرت.

إن العودة إلى العلم الحق النافع، الشرعي والدنيوي، هي مفتاح النهضة، وسبيل استعادة المكانة والكرامة والريادة بين الأمم.

## دعوة للتفكّر

- هل نُعلّم أبناءنا حب العلم لوجه العلم؟
- هل نُربي فيهم الإخلاص والنية الصافية لخدمة الناس؟
- هل نُكرّم من يسعى للعلم، ولو لم يحمل شهادة؟
- هل نُعيد للمعلّم، والباحث، والطبيب، والمجتهد مكانتهم الحقيقية؟

إذا كانت الإجابة ``لا''، فدعونا نبدأ بإصلاح البوصلة.

# التغلب على الأزمات النفسية الناتجة عن الظروف المحيطة وأثرها على الإنجاز العلمي والعملي: رؤية علمية ودينية

في ظل الأوضاع المتقلبة التي يعاني منها العالم العربي والإسلامي، وانتشار الأخبار المحزنة والمقلقة عن أحوال الأهل والأصدقاء، يعاني كثيرون من تأثير نفسي سلبي قد يصل إلى حد الإحباط والتوقف عن الإنتاج والعمل. وهذه الحالة النفسية ليست سهلة الفهم، بل تمثل تحديًا حقيقيًا يواجه الأفراد، خاصة في المجالات التي تتطلب تركيزًا عاليًا، كالبرمجة والبحث العلمي.

## أسباب الحالة النفسية السلبية وتأثيرها

من الناحية العلمية، يؤدي التعرض المستمر للأخبار السيئة والمؤلمة إلى زيادة إفراز هرمونات التوتر، وعلى رأسها الكورتيزول، مما يخلق حالة من القلق المزمن والاكتئاب. هذا التوتر المستمر يؤثر سلبًا على وظائف الدماغ العليا، مثل:

- القدرة على التركيز،
- الذاكرة قصيرة وطويلة المدى،
- مهارات التحليل وحل المشكلات.

وهي مهارات أساسية في مجالات مثل البرمجة والبحث العلمي. كما أن شعور العجز أمام أحداث كبيرة وغير قابلة للتحكم يعزز الإحساس بالإحباط واليأس، مما يؤدي إلى تراجع الحافز والإنتاجية، وقد يصل إلى الانسحاب الكامل من العمل.

## رؤية دينية للنفسية وكيفية التعامل مع الأزمات

من المنظور الإسلامي، النفس البشرية معرضة للاختبار، والأحداث المؤلمة جزء من سنن الابتلاء في الحياة. يقول الله تعالى:

``وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ''

[البقرة: 155]

كما أكد النبي محمد على فضل الصبر والثبات، فقال:

``عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له.''

هذه النصوص توجه الإنسان إلى الصبر والتوكل، مع الأخذ بالأسباب والسعي في الأرض. فالإيمان لا يعني الانسحاب من الواقع أو ترك العمل، بل يدفع إلى الاجتهاد والمثابرة رغم المحن.

## كيف نتجاوز الحالة النفسية السلبية عمليًا وعلميًا؟

يمكن الجمع بين المنهج العلمي والهدي الديني لتجاوز هذه الحالة، وذلك عبر خطوات عملية منها:

- تنظيم التعرض للأخبار: لا يعني تجاهل الواقع، بل ضبط كمية ونوعية الأخبار لتقليل أثرها السلبي.
- ممارسة النشاط البدني والذهني: كالرياضة، والقراءة، والتأمل، لما لها من دور في تقليل التوتر وتحفيز هرمونات السعادة.
- تقسيم العمل إلى أهداف صغيرة: إنجاز مهام يومية محددة يعزز الشعور بالإنجاز ويعيد بناء الدافعية.
- تجنب العزلة الاجتماعية: التواصل مع الأصدقاء والعائلة يوفر دعمًا نفسيًا مهمًا ويخفف الإحساس بالوحدة.
- الاستعانة بالأدوات الدينية: مثل الصلاة، والذكر، وقراءة القرآن، لما لها من أثر عميق في تهدئة النفس وإعادة التوازن.
- الالتزام بروتين يومي منتظم: تنظيم النوم، وأوقات العمل، والراحة يساعد الدماغ على الاستقرار والانتظام.

## أهمية الإنجاز رغم الظروف

تُعد البرمجة والبحث العلمي من المجالات التي تحتاج إلى نفسية متزنة وصحية. ولعل الاستمرار في الإنجاز في ظل الظروف الصعبة هو أصدق تعبير عن الصبر والقوة. إن مواصلة العمل وتطوير الذات، رغم المحن، فعلٌ مقاومٌ للإحباط واليأس.

كما أن النجاح في هذه الظروف يرسّخ في النفس الإيمان بالقدرة على التغيير، ويبعث رسالة أمل للآخرين، خاصة في مجتمعات تنتظر من شبابها وكفاءاتها أن تقود مسيرة النهوض.

## خاتمة

ليس من المنطقي أن تتوقف الحياة أو الإنتاج بسبب الظروف الصعبة المحيطة بنا، لا سيما ونحن نمتلك أدوات العلم وهداية الدين التي تعيننا على الصمود. ومن خلال فهم الحالة النفسية، وتحقيق التوازن بين العقل والقلب، وتنظيم الحياة اليومية، يمكننا تجاوز الإحباط والمضي قدمًا نحو الإنجاز، بما يخدم أنفسنا، ومجتمعاتنا، وأوطاننا.

# من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟

قال رسول الله :

``لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامةِ، حتى يُسألَ عن عُمره فيمَ أفناه؟ وعن علمِه فيمَ فعَلَ فيه؟ وعن مالِه من أين اكتسَبَه؟ وفيمَ أنفقَه؟ وعن جسمِه فيمَ أبلاه؟''

أخرجه الترمذي (2417)، والدارمي (554)، والبيهقي في المدخل إلى السنن.

## المال أمانة... لا لعبة

المال أمانة، نعم أمانة. لكنه عند بعضنا أصبح أشبه بكوب قهوة مُزيَّن بالكريمة والشوكولاتة: يُشترى بلا وعي، ويُسحب المبلغ من البطاقة الإلكترونية بابتسامة، وكأننا نلعب لعبة فيديو لا عواقب لها.

غير أن الحقيقة مختلفة؛ فكل ريال يخرج من يدك هو أمانة ستُسأل عنها، وكل قرار إنفاقي غير محسوب هو شهادة عليك لا لك.

## قصة واقعية: حين يمتد الدين إلى آخر العمر

تخيّل رجلاً تجاوز السبعين من عمره، يروي كيف أنه لم يراجع فاتورة مشترياته من السوبرماركت طوال حياته. النتيجة؟ ديون تمتد لبقية العمر. نعم، لبقية العمر.

السبب؟ غياب المحاسبة، وضعف الوعي المالي، وربما فقدان البركة في الكسب، جزئيًا أو كليًا. فالمال بلا وعي استهلاكي يتحول من نعمة إلى قيد.

## القهوة الحديثة... رفاهية أم استنزاف؟

أصبحت المقاهي الحديثة رمزًا للحياة الاجتماعية: مكانًا للاجتماع، والتسلية، وصناعة القصص على وسائل التواصل.

لكن الأسعار... يا للأسف!

فنجان القهوة الذي كان قبل خمسة عشر عامًا بعشرة ريالات، أصبح اليوم بسبعةٍ وعشرين ريالاً. وقطعة الكيك التي كانت بخمسة ريالات، باتت اليوم بتسعةٍ وثلاثين ريالاً!

أليس من المثير للسخرية أن نجد في البقالة قطعة كيك قريبة في الجودة، بلا زينة، بريالين فقط؟ كأن القهوة والكيك دخلا معًا دورة تدريبية لتعلّم كيفية الاستيلاء على أموال الناس!

## وهم البطاقة الإلكترونية

الأدهى من ذلك أن بعض الناس يفرح بسحب المبلغ من البطاقة الإلكترونية، وكأن الصوت الرنّان لآلة الدفع يعوضه عن القيمة الحقيقية للمال!

ألا يعلم أن هذا المال أمانة؟ وأن كل ريال يُصرف بلا تفكّر سيُسأل عنه يوم القيامة؟

## مراجعة صادقة مع النفس

فلنقف مع أنفسنا وقفة صدق:

- هل فنجان القهوة هذا يستحق هذا السعر؟
- هل قطعة الكيك بهذه القيمة ضرورة؟
- أم أنها مجرد ديكور، وجلسة أنيقة، وخداع نفسي؟

الإنفاق الواعي يبدأ بالسؤال، لا بالاندفاع.

## درس من اليابان: العقلانية قوة

لنتذكر تجربة اليابان: طبق البيض بقي على سعره خمسةً وعشرين عامًا. وعندما حاولت الشركات رفع السعر قليلاً، قاطع الناس المنتج، فاضطرت الشركات إلى إرجاع السعر القديم.

درس بسيط لكنه عميق: العقلانية في الشراء قوة، والتبذير ضعف.

## حكمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

``رَخِّصوها''

أي: لا تشتروها إذا كانت غالية، فترخص.

فليكن إنفاقنا:

- على الضروريات: حكمة.
- وعلى الترفيه: اعتدال.

## خاتمة: أمانة المال وكرامة الإنسان

المال أمانة، والرفاهية بلا عقلانية تجعلنا أسرى للمظاهر والموضة.

فلنستخدم أموالنا بعقل، ولنسأل أنفسنا في كل مرة نمد فيها البطاقة:

هل هذا ضروري؟ أم مجرد تسلية عابرة؟

فلنحافظ على المال، ونحمي كرامتنا، ولا نجعل اجتماع المظاهر والعادات الاجتماعية السيئة يفقدنا عقلانيتنا في الصرف.

ولنكن قدوة لغيرنا:

- أن يكون الإنفاق حكمة.
- وأن يكون التبذير خيبة.
- وأن نكون أمناء على ما وهبنا الله من مال ونعمة، فنصرفه في مواضعه المستحقة.

# صبابة الدنيا... بين سراب البقاء وحقيقة الفناء

قال الحسن البصري رحمه الله ـ أو رُوي عن بعض الصحابة ـ:

``ما الدنيا إلا صبابة كصبابة الإناء، يتصابّها صبيانكم.''

وقال رسول الله ﷺ:

``هل تنتظرون إلا غِنىً مُطغِيًا، أو فقرًا مُنسيًا، أو مرضًا مُفسِدًا، أو هَرَمًا مُفنِّدًا، أو موتًا مُجهِزًا، أو الدجالَ فشرٌّ غائب يُنتظر، أو الساعةَ والساعةُ أدهى وأمرّ.''

رواه الترمذي

## الدنيا... زينة عابرة لا بقاء لها

كثيرًا ما يظن الإنسان أن الدنيا بحرٌ واسع، فإذا بها ـ عند التأمل ـ مجرد قطرات قليلة في إناء، سرعان ما تنتهي، ويتزاحم عليها الناس كما يتزاحم الأطفال على بقايا ماء لا تكفيهم جميعًا.

هذا الوصف البليغ من السلف يضع الدنيا في حجمها الحقيقي؛ فهي لا تساوي شيئًا أمام ما عند الله من بقاء وخلود. ومهما ظننا أن العمر طويل، ومهما تزيّنت لنا الحياة بالمال والجاه والمتاع، فإن كل ذلك ينفد فجأة، كزخات المطر إذا جفّت الأرض، ويبقى الإنسان في مواجهة الحقيقة الكبرى: الموت وما بعده.

## رسالة الحديث النبوي

لخّص النبي ﷺ مستقبل كل إنسان في كلمات جامعة، ترسم مسار الحياة بكل احتمالاتها:

- إن انتظرت الغنى، فقد يكون غنىً يُطغيك ويُنسيك.
- وإن نزل بك الفقر، فقد يشغلك ويُنسيك الآخرة.

- وإن أُعطيت الصحة، فسرعان ما يطرق بابك المرض.
- وإن سلمت من المرض، فالعمر يتناقص حتى يطرقك الهرم.
- وإن نجاك الله من كل ذلك، فالموت حتمٌ لا مفرّ منه.
- وبعده الدجال وفتنته، ثم القيامة، وهي أدهى وأمرّ لمن غفل.

هذه السلسلة ليست لتخويف الإنسان بقدر ما هي تنبيه عميق لئلا ينخدع بالدنيا، فهي طريق قصير، مزدحم بالابتلاءات، ومفضٍ إلى نهايات محتومة.

## لماذا نغتر بالدنيا؟

الإنسان مفطور على حب ما يراه أمامه؛ المال، والمنصب، واللذة، والبيت، والشهرة. كلها تغريه لأنها قريبة الملمس، بينما الآخرة تبدو بعيدة لأنها غيبية.

لكن في لحظة مرض شديد، أو عند فقدان قريب، أو أثناء دفن صديق، تنكشف الحقيقة فجأة، ويظهر للإنسان حجم الوهم الذي كان يعيش فيه. كأننا جميعًا نتشاجر على قطرات ماء في إناء مائل، وسرعان ما تسقط القطرات على الأرض، فيضيع الصراع كله.

## الفلسفة الحقيقية للعيش

العاقل ليس من يترك الدنيا بالكلية، فذلك ليس هو المطلوب، وإنما العاقل من يتعامل معها بوعي:

- يعمل فيها لأنه مأمور بالعمل،
- ويستمتع بما أحلّ الله لأنها زينة عابرة،
- لكنه لا يجعلها في قلبه وطنًا ولا غاية، بل محطة عبور.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

> ``إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عملٌ ولا حساب، وغدًا حسابٌ ولا عمل.''

## دروس عملية للإنسان المعاصر

- إدارة الطموحات: لا تجعل عملك أو مالك غاية وجودك، بل وسيلة لحياة متوازنة.
- تقدير الوقت: كل دقيقة تقرّبك من النهاية، فلا تُهدر وقتك على سراب.
- الاستعداد للمصير: اجعل في جدولك نصيبًا للآخرة؛ صلاة، وذكر، وصدقة، وبر، وعلم نافع.
- الزهد الواعي: ليس ترك المال، بل وضعه في اليد لا في القلب.

## الخاتمة

الدنيا ـ بكل ما فيها ـ صبابة ماء، تتهافت عليها النفوس، وتتشاجر عليها كما يتشاجر الأطفال على ما لا يُغنيهم. أما الآخرة فهي البحر العظيم، العذب الصافي، الذي لا ينفد ولا يزول.

فلنراجع أنفسنا بصدق:

هل نحن ممن باعوا البحر بالصبابة؟ أم ممن استثمروا الصبابة ليفوزوا بالبحر؟

# برّ الوالدين... سرّ النجاح والتوفيق في الحياة

قال الله تعالى:

(وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)

[الإسراء: 23]

وقال النبي :

``من أحب أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه.''

رواه البخاري ومسلم

## البرّ... أقصر طريق للتوفيق

كل إنسان يسعى للنجاح؛ في دراسته، أو عمله، أو مشروعه، أو حتى في بناء اسم وسمعة. ومع تعدد الطرق والأساليب، يبقى هناك سرّ خفي عظيم لا يُدركه كثيرون: برّ الوالدين وصلة الأرحام.

فالمال وحده لا يضمن نجاحًا، ولا الذكاء وحده يصنع مجدًا. كم من أذكياء لم يُوفَّقوا، وكم من متواضعي القدرات فتح الله لهم أبواب الرزق والعلم والمناصب. والسبب في ذلك هو رضا الله الذي يناله العبد برضا والديه.

## قصص واقعية من مجتمعنا

عند التأمل في قصص نجاح بارزة في مجتمعنا، نجد خلفها توفيقًا استثنائيًا لا يأتي مصادفة.

- موقع حراج: بدأ كفكرة بسيطة لتبادل السلع، ثم تحوّل إلى أكبر منصة سعودية للبيع والشراء عبر الإنترنت، حتى صار علامة بارزة يصعب منافستها. حاول كثيرون تقليده، لكنهم لم يبلغوا مستواه.

- شركة ثمانية: انطلقت كبودكاست وإعلام رقمي بأسلوب مختلف، واستطاعت الوصول إلى قلوب الشباب والمهتمين بالمحتوى العربي، حتى أصبحت مرجعًا وصوتًا مؤثرًا في الساحة الإعلامية.

قد لا نعرف تفاصيل الحياة الشخصية لمؤسسي هذه المشاريع، لكننا نوقن أن التوفيق الإلهي كان حاضرًا بقوة، والتوفيق في جوهره ثمرة من ثمار البرّ، وصلة الرحم، والنية الصادقة.

فهذه ليست مجرد أفكار تجارية، بل نماذج لبركة ساقها الله لأصحابها، فارتفعوا، بينما تعثّر غيرهم ممن امتلكوا الأفكار ذاتها.

## لماذا البرّ يصنع النجاح؟

- دعوة الوالدين: الدعاء المستجاب أقوى استثمار في حياتك. قد يدعو لك والدك أو والدتك في جوف الليل، فتُفتح لك أبواب كانت موصدة.
- بركة الرضا: رضا الوالدين يجلب رضا الله، ورضا الله يُيسّر الصعاب ويفتح الأبواب المغلقة.
- البرّ بعد الوفاة: حتى من فقد والديه، فإن باب البر لا يُغلق؛ بالدعاء، والصدقة، وصلة أرحامهما، وتنفيذ وصاياهما. وقد قيل: ``من لم يُوفَّق لبرّ والديه في حياتهما، ثم حرص على برّهما بعد موتهما، كتب الله له أجر البر وكأنه أدركهما حيَّين.''
- بركة العمر والرزق: صلة الرحم وبرّ الوالدين سبب مباشر في سعة الرزق وطول الأثر، كما ورد في الحديث الصحيح.

## رسالة إلى الشباب

أنتم اليوم تبحثون عن النجاح: في التجارة، أو الوظائف، أو الابتعاث، أو الريادة في مجالات التقنية والإعلام. فاسألوا أنفسكم بصدق:

- هل نحن بارّون بوالدينا؟
- هل نُسعدهما بكلمة طيبة، وابتسامة صادقة، واهتمام حقيقي؟
- هل نتذكرهما بعد وفاتهما بدعاء، وصدقة، وذكر حسن؟

إن أعظم استثمار في حياتكم ليس مجرد مهارة، ولا شهادة، ولا مشروع، بل قلوب والديكم.

# الخاتمة

إن قصص النجاح الكبرى ليست مجرد خطط عمل أو رؤوس أموال، بل وراءها بركة خفية، سرّها رضا الله، ومفتاحها برّ الوالدين.

فيا شباب، لا تنخدعوا ببريق قصص النجاح، ولا تظنوا أن تقليد الآخرين كافٍ. ابحثوا عن سرّ التوفيق في حياتكم، وستجدونه أقرب مما تتصورون: في دعوة أمٍّ حانية، أو رضا أبٍ صامت، أو دمعة وفاء ترفعونها إلى السماء بعد رحيلهما.

برّ والديك... وسترى كيف تُفتح لك الأبواب من حيث لا تحتسب.

# الاستسقاء المالي: داء لا يشبع صاحبه حتى يهلك

في الطب يُعرف الاستسقاء الكبدي بأنه مرض ينهك صاحبه؛ يشرب الماء ولا يرتوي، ويظل عطشان حتى يذوي جسده وينتهي إلى الهلاك. وفي زماننا نرى مرضًا أخطر، لكنه لا يصيب الجسد بل يصيب الضمير، أسميه: الاستسقاء المالي.

هو داء يجعل صاحبه يجمع المال بلا حدّ، ويكدّس الأملاك بلا توقف، ثم يمدّ عينه إلى ما عند غيره كأنه لا يملك شيئًا. يدّعي الفقر وهو غارق في النعيم، ويطارد أرزاق الناس ليضيفها إلى خزائنه، فلا يهنأ بما بين يديه، ولا يعرف للراحة طعمًا، حتى ينقضي عمره عطِشًا لا يُروى.

## صور من التاريخ والواقع

### قارون

ضرب القرآن بقارون مثلاً خالدًا؛ أُوتي من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، ومع ذلك طغى وقال:

``إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي''

فكانت النهاية أن خسف الله به وبداره الأرض. إنها نهاية كل من ابتُلي بالاستسقاء المالي: مال بلا قناعة، فيتحول الغنى إلى لعنة.

### عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

كان من أثرى الصحابة، ومع ذلك جهّز جيش العُسرة بماله، وبذل بلا خوف من الفقر، فعاش غنيًا بالقناعة لا بالرصيد. هنا يظهر الفرق بين من اتخذ المال وسيلة للخير، ومن جعله غاية للجشع.

## قصص معاصرة

كم من رجل أعمال جمع المليارات، لكنه عاش شقيًا يخشى ضياعها، ويخاصم أهله عليها، فلا يعرف للبركة طعمًا. وفي المقابل نرى عاملاً بسيطًا يعيش من الكفاف سعيدًا مطمئنًا، ينام قرير العين، بينما يتقلب صاحب الثروات على فراشه قلقًا.

## دروس وعِبر

- المال بلا قناعة وبال: من جمع ولم يشبع كان كمن يشرب ماء البحر؛ كلما ازداد شربًا ازداد عطشًا.
- القناعة تزرع السعادة: الغنى غنى النفس لا غنى اليد؛ من رضي عاش غنيًا وإن قلّ دخله.
- المال وسيلة لا غاية: من جعله وسيلة للبذل والعطاء عاش مكرمًا، ومن جعله غاية للكنز عاش مذلولاً.
- الجزاء العادل: سنن الله لا تتغير؛ الطغاة والجاحدون للنعمة مهما ملكوا، نهايتهم إلى زوال وخزي، كما زال ملك من سبقهم.

## العلاج

لا دواء للاستسقاء المالي إلا بإحياء القناعة في النفوس، وتربية القلب على شكر النعم، والتذكير الدائم بأن المال فتنة لا معيار كرامة. قال تعالى:

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

[التغابن: 15]

## العبرة الكبرى

المال إذا صار هدفًا صار نقمة، وإذا صار وسيلة صار نعمة. وبين هذين الموقفين يتحدد مصير الإنسان في دنياه وآخرته.

# الأشقياء وخصومة الحياة: قراءة دينية وأخلاقية واجتماعية

من يتأمل في حال بعض الناس يجد أن حياتهم لا تقوم إلا على العداوة والصراع؛ فهم لا يرتاحون إلا بوجود خصمٍ يتخذونه شماعة لتبرير مظلوميتهم المزعومة. يعيشون على استنزاف الآخرين، ويسلبون حقوقهم، ويُلبسون طغيانهم ثوب ``الحق المكتسب''.

هذه صورة متكررة عبر التاريخ، وقد وصف القرآن الكريم هذه الفئة وصفًا دقيقًا حين قال تعالى:

``وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ.''

[البقرة: 11--12]

## البعد الديني: عدل الله في تسليط الظالم على نفسه

من سنن الله في الكون أن الظالم يُبتلى بظلمه، فينقلب عليه ما اقترفت يداه، وتتحول القوة التي اغترّ بها إلى نقمة عليه. وقد قال النبي ﷺ:

``إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يُفلِته.''

رواه البخاري ومسلم

يبدأ الظالم عهده بالتسلّط على الآخرين، ثم مع مرور الزمن يُسلَّط عليه أقرب الناس إليه، فيذوق من نفس الكأس التي سقاها لغيره. وهذا من عدل الله وحكمته؛ فلا مال يُجمع بغير حق يدوم، ولا سلطان يُبنى على قهر الناس يورث راحة أو استقرارًا.

## البعد الأخلاقي: فساد النفس وتأصّل الشر

المصيبة الكبرى عند هؤلاء ليست فقط في أفعالهم، بل في تأصّل الشر داخل نفوسهم حتى يصبح طبعًا راسخًا لا يزول. فإذا حاول أحدهم التوبة أو تغيير السلوك، وجد نفسه أسير عاداته القديمة؛ تفضحه المواقف، ويغلبه ما في داخله من نزعة البغي والعدوان.

وقد عبّر القرآن عن هذه الحالة بقوله تعالى:

``بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.''

[المطففين: 14]

فالقلب إذا ران عليه الظلم والعداوة صار كالوعاء المظلم؛ كلما حاول صاحبه إخراج نور الخير لم يجد له طريقًا.

## البعد الاجتماعي: أثر الأشقياء على المجتمع

لا يعيش هؤلاء بمعزل عن محيطهم، بل يتركون أثرًا مدمّرًا في المجتمع، يتمثّل في:

- زرع الكراهية والبغضاء بين الناس.
- تقويض الثقة وروح التعاون الاجتماعي.
- إنشاء جيلٍ مشوَّه يتعلّم أن القوة تُؤخذ غصبًا، وأن المال يُجمع بالتسلّط لا بالكَدّ والعمل.

لكن الله لا يترك المجتمع فريسةً لهم؛ بل يجعل نهايتهم عبرة لغيرهم، فتسقط هيبتهم، وتتحول حياتهم إلى سلسلة من الخلافات الداخلية، حتى مع أبنائهم وذويهم.

## العِبرة

الإنسان لا يُقاس بما جمع من مال، ولا بما ملك من جاه، بل بما يتركه من أثرٍ طيب بين الناس. من عاش بالخصومة انتهى إليها، ومن عاش بالعدل والرحمة ورث محبة الله ومحبة عباده.

وقد لخّص النبي ﷺ هذه الحقيقة في قوله:

``أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم للناس.''

رواه الطبراني

## الخلاصة

الأشقياء الذين لا يعرفون إلا لغة العداوة هم أسرى لأنفسهم؛ يعيشون في ظلمات الخصومة والطغيان حتى يهلكوا. أما السعداء، فهم الذين يزرعون الخير، فيحصدون السلام في الدنيا، والرحمة في الآخرة.

# انتبه لصحتك: اكتشف الحساسية الغذائية قبل أن تصبح مشكلة كبيرة

في عالمنا الحديث، يعاني كثير من الأشخاص من مشاكل صحية مزمنة وغير مفسَّرة، مثل التعب المستمر، وآلام المفاصل، واضطرابات الهضم، والصداع المتكرر. وغالبًا ما تُعالَج هذه الأعراض بصورة مؤقتة دون الوصول إلى السبب الجذري للمشكلة.

الحقيقة أن السبب قد يكون أبسط مما نتصور؛ فالحساسية تجاه بعض المواد الغذائية قد تكون وراء عدد كبير من الحالات الصحية المزمنة وغير المفسَّرة.

## الحساسية الغذائية: أكثر من مجرد حساسية بسيطة

تحدث الحساسية الغذائية عندما يخطئ جهاز المناعة في التعرّف على مادة غذائية غير ضارّة، فيتعامل معها على أنها تهديد، ويبدأ بمهاجمتها. هذا التفاعل المناعي قد يُحدث استجابات التهابية تؤدي إلى أعراض متعددة، تبدأ من مشاكل جلدية واضطرابات هضمية، وقد تمتد إلى التهابات مزمنة وحالات صحية معقّدة.

تشير دراسات طبية قديمة وحديثة إلى أن نسبة كبيرة من الأمراض المزمنة غير معروفة السبب قد تكون مرتبطة بالحساسية الغذائية أو عدم تحمّل بعض الأطعمة. وفي بعض الحالات، قد تكون هذه الحساسية عاملاً مساهمًا في أمراض أكثر خطورة، مما يجعل الانتباه المبكر أمرًا ضروريًا.

## التشخيص المبكر: خطوة ذكية لصحتك

يعالج كثير من الأطباء الأعراض الظاهرة فقط، دون البحث العميق عن السبب الأساسي، وهو ما يؤدي إلى حلول مؤقتة لا تُجدي نفعًا على المدى الطويل.

يساعد إجراء اختبارات الحساسية الغذائية، سواء عبر فحوصات الدم أو اختبارات الجلد، على تحديد المواد الغذائية المسببة للتفاعل. وبمجرد التعرف عليها، يمكن تجنبها، مما يساهم في:

- تقليل الالتهابات في الجسم،
- تحسين الهضم والطاقة اليومية،
- رفع جودة الحياة بشكل عام.

## الوقاية: العلاج الأبسط والأكثر فعالية

يُعدّ تجنّب المسببات الغذائية حجر الأساس في التعامل مع الحساسية الغذائية. ومن أهم خطوات الوقاية:

- تجنّب المواد الغذائية التي ثبتت حساسيتك تجاهها.
- قراءة المكونات الغذائية بعناية، خاصة في المنتجات الجاهزة.
- التخطيط المسبق للوجبات والانتباه للمكونات المخفية.

بهذه الإجراءات البسيطة، يمكن تقليل المخاطر الصحية المحتملة، والتمتع بصحة أكثر استقرارًا على المدى الطويل.

## دعوة إلى المبادرة

إذا كنت تعاني من أعراض مزمنة أو متكررة دون تفسير واضح، فلا تنتظر. قد تكون الحساسية الغذائية هي السبب الخفي وراء معاناتك.

تحدّث مع طبيبك، وأجرِ الفحوصات اللازمة، وابدأ باتخاذ خطوات عملية لتجنّب المسببات. العناية بصحتك اليوم قد تمنع مشكلات أكبر غدًا.

استثمر في صحتك قبل أي شيء آخر، فهي رأس مالك الحقيقي.

# الأمانة الوظيفية بين ضياع التخصص وضياع الضمير

في كثير من الأحيان، يُعيَّن موظفون في دوائر حكومية أو مؤسسات عامة بناءً على شهاداتهم وتخصصاتهم الدقيقة، ثم يُفاجَؤون عند مباشرة العمل بأنهم وُضعوا في غير مجال اختصاصهم. فتتحول بيئة العمل من فرصة للعطاء والإبداع إلى روتين مملّ يفتقر إلى الدافعية.

ومع مرور الوقت، يتأثر الموظف بسلوكيات بعض زملائه الذين لا يؤدّون أعمالهم كما ينبغي، فينحدر هو الآخر ـ تدريجيًا ـ إلى دائرة الإهمال، مكتفيًا بالحضور والانصراف دون روح ولا إنجاز.

## الأجر والضمير

هنا يبرز سؤال مصيري: هل الراتب الذي يتقاضاه هذا الموظف حلال، أم مشوب بشبهة؟

الجواب مرتبط بالأمانة؛ فالإسلام جعل العمل عبادة إذا أُتقن، وحذّر من الغش والإهمال. قال رسول الله ﷺ:

``إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه.''

فالأجر في حقيقته مقابل العمل، فإذا قصّر الموظف في أداء مهامه، أو اكتفى بالوجود الشكلي دون إنجاز، فقد أخذ مالاً بغير وجه حق. وحتى لو وُضع في غير تخصصه، فإن مسؤوليته لا تسقط؛ لأنه قَبِل الوظيفة، وارتبط بها بعقدٍ وعهدٍ أمام الدولة والمجتمع، وقبل ذلك أمام الله.

## المسؤولية الاجتماعية

الموظف ليس فردًا معزولاً، بل هو ترس في منظومة تخدم مصالح الناس. إهماله أو تقصيره لا يتوقف أثره عند شخصه، بل يمتد إلى:

- تعطيل مصالح المراجعين،
- إطالة الإجراءات دون مبرر،

- ظلم المواطنين الذين ينتظرون حقوقهم.

ومن هنا يبدأ الفساد الإداري في التسلل؛ لا عبر القضايا الكبرى فقط، بل من خلال هذه الثغرات الصغيرة التي تنشأ من الإهمال الفردي، ثم تتضخم حتى تُهدر المال العام وتضعف ثقة المجتمع بالمؤسسات.

## الأمانة أمام الله

قال الله سبحانه وتعالى:

``وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ.''

[الصافات: 24]

فالموظف سيُسأل يوم القيامة عن الأمانة التي أُوكلت إليه، وعن ساعات العمل التي أهدرها، وعن الأموال التي أخذها دون مقابل حقيقي. وقد يكون هذا المال وبالاً عليه في الدنيا قبل الآخرة؛ فتُنزَع منه البركة، ويُبتلى في رزقه أو صحته، ويثقل حسابه بين يدي الله.

## ما للموظف وما عليه

### ما له

- أن يطالب بحقه في أن يُوضَع في مكان يناسب تخصصه وقدراته.

- أن يسعى لتحسين بيئة عمله عبر المطالبة المشروعة والنزيهة.

### ما عليه

- أن يلتزم بالمهام الموكلة إليه ما دام يشغل هذا المنصب.

- أن يجتهد قدر استطاعته، وألا يبرر التقاعس بسوء التوزيع الوظيفي.

- أن يكون قدوة في الإخلاص، لا تابعًا للمهملين.

## كلمة إصلاحية

إن إصلاح مؤسساتنا يبدأ من الفرد. فإذا أصلح الموظف نيته وعمله، أصبح لبنة صالحة في بناء الوطن. أما إذا خان الأمانة، فقد شارك ـ دون أن يشعر ـ في نشر الفساد.

وعلى الجهات المسؤولة أن تراعي التخصص والكفاءة في التوظيف، وألا تجعل طاقات الشباب وقودًا للملل والإحباط؛ لأن ضياع الطاقات خسارة للوطن قبل أن تكون خسارة للفرد.

# السكر المكرر والغيبة: دراسة مقارنة بين فساد الجسد وفساد المجتمع

منذ القِدم، ميّز الله الإنسان بالعقل والقدرة على الاختيار بين ما ينفع وما يضر. غير أن هذا الاختيار يضلّ صاحبه أحيانًا حين ينجرف وراء لذّة عابرة تُخفي خلفها شرًا عظيمًا. فالإنسان قد يستسهل تناول قطعة حلوى محلاة بالسكر المكرر رغم علمه بأضراره، كما قد يستسهل كلمة غيبة في مجلس رغم تحذير الشرع من خطورتها.

والنتيجة واحدة: ضعف في البنية الداخلية. فإذا كان السكر المكرر يهدم جهاز المناعة ويقوّض سلامة الجسد، فإن الغيبة تضعف جهاز الإيمان وتخرب أواصر المجتمع.

## أولاً: السكر المكرر وأثره على صحة الإنسان

### 1. إضعاف جهاز المناعة

أظهرت دراسة كلاسيكية منشورة في The American Journal of Clinical Nutrition عام 1973 أن تناول 100 غرام من السكر يقلل نشاط كريات الدم البيضاء بنسبة تصل إلى 40% لمدة تقارب خمس ساعات. وهذا يعني أن الإفراط في السكر يجعل الجسد عرضة للعدوى بشكل مباشر.

### 2. تغذية الميكروبات والفطريات

تؤكد أبحاث منشورة في Journal of Clinical Microbiology (2016) أن الفطريات، مثل Candida albicans، تنمو بسرعة أكبر عند ارتفاع مستويات الغلوكوز في الدم، مما يزيد من العدوى الفطرية ومشاكل الأمعاء.

### 3. مقاومة الأنسولين والسكري

يؤدي السكر المكرر إلى ارتفاع مفاجئ في الغلوكوز، مما يرهق البنكرياس لإفراز الأنسولين. ومع الزمن تفقد الخلايا استجابتها، فينشأ مرض السكري من النوع الثاني. وقد أوضح تقرير منظمة الصحة العالمية (2022) أن استهلاك السكر الحر من أبرز العوامل المؤدية للسكري والسمنة.

### 4. السمنة وأمراض القلب

لا يمنح السكر شعورًا حقيقيًا بالشبع، بل يحفّز إفراز الدوبامين في الدماغ، مما يدفع إلى الاستهلاك المتكرر. وتشير دراسات Harvard T.H. Chan School of Public Health إلى أن المشروبات المحلاة تزيد خطر السمنة بنسبة تصل إلى 60% لدى من يستهلكونها يوميًا.

### 5. السكر وشيخوخة البشرة المبكرة

تؤدي عملية الارتباط السكري (Glycation) الناتجة عن السكر إلى تدمير الكولاجين والإيلاستين في الجلد، مما يسرّع التجاعيد وفقدان المرونة. وقد أكدت دراسة في Dermato-Endocrinology (2012) أن السكر من أهم العوامل المسرّعة لشيخوخة الجلد.

## ثانيًا: الغيبة وأثرها على النفس والإيمان والمجتمع

### 1. تعريف الغيبة وخطورتها

قال رسول الله :

``ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ.''

رواه مسلم

وصوّر القرآن الكريم الغيبة بأبشع صورة:

(وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ)

[الحجرات: 12]

### 2. إضغان النفس وتقلبها

تجعل الغيبة القلب يسلّم بما قيل عن الآخرين دون تمحيص أو التماس عذر، فتُسمّم النفس بالحقد وسوء الظن، تماماً كما يختلّ التوازن الداخلي للجسد مع تراكم السموم السكرية.

### 3. إضعاف الإيمان

كما يضعف السكر جهاز المناعة، تضعف الغيبة جهاز الإيمان؛ فهي تقتل روح الأخوّة، وتفسد سلامة الصدر، وتحرم القلب من صفاء الذكر.

### 4. تفتيت المجتمع وزرع الكراهية

لا تقتصر أضرار الغيبة على الفرد، بل تمزّق نسيج المجتمع، وتبث الشكوك، وتزرع العداوة، وتُسقط الثقة بين الناس. وقال ابن القيم في مدارج السالكين: ``الغيبة جرح في قلب الأمة قبل أن تكون جرحًا في قلب الفرد.''

### 5. الآثار النفسية على المغتاب

يعيش المغتاب في قلق دائم، يراقب عيوب الناس أكثر مما يصلح عيوب نفسه، مما يولّد توترًا داخليًا واضطرابًا نفسيًا يشبه الخلل الهرموني الناتج عن الإفراط في السكر.

## ثالثًا: المقارنة بين السكر والغيبة

إذا تأملنا أثر السكر المكرر على الجسد، وأثر الغيبة على الروح والمجتمع، وجدنا تشابهًا عجيبًا:

- كلاهما يبدأ بلذّة صغيرة عابرة.
- كلاهما ينتهي بفساد عميق يصعب علاجه.

فالسكر يمنح لذّة الطعم، والغيبة تمنح لذّة الكلمة. لكن السكر يدمّر المناعة، والغيبة تدمّر الإيمان.

وكما وُصف السكر بـ``السم الأبيض''، شبّه القرآن الغيبة بأكل لحم الأخ الميت، في تصوير بالغ القسوة والوضوح.

## رابعًا: الآثار النفسية المقارنة

### 1. الإدمان على السكر

يحفّز السكر مراكز المكافأة في الدماغ عبر الدوبامين، بشكل يشبه المخدرات. ومع الوقت يحتاج الإنسان إلى كميات أكبر ليشعر بنفس المتعة، وهو ما يُعرف بالإدمان الغذائي.

### 2. الإدمان على الغيبة

تشبع الغيبة حاجة نفسية زائفة للشعور بالتفوق أو تبرير التقصير. ومع التكرار تتحول إلى عادة ذهنية ولسانية، تشبه ``سكرًا اجتماعيًا'' يترك مرارة وفسادًا بعد زواله.

### 3. الأثر النفسي الممتد

تشير دراسة في Reports Scientific (2017) إلى أن الإفراط في السكر يرتبط بتقلب المزاج والقلق والاكتئاب. وبالمثل، تؤدي الغيبة إلى قلق دائم، وسوء ظن، وشيخوخة روحية تقسي القلب وتحجبه عن النور.

## الخاتمة

إذا كان الطب يحذّر من السكر بوصفه السم الأبيض الذي يفتك بالجسد ببطء، فإن القرآن يحذّر من الغيبة بوصفها أكل لحم الأخ الميت، وهي صورة أشد فظاعة.

كلاهما يبدأ بلذّة صغيرة، وينتهي بفساد عظيم. فالجسد أمانة، والإيمان أمانة، ولا يستقيم أحدهما دون الآخر.

## المراجع


- Nutrition, Clinical of Journal American The Function. System Immune and Sugar al. et R., Cohen, .1973
- .2022 WHO, Children. and Adults for Intake Sugars Organization. Health World
- Microbiology, Clinical of Journal Metabolism. Glucose and albicans Candida al. et L., D. Moyes, .2016
- Obesity. and Drinks Sugary Source: Nutrition The Health. Public of School Chan T.H. Harvard

- Pageon, H. Glycation and Skin Aging. Dermato-Endocrinology, 2012.
- Kn ppel, A., et al. High Sugar Intake and Depression. Scientific Reports, 2017.
- القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية 12.
- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الغيبة.
- ابن القيم، مدارج السالكين.

# ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون

قال الله تعالى:

(وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُو لَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ)

[الحشر: 9]

المال، في جوهره، ليس سوى وديعةٍ مودَعة في كفّ الإنسان، أمانة عابرة تمرّ كما يمرّ ظلّ السحاب على أرضٍ عطشى. وقد شاء الله أن يكون المال امتحانًا يبتلي به عبده: أهو شاكرٌ حين يُعطى؟ صابرٌ حين يُمنع؟ أم عبدٌ للدرهم والدينار، لا يرى في الرزق إلا وسيلةً للعلوّ والتفاخر؟

## حين ينقلب المال على صاحبه

كم من فقيرٍ أضناه ضيق اليد، فرفع بصره إلى السماء قائلاً: اللهم ارزقني، فإن رزقتني أنفقت، ولوجهك بذلت. وهو في لحظات فقره متواضع، ليّن القلب، قريب العاطفة من الناس.

فإذا تبدّل الحال، وجاءه المال، انقلبت نفسه عليه؛ فإذا به يحصي ويعدّ، ويحرص ويمسك، كأنّ الذهب قد التصق بفؤاده فلا ينفكّ عنه. تلك هي طبيعة النفس إذا تُركت بلا زمامٍ من إيمان.

وكم ترى من أناسٍ يزدادون فقرًا كلما اغتنوا؛ فقرًا في أرواحهم، وفراغًا في صدورهم، وضيقًا في قلوبهم، رغم امتلاء الجيوب وتكدّس الصناديق.

## داء الشحّ: حين يتسلّل الكبرياء

ثم يبدأ المرض الأخطر: شعورٌ بالتفوّق على الخلق، كأنّ المال جناحٌ يحمله فوق الناس. فيخيّل إليه أنّه أرفع قدرًا، وأعلى منزلة، فيبتعد عن أقرب الناس إليه:

- أبٍ طالما أعطى،

- أمٍّ طالما سهرت،
- أخٍ شاركه الجوع،
- صديقٍ آزره في المحنة.

وينسى أنّه كان واحدًا منهم بالأمس. هذا هو داء الشحّ إذا تملّك القلوب؛ يُقسيها، ويزرع بينها جدران الريبة، ويُلبس صاحبها ثوب الكبرياء المزيّف.

ولا يزال الشيطان يوسوس له: إنهم يحسدونك، يتطلعون إلى مالك. فيزداد انغلاقًا، ويظنّ نفسه في رفعة، وما هو إلا في هاوية.

## ميزان القرآن في علاج الشحّ

أرشدنا القرآن إلى طريق النجاة منذ البدء، فقال تعالى:

(وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا)

[الإسراء: 26]

فجعل الأقربين أحقّ الناس بالعطاء، لا لأنهم أكثر استحقاقًا فحسب، بل لأنهم ميزان الاختبار: فمن ضنّ على أقرب الناس إليه، فكيف يسخو على أبعدهم؟

## الرزق بقدر... لا عبث فيه

وما ذكر الله الرزق إلا وقرنه بكلمة بقدر، لتدرك أن ما يأتيك أو يُحجب عنك ليس اعتباطًا، بل بميزان حكيم، موزون بأدقّ موازين الرحمة والعلم.

قد يكون الغنى لبعض الناس وبالاً، وقد يكون الفقر رحمةً ونجاة. وقد يكون المال سلّمًا للكرامة، وقد يكون حفرةً للهلاك. من فهم هذه الحقيقة عاش مطمئنًا، وسلّم قلبه لله، وسعى في رزقه سعي العبد العامل، لا العبد المتعلّق بالأوهام.

## حين يتحوّل المال إلى أغلال

إنّ الشحّ إذا سكن النفس:

- حوّل الذهب إلى أغلال،

- والمال إلى هموم،
- والكثرة إلى فقرٍ داخلي لا يُروى.

أما من وُقي هذا الداء، فقد تحرّر، وأصبح المال في يده لا في قلبه، وسلك درب الفلاح الذي وصفه القرآن الكريم.

## كيف يقي المؤمن نفسه من شحّها؟

- الصدقة الخفية: دواء يطهّر القلب كما تطهّر النار الذهب من خبثه، وتعلّم النفس أن ما عند الله أبقى.
- تذكّر الفناء: فما المال إلا عارية مردودة، وما بينك وبينه إلا زفرة أخيرة.
- صحبة الكرماء: فالقلوب تُعدي، وصحبة الأسخياء تُلين النفس وتذكّرها بجمال العطاء.
- القناعة: أن تنظر إلى من هو دونك في الدنيا، ومن هو فوقك في الدين، فتعيش بين شكرٍ وعمل.
- اليقين بالزيادة: أن تدرك أن الصدقة لا تنقص المال، بل تزكّيه وتباركه، وأن ما أمسكت عنه لن يزيدك إلا فقرًا في داخلك.

## الخاتمة

الفلاح الحقيقي ليس في كثرة المال، ولا في زخرف الدنيا، بل في كسر قيود الشحّ، وتحرير النفس من عبودية المال، وجعل الرزق سلّمًا إلى الله لا ستارًا يحجب عنه.

ومن يوق شحّ نفسه... فأولئك هم المفلحون.

# حين يختل ميزان العاطفة: كيف نوازن بين حب الأولاد وإخوة الدم وحق النفس؟

أصعب ما يمرّ به الإنسان أن يعيش سنوات عمره يعطي بلا حدود؛ يربّي أبناءه، ويتعب عليهم، وينفق ماله وجهده وسنين عمره، ثم يكتشف بعد كِبرهم أنهم يتنكرون له أو يقلّلون من قيمته، كأنهم يخشون أن يُنسب نجاحهم إليه أو أن يشاركهم طريقهم.

وهذا مؤلم؛ لأنه لا يوجد حبّ أعظم من حبّ الأب لأولاده، ولا جهد أعظم من جهد التربية والصرف وتعب السنين.

وفي المقابل، قد يواجه الإنسان موقفًا أشد قسوة مع إخوة الدم؛ يقف معهم في الأزمات، ويمدّ يده بالعون، ويشاركهم مصالح وأملاكًا مشتركة، ثم يفاجأ أنهم لا يرون إلا حقوقهم، وينكرون كل ما قُدّم لهم عبر السنين، وكأنك غريب لا تربطك بهم رابطة دم ولا عشرة.

وهنا يتضح أن العاطفة إذا لم تُضبط تحوّلت إلى نزيف داخلي.

## أولاً: التوازن مع الأولاد

- الاعتراف بالحدود: الأب يعطي ويُوجّه، لكنه لا يملك حياة أولاده بعد أن يكبروا. مهمتك أن تزرع، لا أن تُحاسب نفسك على حصادٍ لم يعد بيدك.
- حبّ بلا إذلال: أحب أبناءك وكن سندًا لهم، لكن لا تجعلهم يشعرون أن وجودك مشروط بخدمتهم لك أو بردّ الجميل.
- الاستقلال العاطفي: لا تنتظر منهم أن يملؤوا فراغك الداخلي. ابنِ حياتك الخاصة: نشاطك، وقتك، وعلاقاتك التي لا تعتمد عليهم وحدهم.
- التوجيه لا السيطرة: توازن الأبوة في الكِبر أن تكون مستشارًا يُصغون إليه، لا متحكمًا ينفّرهم.
- احترام الذات: إذا حاول الأبناء إشعارك بأنك عبء أو عار، فضع الحد فورًا. لهم حياتهم، ولك أيضًا كرامتك وحقك في التقدير.

## ثانيًا: التوازن مع الإخوة

- العدل قبل العاطفة: رابطة الدم عظيمة، لكن إذا غابت العدالة في الحقوق المالية أو المصالح المشتركة، فلا عاطفة تُعوّض. ضع اتفاقيات واضحة، ولا تتهاون في حقك.
- العطاء بحدود: ساعد إخوتك وقت الأزمات، لكن لا تسمح أن يتحول العطاء إلى استغلال دائم.
- الواقعية: بعض الإخوة لا يرون إلا أنفسهم؛ لا تبنِ توقعات عالية حتى لا تُصدم. أعطِ بقدرٍ لا يجرحك إن أُنكِر.
- التفريق بين المواقف: ميّز بين أخٍ يخطئ تحت ضغط الحياة، وآخر يجعل الأنانية مبدأ دائمًا. الأول يُعذر، والثاني يُحدّ من تأثيره عليك.
- حماية النفس: إذا كانت العلاقة لا تعطيك إلا الألم والجحود، فضع مسافة، وركّز على من يبادلك الاحترام.

## ما بين الأولاد والإخوة: أين نفسك؟

الحبّ للأبناء، والبرّ بالإخوة، لا يعني إلغاء النفس. التوازن الصحيح يقوم على ثلاث دوائر:

- دائرة النفس: كرامتك، صحتك، استقلالك.
- دائرة الأبناء: الحبّ والرعاية والتوجيه بقدر، دون استنزاف.
- دائرة الإخوة: العدل والمساندة عند الحاجة، دون التنازل عن الحقوق.

إذا انكسرت دائرة النفس فلن تنجح الدائرتان الأخريان.

## القاعدة الذهبية

- مع الأولاد: أحب بلا قيد، لكن لا تُسلّم حياتك كلها بين أيديهم.
- مع الإخوة: ساند وقت الشدّة، لكن لا تترك حقك مهما كان بسيطًا.
- مع نفسك: أنت الأصل؛ ومن دونك لا قيمة لأي علاقة.

## الخاتمة

في عمر النضج والخبرة، ليس المطلوب أن نتوقف عن الحبّ والعطاء، بل أن نمنح بوعي، ونوازن بين القلب والعقل. فالحياة قصيرة، ولا تحتمل أن تُهدر في علاقات غير متوازنة، أو في انتظار امتنانٍ قد لا يأتي.

هذه خلاصة تجربة شخصية امتدّت لعقود؛ أقدّمها صوتًا لكل أبٍ أو أخٍ عاش مثل هذه التجربة، ليجد توازنه العاطفي من جديد بلا إفراط ولا تفريط.

# أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا؟ لا يستوون

جاءت هذه الآية الكريمة من سورة السجدة لتعلن حقيقة خالدة: المؤمن والفاسق لا يمكن أن يتساويا، لا في الدنيا ولا في الآخرة. قال الله تعالى:

(أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لاَ يَسْتَوُونَ)

[السجدة: 18]

## المعنى الواضح للآية

تحمل الآية سؤالاً استنكاريًا بليغًا، لا يُراد به الاستفهام، بل تقرير حقيقة لا تقبل الجدل.

- المؤمن: هو من آمن بالله وخضع لأوامره، يعيش حياته على نورٍ من ربه، يستمدّ توجيهه من الوحي، ويزن أفعاله بميزان الحلال والحرام.
- الفاسق: هو من أعرض عن طاعة الله، وتجاوز حدوده، واتّبع شهواته، فصار أسير رغباته لا قائدًا لنفسه.

وجاء الجواب الإلهي حاسمًا لا يحتمل التأويل: لا يستوون.

## الفرق بين المؤمن والفاسق في الحياة

يظهر التفاوت بين الطريقين في جوانب عديدة من الحياة، من أهمها:

- في القلب والراحة النفسية: المؤمن يعيش طمأنينة نابعة من الثقة بالله، أما الفاسق فيعيش قلقًا دائمًا مهما تزيّنت حياته.
- في الرزق والمعيشة: قد يتساويان ظاهرًا في المال، لكن البركة، والقناعة، والرضا، تكون حليف المؤمن.

- في البلاء والمحن: المؤمن يرى البلاء تربية ورفعة، بينما يراه الفاسق نقمة وسخطًا.
- في النظر إلى الأقدار: المؤمن يُسلّم ويصبر ويحتسب، والفاسق يجزع ويعترض ويضيق صدره.

## الفرق في المصير

لا يقتصر الاختلاف على الدنيا، بل يمتد إلى المصير الأبدي:

- المؤمن: له عند الله وعد كريم بالجنة والرضوان، والنجاة والفوز العظيم.
- الفاسق: له الوعيد بالعذاب والحرمان، إن لم يتب ويرجع إلى الله.

فهما خطّان متباينان لا يلتقيان: نور وظلمة، طمأنينة وقلق، فوز وخسران.

## رسالة الآية لنا

تضعنا هذه الآية أمام الحقيقة بلا مواربة: الإيمان هو سرّ السعادة في الدنيا، والنجاة في الآخرة.

من اختار طريق الإيمان:

- عاش في رعاية الله،
- ورأى بركة في عمره ورزقه وأهله،
- وسار في حياته بنورٍ يهديه.

ومن اختار طريق الفسق:

- عاش في ضيق الصدر،
- وتخبّط في قراراته،
- وخسر دنياه وآخرته.

# الخاتمة

(أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لاَ يَسْتَوُونَ)

إنها صرخة إلهية توقظ القلوب، لتذكّرنا أن الفرق بين الطريقين كالفرق بين السماء والأرض، وأنّه لا يمكن أبدًا أن يستوي النور والظلام.

# الجمال الحقيقي هو جمال الأخلاق

يظنّ كثير من الناس أن الجمال هو ما تراه العين من حسن الملامح وتناسق الخِلقة، غير أن التجربة الإنسانية تثبت لنا يومًا بعد يوم أن الجمال الظاهر، مهما بلغ به الإتقان، لا يساوي شيئًا إذا لم يكن وراءه جمالٌ آخر أعمق وأبقى: جمال الأخلاق.

فالإنسان قد يُبهرنا بوجهٍ مشرق، أو هيئةٍ متناسقة، أو لمسةٍ من جمالٍ ربّاني ظاهر، فنميل إليه ونسعى للتقرب منه. لكن ما إن يبدأ التعامل الحقيقي حتى تنكشف البواطن؛ فإذا كان سيّئ الخلق، كاذبًا، غليظ القلب، أو أنانيًا، فإن تلك الصورة الجميلة تنهار سريعًا في أعيننا. وما كنا نراه حسنًا يصبح منفّرًا، بل قد يبعث مجرد حضوره في النفس ضيقًا واشمئزازًا، لأن الجمال الظاهر تلطّخ بقبح الأخلاق.

وعلى النقيض تمامًا، قد نصادف رجلاً أو امرأة لا حظّ لهما من جمال الخِلقة، فلا يلفتان النظر في المظهر. لكن حين نخالطهما، نجد لطف المعشر، وكرم العطاء، وصدق القول، ونقاء السريرة، ورحمةً تفيض على من حولهما. عندها ينعكس هذا الصفاء الداخلي على صورتهما في أعيننا، فنراهما من أجمل الناس، ونأنس بلقائهما، ونفرح برؤيتهما؛ لأن الجمال الحقيقي لم يكن في قسمات الوجه، بل في نقاء القلب وحُسن الخُلُق.

## الأخلاق مرآة الروح

الجمال الظاهري قد يخدع البصر لحظة، أما جمال الأخلاق فهو الذي يلامس القلب ويستقر في الذاكرة والوجدان. وهو الجمال الذي لا يزول بمرور السنين، ولا يتأثر بتغيّر الملامح، بل يزداد إشراقًا كلما طالت المعاشرة وازدادت التجربة.

وقد قال رسول الله :

«أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلُقًا».

فالخلق الحسن ليس ترفًا اجتماعيًا ولا زينة إضافية، بل هو قِوام الإنسانية وروحها، وهو الميزان الذي يرفع قيمة الإنسان أو يُنقصها، مهما بلغ من جمالٍ أو مالٍ أو مكانة.

## الخاتمة

الجمال الحقيقي لا يُشترى بمستحضرات، ولا يُمنح بملامح، إنما هو ثمرة روحٍ طيبة، وقلبٍ نقي، ولسانٍ صادق، ويدٍ كريمة.

فكن جميلاً بأخلاقك، تكن أجمل في عيون الناس من كل صورةٍ تُرسم، أو مظهرٍ يُشاد به.

# سايكس بيكو العائلة العربية

في التاريخ الحديث، كانت اتفاقية سايكس بيكو مثالاً صارخًا على كيفية صناعة الانقسامات بين الشعوب والأمم عمدًا من قبل المستعمرين، خصوصًا عند منح الاستقلال. كان الهدف إشعال النزاعات بين الأطراف المختلفة لتسهيل السيطرة على الموارد، فكانت النتيجة صراعات طويلة الأمد وتشتتًا في المجتمعات.

وفي مشهدٍ موازٍ ولكن على نطاقٍ أصغر، نشهد اليوم ما يمكن تسميته بـسايكس بيكو العائلة العربية؛ حيث يغيب الوضوح في الحقوق داخل كثير من العائلات، خصوصًا في مسائل الميراث وتقسيم الممتلكات، فتتحول البيوت الواحدة إلى ساحات نزاع بين الإخوة، وقد تمتد آثارها إلى الأجيال التالية.

## النية الحسنة لا تكفي

يظنّ كثير من الآباء والأمهات أن محبة الأبناء ووحدتهم كفيلة بضمان استمرار المودة بعد وفاتهم، فيتركون الأمور مبهمة بلا توثيق ولا وصية واضحة. غير أن الواقع يثبت أن هذه النية الحسنة، بعد رحيلهم، قد تنقلب إلى خلافات مريرة تصل أحيانًا إلى القطيعة والعداوة، وتُورَّث كما تُورَّث الممتلكات.

## قصة من الواقع

عاصرتُ مشكلة مؤلمة تخص أقرباء لي، تلخص جوهر هذه الإشكالية:

- أحد الأطراف يطالب بحقه الشرعي في الميراث كما جاء في كتاب الله، وهو محق في ذلك.
- الطرف الآخر يقول: ``75% من هذا العقار هو من مالي وتعب يدي، رغم أنه مسجل باسم والدي''، ويطالب بالاعتراف بجهده على الأقل في جزء مما يملكه، وهو سطح المنزل.

وصلت القضية إلى المحاكم، وبقيت منظورة أكثر من خمس عشرة سنة دون حسم؛ لأن الشرع والقانون ينصان على أن الملكية المسجلة باسم الأب تدخل في الميراث، بينما يتمسك الطرف الآخر بجهده وتعبه الذي لم يُوثّق بعقد أو اتفاق مكتوب.

## التسامح والوصية بالبر

إذا أوصى أحد الوالدين بالتسامح، أو بمنح جزء من ميراثه لأحد الأبناء، فإن الخلق والدين والإحسان يفرضان على الأبناء تنفيذ هذه الوصية ما دامت في حدود الشرع. أما إذا لم تُنفّذ، فإن العدل الشرعي والقانوني يبقى ملزمًا، لكن البرّ والإحسان يضيعان.

ولهذا يجب الموازنة بين أمرين:

- العدل: الالتزام بالحكم الشرعي والقانوني.
- البرّ والإحسان: تنفيذ وصايا الوالدين، أو التسامح بما يرضي الله ويحفظ المودة.

## كيف نحل هذه المعضلة؟

### شرعًا

الحكم واضح: ما بقي باسم الأب أو الأم وقت الوفاة فهو ميراث يُقسّم كما أمر الله تعالى.

### أخلاقيًا وإنسانيًا

من البرّ والرحم والعدل الاعتراف بفضل من ساهم وتعب، سواء ماديًا أو جسديًا، في إنشاء الممتلكات، وتنفيذ وصايا الوالدين بالإحسان ما أمكن.

وفي مثل هذه الحالات، يكون:

- الأخلاق أولاً: فلا يجوز أن يطغى المال على صلة الدم.
- الاعتراف بالفضل ثانيًا: شكر من قدّم وساهم واجب، حتى لو لم تُوثّق مساهمته رسميًا.
- الرحم قبل كل شيء: فلا قيمة لعقار أو ميراث إذا تحوّل إلى قطيعة وعداوة.

## العدل لا يسبق دائمًا التراحم

العدل مهم، لكنه وحده لا يكفي لبقاء العلاقات الإنسانية متماسكة. وقد وصف الله المؤمنين بقوله:

(أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)

[الفتح: 29]

فالمؤمن الحق يقدّم التراحم وصلة الرحم، ويعلم أن التسامح والاعتراف بفضل الآخرين قد يكون أحيانًا أرفع شأنًا من الوقوف عند حرفية القانون أو تفاصيل الفريضة، إذا كان في ذلك حفظ للمودة وصون للرحم.

## أفضل الطرق لتجنّب النزاعات داخل العائلة

### 1. الوضوح والتوثيق

لا يكفي العلم الشفهي؛ بل يجب كتابة العقود وتوثيقها رسميًا. والوصايا يجب أن تكون شرعية، موثقة، ولا تتجاوز الثلث إلا برضا الورثة.

### 2. الفصل بين الميراث والجهد الشخصي

- ما كان باسم الأب أو الأم وقت الوفاة يدخل في الميراث.
- ما كان ناتجًا عن جهد الأبناء أو شراكتهم يجب فصله وتوضيحه قبل الوفاة.

### 3. الاستشارة الشرعية والقانونية

من الحكمة أن يجلس الوالدان مع عالم دين ومحامٍ قبل الوفاة لتوضيح الحقوق، تفاديًا لظلم أو نزاعات يصعب حلها لاحقًا.

### 4. القيم الأخلاقية

- غرس مفهوم أن المال وسيلة لا غاية.
- تذكير الأبناء بأن صلة الرحم فوق أي مال أو ميراث.
- تعليمهم أن التنازل أحيانًا خير من النزاع، وأن البركة في الرضا لا في كثرة المال.

## الخلاصة

كما فرّقت سايكس بيكو بين الشعوب عمدًا، قد يفرّق غياب الوضوح في الحقوق بين الإخوة عن طريق الغفلة أو حسن النية. الحل يبدأ من الوالدين: الوضوح + التوثيق + الالتزام بالشرع. ويستمر بعد الوفاة من الأبناء: التسامح + الاعتراف بالفضل + تنفيذ الوصايا بالإحسان + الحفاظ على صلة الرحم.

بهذا فقط نحفظ المودة، ونتجنّب أن تتحول العائلة الواحدة إلى ساحة نزاع داخلي أشد قسوة من أي مؤامرة خارجية.

# فن التوازن العاطفي: كيف تحب من تحب دون أن تفقد نفسك

الحب من أسمى المشاعر التي يملكها الإنسان، لكنه في الوقت نفسه قد يكون سلاحًا ذا حدّين؛ إمّا أن يمنحك السعادة إذا كان متبادلاً ومتوازنًا، وإمّا أن يتحول إلى جرحٍ داخلي إذا فُرِّط فيه أو وُجِّه لمن لا يقدّره. ومن هنا تأتي أهمية فنّ التوازن في الحب والعاطفة.

## التوازن مع من نحب

يظهر أثر الحب الحقيقي عندما يقابله الطرف الآخر بالفرح والأنس، سواء كان زوجةً، أو ابنًا، أو ابنةً، أو أخًا، أو صديقًا، أو حتى زميل عمل. هذا النوع من الحب يمنح الطرفين طاقة إيجابية، ويقوّي الروابط ويعمّق المودّة.

لكن على الجانب الآخر، قد يجد الإنسان نفسه يحب شخصًا لا يبادله الاهتمام، أو يتجنّبه رغم صدق مشاعره. وهنا تظهر الحاجة إلى الحكمة؛ فلا يُفرض القرب على من لا يريده، ولا يُبالَغ في إظهار العاطفة حتى لا تضيع الكرامة.

التوازن لا يعني الجفاء ولا القسوة، بل يعني احترام الذات أولاً، ثم احترام رغبة الطرف الآخر، وعدم إزعاجه بما لا يرغب فيه.

## كرامة الإنسان فوق كل شيء

كرامة الإنسان أعزّ ما يملك. فحتى مع الابن الذي رُبّي وبُذل في سبيله العمر والجهد، قد يظهر جفاء أو بعد غير مبرر. وغالبًا ما تكون هذه المشاعر نتاج تراكمات نفسية من الطفولة والتربية، تترسّب دون وعي.

وقد لا يدرك الابن قيمة ما فاته أو خطأ ما صدر عنه إلا حين يكبر ويصبح أبًا، فيذوق من الكأس نفسه الذي سقاه لوالده.

في مثل هذه الحالات، قد يكون العدل أن يُخفَّف إظهار العاطفة:

- لا لأن الحب انطفأ،

- بل حتى لا يزداد النفور،
- ولحماية التوازن الداخلي وصون الكرامة.

## مبدأ التوزيع العاطفي

يعلّمنا الإيمان ترتيب الأولويات في العاطفة، حتى لا تختل الموازين:

- حبّ الله ورسوله: في المرتبة الأولى، فهو الحب الذي يوجّه سائر المشاعر ويضبطها.
- حبّ النفس وصون الكرامة: لأن من فقد توازنه مع ذاته لا يستطيع أن يوازن مع غيره.
- حبّ الآخرين بعدل: عطاءٌ بمقدار ما يُقابل من ودّ، دون إفراطٍ يُهدر الكرامة، ولا تفريطٍ يُقسي القلب.

## الخلاصة

التوازن في العاطفة ليس قسوةً ولا جفاءً، بل هو فنّ وحكمة تحفظ القلب من الانكسار، وتحمي الكرامة من التنازل.

وبالحب المتوازن:

- نعيش حياة أصفى وأعدل،
- ونصون مشاعرنا من الاستنزاف،
- ونجعل العاطفة قوةً لنا لا عبئًا علينا.

# طريق العلم في زمننا: دروس من أئمة الأمة

إن طلب العلم في زمننا يختلف في أدواته ووسائله، لكنه لا يختلف في جوهره؛ فهو طريق الجدّ والمثابرة والتواضع، لا طريق الكسل ولا ساحة التفاخر. كل إنجاز علمي، وكل معرفة، وكل مشروع أو بحث ناجح، إنما هو أولاً بتوفيق الله وتسخيره للأسباب، ثم ثمرة اجتهادٍ صادقٍ ومثابرة طويلة.

فالعلم عبادة بالنية والعمل، ومن ظنّ أن هذا الطريق يُسلك بالراحة أو الغرور، فقد أساء فهم حقيقته، وضيّع ثمرته قبل أن يبلغها.

## طالب العلم في عصرنا

طالب العلم اليوم، سواء في الجامعة، أو في مسارات التعلّم الذاتي، أو في البحث العلمي، يحتاج إلى روحٍ ثابتة تقوم على:

- التواضع في السؤال،
- الصبر على التعلّم،
- المثابرة في البحث،
- وعدم الخجل من الاعتراف بقلة المعرفة.

فلا ينبغي له أن يتردد في البحث عن المعلّم الأعلم، أو المصدر الأوثق. وإن صُدّ مرة، فليُعاود المحاولة، وإن لم ينجح في طريق، فليبحث عن طريق آخر. فالفهم الحقيقي لا يولد من المحاولة الأولى، بل من الصبر والتكرار وتعدد السبل.

## دروس من التاريخ: الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل

في تاريخ أئمة الأمة قدوة خالدة لمن أراد أن يفهم معنى طلب العلم حقًّا.

### الإمام الشافعي

منذ صغره، لم يكتفِ الإمام الشافعي بما تعلمه في مكة، بل رحل إلى المدينة ليلتقي بالإمام مالك بن أنس، وحفظ الموطأ عن ظهر قلب. ثم ارتحل بعد ذلك إلى العراق ومصر، ليتعرّف على علم أهل الرأي، رغم مشقّة السفر وقلة ذات اليد.

لم يضع حدودًا لطموحه العلمي، ولم يرضَ بالسطحيات، بل كان يبحث عن العمق والفهم والتحقيق، حتى صار علمه مدرسة قائمة بذاتها.

### الإمام أحمد بن حنبل

أما الإمام أحمد بن حنبل، فقد ضرب مثالاً أعظم في الصبر والمثابرة؛ إذ سافر إلى اليمن ليستمع إلى حديثٍ واحدٍ من عبد الرزاق الصنعاني. تحمّل مشاق السفر، وسلك الطرق الوعرة، ولم يكلّ أو يتراجع، حتى جمع علمه ودونه، فصار مرجعًا للأمة عبر القرون.

## الاقتداء في عصرنا

وهكذا يمكن لطالب العلم اليوم أن يقتدي بهم، ولو اختلف الزمان:

- بالانتقال إلى جامعات أو معاهد متخصصة،
- بحضور المؤتمرات العلمية،
- بالبحث عن أساتذة مميزين،
- وطلب المعرفة من كل مصدر موثوق.

قد لا يكون الطريق سهلاً، وقد يطول، لكنه الطريق الوحيد لتكوين عالمٍ حقيقيّ ينفع مجتمعه وأمته.

## العلم بين التواضع والغرور

العلم الحق يقترن بالتواضع. كلما ازداد الإنسان علمًا، ازداد خشوعًا وإدراكًا لسعة ما يجهل. وقد شبّه الحكماء العالم الصادق بالسنبلة الممتلئة بالحب؛ تنحني من ثقل ما تحمل، بينما الفارغة تنتصب لأنها بلا وزن.

أما من يحمل قليلاً من العلم ويتزيّن به غرورًا، فيتصرف بتعالٍ، ويظن نفسه فوق الناس، فهو في الحقيقة عبء على نفسه ومجتمعه، ويُنتج أجيالاً تهتم بالمظاهر دون الجوهر، فيضعف البناء العلمي للأمة تدريجيًا.

## خلاصة للجيل المعاصر

طريق العلم لا يسلكه الكسالى، ولا يثمر مع المتكبرين. إنما هو طريق من امتلكوا:

- الصدق في الطلب،
- والإخلاص في النية،
- والتواضع في السؤال،
- والصبر على المشقة.

العلم يحتاج إلى بذل، وإلى البحث عن المصادر الحقيقية والمعلمين الصادقين، حتى لو تطلب ذلك سفرًا، أو جهدًا إضافيًا، أو مواجهة صعوبات. وهؤلاء هم الذين يرفعهم الله، ويجعلهم مشاعل هدى لأمتهم.

أما من طلب العلم للظهور أو المكانة الزائفة، فلن يحصد إلا الخيبة، وسيصبح عبئًا على نفسه ومجتمعه.

## الخاتمة

قال الله تعالى:

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ)

وقال سبحانه:

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

فلتكن رحلتك في طلب العلم رحلة إخلاص، وتواضع، ومثابرة، ليستعيد العلم مكانته الحقيقية في حياتك، وفي حياة أمتك.

# هل يمكن أن تنشأ زراعة صحية للفواكه والخضروات الأساسية مهما غلا سعرها؟

في زمنٍ أصبحت فيه المزارع الصناعية الضخمة تهيمن على أسواق العالم، وتتحكم في غذاء الإنسان من البذرة حتى الطبق، يبرز سؤال أخلاقي وصحي ملحّ:

> هل ما زال بالإمكان أن نحلم بزراعة نظيفة وصحية، تنتج فواكه وخضروات طبيعية خالية من التلاعب الوراثي ومن الهرمونات الكيميائية، لتكون طعامًا آمنًا لأولئك الذين لا يتحملون سوى الغذاء النقي بطبيعته الأصلية؟

لقد أصبحت الأغذية المعدّلة وراثيًا (GMO)، والأغذية المعطاة بالهرمونات، أمرًا شائعًا في الأسواق العالمية، بهدف زيادة الإنتاج وتقليل الكلفة وتحسين الشكل التجاري للمنتجات. غير أن الثمن الذي يدفعه الإنسان من صحته --- خصوصًا المرضى الذين يعانون من حساسية مزمنة أو اضطرابات في جهاز المناعة أو الهضم --- هو ثمن قاسٍ ومؤلم.

فهؤلاء المرضى يجدون أنفسهم في مواجهة غير متكافئة مع عالم غذائي مصنّع لا يرحم.

## الزراعة الصحية: ضرورة لا ترف

إن تأسيس زراعة صحية بديلة لهؤلاء الناس ليس ترفًا، ولا مشروعًا تجاريًا هامشيًا، بل هو مسؤولية إنسانية وأخلاقية.

فهل يمكن تحقيق ذلك؟

الجواب: نعم، ولكن بشروط دقيقة وإرادة جماعية حقيقية.

## 1. الزراعة العضوية ليست كافية وحدها

تمثل الزراعة العضوية (Organic Farming) خطوة مهمة في الاتجاه الصحيح، لكنها لا تضمن دائمًا نقاء المنتج ما لم تُدار وفق معايير صارمة تتبّع دورة الإنتاج كاملة: من التربة، إلى الماء، إلى البذور، ثم التخزين والنقل.

فكثير من المنتجات التي تُسوّق اليوم على أنها ``عضوية'' تُزرع في تربة ملوّثة، أو تُروى بمياه تحتوي على بقايا مبيدات ومواد كيميائية، مما يفقدها جوهر النقاء المطلوب.

## 2. إنشاء مزارع مصغّرة مخصّصة للمرضى

من الحلول العملية الممكنة إنشاء مزارع مصغّرة، مجتمعية أو منزلية، تعتمد على:

- الزراعة المائية،
- البيوت الزجاجية،
- أنظمة الزراعة المغلقة.

تُزرع في هذه المزارع أنواع محددة من الخضروات والفواكه لمرضى الحساسية والغذاء النقي، تحت إشراف مشترك بين أطباء التغذية والمهندسين الزراعيين والجهات الصحية.

مثل هذه المشاريع لا تحتاج مساحات شاسعة، لكنها تحتاج وعيًا علميًا، وتنظيمًا دقيقًا، وتعاونًا صادقًا.

## 3. الدعم الحكومي والخيري

هنا يأتي الدور الحاسم للمؤسسات الصحية والحكومات، من خلال:

- تخصيص منح مالية لمشروعات الزراعة الصحية،
- توفير أراضٍ أو مرافق إنتاج،
- دعم هذه المبادرات كما تُدعم مصانع الأدوية أو مراكز علاج الأمراض المزمنة.

فالغذاء الآمن ليس رفاهية، بل جزء من العلاج ذاته.

## 4. وعي المستهلك هو نقطة البداية

إذا لم يطالب الناس بغذاء نقي، فلن يتحرك السوق.

التغيير الحقيقي يبدأ من وعي المستهلك، ومن رفض شراء المنتجات مجهولة المصدر أو المشبعة بالهرمونات والتعديل الوراثي.

وحين تتحول عبارة:

``خضروات نقية خالية من الهرمونات والتعديل الوراثي''

إلى مطلب شعبي، فإن السوق سيتغيّر، وسيتحوّل هذا المطلب إلى قوة اقتصادية تدفع المزارعين نحو الجودة والنقاء بدلاً من الكمية والمظهر.

## 5. غذاء الإنسان هو دواؤه

لقد أثبتت دراسات عديدة أن بعض أنواع الحساسية المزمنة ليست خللاً في جهاز المناعة فقط، بل هي رد فعل طبيعي لجسم سليم ضد غذاء غير طبيعي.

وحين نعيد الإنسان إلى غذائه الفطري، فإننا:

- نمنحه شفاءً قبل أن نمنحه طعامًا،
- ونخفف العبء عن الأجهزة الطبية،
- ونعيد التوازن الطبيعي للجسد.

## الخاتمة

إن إنشاء زراعة صحية للفواكه والخضروات الأساسية --- مهما ارتفع ثمنها --- هو مشروع للإنسان أولاً، لا للتجارة.

إنه استثمار في صحة الأجيال القادمة، وإعلان رفضٍ للتلاعب بالطبيعة التي صمّمها الله على أكمل وجه.

فلنمتلك الشجاعة أن نزرع القليل النقي، بدلاً من الكثير الملوّث. ولنزرع من جديد ``الغذاء الذي يشفي''، لا ``الغذاء الذي يمرض''.

# سورة الفاتحة: كلمات للهداية والخشوع في كل ركعة

سورة الفاتحة، أمّ الكتاب، هي الركن الأساسي في الصلاة، فلا تصح صلاةٌ بدونها. وقد شاء الله أن يرددها المسلم في كل ركعة، لتكون تذكيرًا دائمًا بالعبودية له، والتوكل عليه، وطلب الهداية في كل لحظة من لحظات الحياة.

في سبع آيات قصيرة، جمعت الفاتحة جوهر العقيدة، وروح العبادة، ومعاني الخشوع والطمأنينة، حتى أصبحت مدرسة يومية يتربى فيها القلب والعقل معًا.

## 1. الحمد لله رب العالمين

كلمة الحمد تعني الشكر والثناء والاعتراف بالفضل، وهي تذكير للنفس بأن كل خير، وكل نجاح، وكل نعمة، مصدرها الله وحده.

أما ربّ العالمين، فتعني أن الله هو المالك والمدبّر والمتصرف في كل شيء، في الدنيا والآخرة. تكرار هذه الآية في كل ركعة يعلّم المسلم:

- التواضع أمام نعم الله،
- شكر المنعم في السراء والضراء،
- عدم الاغترار بالنفس أو الأسباب.

## 2. الرحمن الرحيم

الرحمن يدل على رحمةٍ عامةٍ وسعت كل الخلق، والرحيم يدل على رحمةٍ خاصةٍ بالمؤمنين، ملازمة لهم في كل أحوالهم.

قراءة هذه الآية في كل ركعة تغرس في القلب:

- الطمأنينة،
- الشعور بقرب الله،

- الثقة بأن الرحمة تسبق العقوبة.

وهي علاجٌ روحيٌّ للخوف والقلق واليأس.

## 3. مالك يوم الدين

تذكيرٌ حاسم بأن الله هو الملك والقاضي في يوم الحساب، حيث تُردّ الحقوق وتُوزن الأعمال.

هذه الآية تربي في النفس:

- الشعور بالمسؤولية،
- مراقبة الله في السر والعلن،
- التحرر من الخوف من البشر.

فلا سلطان حقيقي إلا لله، ولا عدل كامل إلا عدله.

## 4. إياك نعبد وإياك نستعين

هذه الآية هي قلب الفاتحة، وجوهر العبودية.

- إياك نعبد: إخلاص العبادة لله وحده بلا شريك.
- وإياك نستعين: طلب العون والقوة والتوفيق منه وحده.

تكرار هذه الكلمات في كل ركعة يعلّم المسلم أن:

القوة الحقيقية ليست في المال ولا في الجاه، بل في الاستعانة بالله.

## 5. اهدنا الصراط المستقيم

الهداية ليست مرحلة تُنجز مرة واحدة، بل حاجة مستمرة.

في كل ركعة، يطلب المسلم:

- هداية الفكر،
- هداية السلوك،
- هداية القرار.

وهذا الدعاء يعلّمه مراجعة نفسه باستمرار، وتصحيح مساره قبل أن ينحرف.

## 6. صراط الذين أنعمت عليهم

دعاءٌ بالاقتداء بطريق الصالحين، الذين جمعوا بين:

- الإيمان الصحيح،
- العمل الصالح،
- الثبات على الحق.

وهو تذكير بأن النجاح الحقيقي يكون بالاقتداء، لا بالابتداع في الدين أو الأخلاق.

## 7. غير المغضوب عليهم ولا الضالين

### التفسير التاريخي

ذكر بعض المفسرين أن المغضوب عليهم هم من عرفوا الحق ولم يعملوا به، والضالين هم من ضلوا الطريق بغير علم.

### المعنى الروحي العام

تشمل الآية كل طريقٍ يُبعد الإنسان عن الحق، سواء بالعناد أو الجهل أو اتباع الهوى.

وفي الصلاة اليومية، هي تربية للنفس على:

- تجنب الغضب الإلهي،
- الحذر من الانحراف،
- تجديد العهد مع الله على الاستقامة.

## أهمية التدبر والخشوع

جعل الله قراءة الفاتحة في كل ركعة تدريبًا دائمًا للقلب على الاتصال به.

فالصلاة بلا تدبر كلمات، أما الصلاة بالفاتحة المتدبّرة فهي:

- طمأنينة للنفس،
- تصحيح للمسار،
- تجديد للعهد مع الله.

## الخلاصة

سورة الفاتحة ليست مجرد افتتاح للقرآن، بل هي مفتاح الصلاة وحياة المؤمن الروحية.

كل كلمة فيها تُعيد توجيه القلب نحو:

- الشكر،
- التواضع،
- الإخلاص،
- التوكل،
- طلب الهداية.

وقراءتها في كل ركعة تجعل الصلاة صلةً حيّةً بالله، وتُعلّم الإنسان كيف يعيش عبدًا شاكرًا، مطمئنًا، مستعينًا بربه في كل أيامه.

# من المهارة إلى الاستقلال: كيف تبني عملك الخاص وتتحرر من التبعية للوظيفة

في عالمٍ تتسارع فيه التحولات الاقتصادية والتقنية، أصبحت المهارة رأس المال الحقيقي، وأصبح بإمكان الفرد أن يصنع من تخصصه مهنةً حرة تدرّ عليه دخلاً مستقرًا، بل وتفتح له باب بناء مشروع مستدام بعيدًا عن التبعية للوظيفة والمرتب الشهري. لكن هذا التحول لا يأتي بالعشوائية، بل عبر خطوات استراتيجية واضحة، أثبتت نجاحها في تجارب رواد الأعمال حول العالم، وخاصة في بيئات اقتصادية متنوعة مثل السعودية والإمارات وسوريا ومصر.

## أولاً: إعادة تعريف الذات والمهارة

الخطوة الأولى تبدأ من الداخل: قبل التفكير في السوق أو التمويل، عليك أن تجيب على سؤال جوهري:

> ما المهارة التي أملكها، وكيف يمكن تحويلها إلى قيمة يحتاجها الناس؟

في السعودية والإمارات، حيث تتسارع التحولات الاقتصادية نحو الاقتصاد الرقمي، نرى آلاف المبرمجين والمصممين والمستشارين المستقلين الذين بدأوا بمهنة صغيرة ثم تحولت إلى شركة ناشئة. وفي سوريا ومصر، رغم التحديات الاقتصادية، برزت نماذج شابة استخدمت مهارات بسيطة --- كالترجمة، أو التصميم، أو تطوير المواقع --- لتبني مصدر دخل دائم عبر الإنترنت أو من خلال خدمات محلية.

المهارة وحدها لا تكفي. يجب أن تتحول إلى منتج أو خدمة قابلة للبيع. فالفنان الذي يرسم بلا خطة سيبقى هاويًا، أما من يحول رسمه إلى لوحات رقمية تُباع على الإنترنت فقد بدأ مشروعه.

## ثانيًا: دراسة السوق بدقة

النجاح لا يقوم على الموهبة فقط، بل على فهم الحاجة. اسأل نفسك:

- من هم الذين يحتاجون خدمتي؟

- ما المشكلة التي أستطيع حلها لهم؟
- كيف أميز نفسي عن الآخرين في نفس المجال؟

في السعودية والإمارات هناك تركيز متزايد على التحول الرقمي وريادة الأعمال، مما يعني فرصًا واسعة في مجالات التقنية، التسويق الإلكتروني، المحتوى، التعليم الإلكتروني، والذكاء الاصطناعي. أما في سوريا ومصر فالفرص تكمن غالبًا في الخدمات منخفضة التكلفة التي يمكن تصديرها عبر الإنترنت: البرمجة، التصميم، التسويق الرقمي، التدريب عن بعد، وحتى إدارة الحسابات.

## ثالثًا: بناء الهوية المهنية والعلامة الشخصية

في زمن الإنترنت، الهوية الرقمية هي رأس مالك. أنشئ ملفًا احترافيًا على منصات مثل:

- LinkedIn لعرض خبراتك وشهاداتك،
- Behance أو GitHub لعرض أعمالك إن كنت مصممًا أو مبرمجًا،
- صفحة شخصية أو موقع بسيط يعرّف بك وبخدماتك.

رواد الأعمال الناجحون لم يبدأوا برأس مال مالي، بل برأس مال ثقة. وهذه الثقة تُبنى من خلال الشفافية، الالتزام، وجودة العمل.

## رابعًا: العمل الحر كمرحلة انتقالية

لا تترك الوظيفة فورًا. ابدأ ببناء عملك الخاص وأنت على رأس عملك الحالي. خصص وقتًا ثابتًا يوميًا أو أسبوعيًا لتقديم خدماتك الحرة أو تطوير منتجك. خلال هذه المرحلة ستتعلم:

- التعامل مع العملاء،
- إدارة الوقت،
- التسعير،
- تحقيق التوازن بين الدخل الثابت والتجربة الجديدة.

وعندما يصبح دخلك من العمل الخاص مستقرًا ومتناميًا، تكون قد امتلكت الشجاعة المدعومة بالمنطق لاتخاذ الخطوة التالية: الاستقلال الكامل.

## خامسًا: تأسيس المشروع رسميًا وتوسيع النطاق

في السعودية والإمارات تتوافر بيئة داعمة للمشاريع الصغيرة والمتوسطة، سواء عبر:

- هيئة المنشآت الصغيرة والمتوسطة (منشآت) في السعودية،
- صندوق محمد بن راشد لدعم المشاريع في الإمارات،

وهي مؤسسات تقدم الدعم المالي والإداري والتدريبي مجانًا أو بأسعار رمزية.

أما في سوريا ومصر، ورغم محدودية الدعم الرسمي، فإن الإنترنت فتح الأبواب: يمكنك تأسيس عملك عبر منصات رقمية، واستهداف عملاء من الخارج، مما يحوّلك تدريجيًا من عامل مستقل إلى صاحب علامة تجارية صغيرة.

## سادسًا: التعلم المستمر وإدارة المخاطر

أكثر ما يميز الناجحين هو التطور المستمر. احرص على متابعة التطورات في مجالك، وتعلم أدوات جديدة، وشارك في مجتمعات مهنية. وفي الوقت ذاته، لا تضع كل بيضك في سلة واحدة؛ نوّع مصادر الدخل:

- منتج رقمي،
- تدريب،
- خدمة استشارية،
- شراكة مع زميل،
- وغيرها من المسارات.

## سابعًا: من الفرد إلى الفريق

التحرر من الوظيفة لا يعني العمل وحدك إلى الأبد. عندما ينجح مشروعك ويكبر ستحتاج إلى فريق يدعمك في التسويق، الإدارة، أو التنفيذ. هنا تنتقل من عامل حر إلى رائد أعمال --- وهي النقلة الكبرى التي تعني أنك لم تعد تبيع وقتك، بل تدير منظومة تنتج المال من المهارة التي بدأت بها.

## ثامنًا: الإيمان بالهمة والطموح رغم الصعوبات

ذوو الهمة العالية والطموح الكبير يمكنهم --- حتى من بيوتهم --- أن ينتزعوا فرصًا حقيقية في ظل الثورة الرقمية والإنترنت. فمن يملك مهارة واحدة فقط، ويعمل بخطة واضحة، وإصرار، وتصحيح دائم لأخطائه، سيصل إلى الاستقلال المالي بخطوات واقعية مبنية على الجد والاجتهاد. هذا هو التحرر العملي من التبعية: ليس أحلامًا خيالية، بل مسار واقعي قابل للتحقيق.

ومن هذا المنطلق كتبت هذا الكتيب الذي صدر مؤخرًا بعد فترة طويلة من الإحباط، إذ كنت ألاحظ ضعف التفاعل مع إنتاجي العربي مقارنة بما أكتبه في مجالات أخرى. لكن المفاجأة أن هذا الكتيب وجد إقبالاً غير عادي خلال أيام قليلة، وترك أثرًا عميقًا أعاد إليّ الحماس واليقين بأن القراء العرب يبحثون عن ما يحلّ مشكلاتهم، لا ما يثقفهم بلا فائدة عملية.

ومن هذا الواقع، قررت أن أوجّه كل كتاباتي ودراساتي المستقبلية لتكون منارة عملية لمن يريد أن يتحرك، لا مجرد زخرف لغوي لمن يريد أن يقرأ فقط.

## خلاصة القول

ذُكر عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه نبّه من يظنون أن الرزق يأتي بلا سعي، وأن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة. اجتهد بقدر ما تستطيع؛ فالرازق هو الله، والعمل بيديك، وبقدر ما تعمل بعقلك قبل جسمك ستتحصل على الفرص.

أما الركون إلى الكسل الوظيفي، واستجداء الفرص، ثم الخضوع للسلم الوظيفي --- بل الذل الوظيفي --- فستتحمل تبعاته النفسية أنت وعائلتك طيلة حياتك.

الحرية المالية ليست حلمًا بعيدًا، لكنها تحتاج إلى:

- مهارة حقيقية،
- رؤية واضحة،
- تخطيط منظم،
- انضباط واستمرارية،
- إصرار لا ينكسر أمام الإحباطات.

من السعودية والإمارات نتعلم كيف تُبنى الفرص في بيئة خصبة، ومن سوريا ومصر نتعلم كيف تُنتزع الفرص رغم التحديات. وفي الحالتين، من امتلك مهارة صادقة، وطوّرها بعقلية ريادية، أصبح سيد وقته ومصدر دخله وصانع مستقبله.

## تنبيه شخصي: لا تفعل مثل ما فعلت وإلا ستخسر الكثير

عملت طوال حياتي منذ الصغر باتجاه علمي بحت، لا أفكر فيه بربح المال أو حتى التوازن بين هذا وذاك. كنت أعمل وفق هواي العلمي.

فمثلاً عندما كنت أعمل في بداية حياتي عام 1987 في بيع برامج الكمبيوتر والأجهزة، كنت أشتري للشركة من الأجهزة والبرامج ما أراه مناسباً ومفيداً دون النظر للسعر أو لاتجاه السوق؛ فكسدت كثير من البرامج والأجهزة، وكنا بالتالي نبيعها بالخسارة لنتخلص منها، لأنه عالم متسارع لا ينتظر أحداً.

وبعد سنوات، وفي المكان الذي كنت أعمل فيه، كنت أشتري كتباً بحسب رغبتي أيضًا؛ فمعظم الكتب لم تُبع، والجيد أن معظمها رجع للمورد الذي اشترينا منه الكتب.

لا أقول إنني كنت مخطئًا، لكنني لم أكن متوازنًا. فالعمل في السوق يجبرك على اتباع قوانينه، والمشي حسب رغبة العميل، وفق دراسة عميقة لهذا السوق.

# حين يتحول الذكاء الاصطناعي إلى غباء بشري اختياري

نعيش اليوم مفارقة عجيبة لم يشهدها التاريخ من قبل: جيل يملك كل وسائل المعرفة، وكل أدوات التعلم، وكل فرص النجاح، لكنه يرفض أن يبذل أي جهد حقيقي. جيل يعيش في زمنٍ لم يعد فيه الوصول إلى المعلومة تحديًا، بل أصبحت المعلومة تركض خلفه، وهو مع ذلك يهرب منها طوعًا.

لم تعد المشكلة في نقص المصادر، ولا في غياب الفرص، ولا في قلة الأدوات، بل في غياب الإرادة. فبدل أن تُستثمر التقنية لبناء فكرٍ متين، ومعرفةٍ عميقة، ومهارةٍ نافعة، استُهلكت في الضحك العابر، والتسلية الفارغة، وتضييع الوقت في فراغٍ متكرر لا يترك أثرًا ولا يصنع إنسانًا.

## وفرة الأدوات وفقر الهمم

هذا الجيل يقضي ساعات طويلة أمام المقاطع القصيرة، لكنه لا يحتمل قراءة صفحة واحدة. يمرّ على آلاف الأفكار، لكنه لا يتوقف عند فكرة واحدة ليفهمها أو يبني عليها. لا يشاهد إلا ما يُضحكه، أو يُثير غرائزه، أو يُلهيه عن واقعه، ثم يتساءل: لماذا لا يتقدم؟ ولماذا لا ينجح؟

إنه يبحث عن الراحة في كل شيء، حتى في التعلم. يريد أن يصبح خبيرًا في خمس دقائق، ومليونيرًا في أسبوع، ومشهورًا بلا سبب، ومؤثرًا بلا مضمون. يريد النتيجة بلا مقدّمات، والمكانة بلا استحقاق، والاحترام بلا عطاء.

## حين تنقلب النعمة إلى نقمة

لقد تحولت نعمة التقنية، في كثير من الحالات، إلى نقمة صامتة، لا لأنها سيئة في ذاتها، بل لأن الإنسان أساء استخدامها. فالأداة التي صُمّمت لتختصر الوقت في التعلم، اختُزلت إلى وسيلة لقتل الوقت. والوسيلة التي كان يمكن أن تفتح العقول، أصبحت وسيلة لتخديرها.

لم يعد التفكير قيمة، بل عبئًا. ولم يعد الجهد فضيلة، بل خيارًا مؤجلاً. والعمل الجاد أصبح سلوكًا غريبًا يُنظر إليه كأنه تشدد أو تعقيد للحياة.

## جيل التواكل لا جيل التوكل

نحن أمام جيل يريد كل شيء جاهزًا: الوجبات جاهزة، الدروس مختصرة، الأفكار معلبة، القرارات تُتخذ عنه.

جيل لا يريد أن يتحرك، ولا أن يبحث، ولا أن يصبر. يريد أن تأتيه الحياة إلى مكانه، ويغضب إن طُلب منه أن يخطو خطوة واحدة خارج منطقة الراحة. ومع ذلك، لا يتوقف عن الشكوى من الإحباط، وقلة الفرص، و"ظلم الظروف".

## مقارنة لا بد منها

الأجيال السابقة لم تملك الإنترنت، ولا الهواتف الذكية، ولا الذكاء الاصطناعي، لكنها امتلكت شيئًا أعظم: الإرادة. كانوا يقرؤون لأنهم يريدون الفهم، ويبحثون لأنهم يريدون البناء، ويعملون لأنهم يدركون أن الحياة لا تعطي بلا مقابل.

أما اليوم، فكثيرون تحوّلوا إلى متفرجين على الحياة، لا مشاركين فيها. يراقبون نجاح الآخرين، ويستهلكون إنجازاتهم، دون أن يحاولوا تقليد الجهد الذي سبق النتيجة.

## الأقلية الواعية

ومع ذلك، لا يمكن التعميم. فهناك قلة واعية، مبدعة، تستغل التقنية بذكاء. تتعلم، وتنتج، وتبني مستقبلها بصمت. تستخدم الذكاء الاصطناعي كأداة للتسريع، لا كبديل عن التفكير. هذه الفئة موجودة، لكنها تظل الأقلية وسط ضجيجٍ كبير من العبث اليومي.

## التقنية لم تُفسد أحدًا

الحقيقة المؤلمة أن التقنية لم تُفسد الجيل، بل كشفت حقيقته. كشفت من يعمل ومن يتواكل، من يقرأ ومن يستهلك، من يسعى ومن يقتل وقته. أعطت الجميع الأدوات نفسها، لكن الفارق الحقيقي ظهر في العقول والهمم، لا في الأجهزة والتطبيقات.

## الخلاصة

نحن أمام جيل يملك أعظم وسيلة للعلم في تاريخ البشرية، لكنه اختار — بإرادته — أن يكون من أقل الأجيال معرفة. جيل يعيش عصر الذكاء الاصطناعي، لكنه استسلم للغباء الاختياري.

والفرق بين الاثنين ليس في التقنية، بل في الإنسان.

# القرآن الكريم: رسالة الخلود وهداية الحياة الحقة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب نورًا وهدًى وشفاءً لما في الصدور، وجعل فيه تبيانًا لكل شيء ورحمةً لقوم يؤمنون، والصلاة والسلام على من كان خُلُقه القرآن، وعلى آله وصحبه أجمعين.

## أولاً: نقرأ ولا نتدبر

نقرأ كتاب الله تعالى في صلواتنا فرضًا وتطوعًا، وتعلو ألسنتنا بالآيات صباح مساء، لكن القلوب كثيرًا ما تمرّ عليها مرور الغافلين. نسمع آياتٍ تنذر، وأخرى تبشّر، وثالثة تدعونا إلى التذكر والتفكر، ثم نمضي دون أن نقف عندها لنسأل أنفسنا: ماذا يريد الله منا؟

وقد جعل الله تلاوة كتابه عبادةً من أعظم العبادات، بل وعد على كل حرفٍ منها عشر حسنات، كما قال رسول الله :

«لا أقول (الم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» رواه الترمذي.

فانظر — رعاك الله — كم حرفًا في صفحةٍ واحدة من المصحف؟ وكم من الحسنات تُكتب لك إن قرأت صفحةً أو حزبًا أو جزءًا في يومك؟ هذا الفضل العظيم لمجرد القراءة، فكيف بمن قرأ وتدبّر وعمل بما قرأ؟ إنه بابٌ من أبواب الجنة مفتوح لمن شاء أن يسلكه.

قال تعالى:

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۦ)

[فاطر: 29--30]

## ثانيًا: القرآن حياة القلوب

القرآن ليس كتاب تلاوة فحسب، بل هو كتاب حياة. به تحيا القلوب كما تحيا الأرض بالمطر. قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: 24]

فهو يحيي الإنسان بمعاني الإيمان، ويبعث في النفس روحًا جديدة، ويعيد ترتيب أولويات الحياة، لتكون الآخرة هدفًا، والدنيا وسيلة. فيه شفاء من الغفلة، ونور يهدي في ظلمات الشك والضياع.

قال تعالى:

﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِ﴾ [المائدة: 15--16]

## ثالثًا: الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر

من أعظم ما يرسّخه القرآن في النفس أن الدار الآخرة هي الحياة الحقيقية، وأن الدنيا — مهما زُيّنت — فهي دار فناء وابتلاء.

قال تعالى:

﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 64]

وقال سبحانه:

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: 96]

﴿ٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد: 20]

## رابعًا: القرآن طريق الجنة والتحذير من النار

القرآن كله هداية إلى الجنة، وتحذير من النار، ورسمٌ واضح للطريق المستقيم:

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: 153]

## خامسًا: كلام من خلق الجنة والنار

كيف لا يكون القرآن معجزًا، وهو كلام من خلق الجنة والنار، والزمان والمكان، والإنس والجان؟ قال تعالى:

(ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ)

[الملك: 2]

## سادسًا: اقرأ لتُبعث حيًّا

أيها المؤمن، اقرأ القرآن بقلبك قبل لسانك، وتدبّره بعقلك قبل سمعك، واعمل به في جوارحك قبل أن تُسأل عنه يوم القيامة.

قال تعالى:

(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ) [محمد: 24]

اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا، واجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك، واجعلنا ممن يُقال لهم يوم القيامة:

«اقرأ وارتقِ ورتّل كما كنت ترتّل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها».

# إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

القرآن الكريم ليس كتابًا يُقرأ لمجرد التلاوة، بل هو نداءٌ للروح، وصوتٌ يخاطب أعماق الإنسان، يوقظه من غفلته، ويردّه إلى فطرته الأولى التي خُلقت على معرفة الله ومحبته. ومن أبلغ الآيات التي تُجسّد هذا النداء الربّاني قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [سورة ق: 37]

## المعنى العام

جاءت هذه الآية الكريمة في ختام مقاطع تعرض دلائل قدرة الله ووحدانيته، من خلق السماوات والأرض، وإحياء الموتى، وإنزال المطر، وبعث الخلق. وبعد أن عرض الله تلك المشاهد المدهشة، ختمها بهذه الجملة الجامعة، ليقول للإنسان: إن في كل ما ترى وتسمع من آيات الله عبرة وذكرى، لكن هذه العبرة لا تُدرك بالعقل وحده، بل بالقلب الحيّ الذي يتفاعل ويخشع، وبالسمع الواعي الذي ينصت حضورًا لا غيابًا.

فالآية تُبيّن أن الهداية لا تكون إلا لمن اجتمعت فيه ثلاث صفات أساسية:

- قلبٌ حيّ ينبض بالإيمان، لا قلبٌ قاسٍ غافل.
- سمعٌ مُنصت يستقبل الحق بتواضع، لا باستعلاء أو استهزاء.
- حضورٌ وشهود، أي أن يكون الإنسان حاضر القلب، غير لاهٍ ولا غافل، كأنه يشهد ما يُقال له.

## المعنى الخاص

المعنى الخاص في الآية أعمق وأدقّ، إذ تُشير إلى أن التذكّر لا يكون لكل أحد، بل لمن تهيّأ لاستقبال الهداية. فقوله تعالى: ``مَن كان له قلب'' يعني عقلاً متفكرًا وقلبًا متصلاً بالله، وقوله: ``ألقى السمع'' أي أنصت استجابةً وخضوعًا

لا جدلاً ولا عناداً، وقوله: ``وهو شهيد'' أي شاهدٌ بقلبه، حاضرٌ بوعيه، ليس مجرد سامعٍ غائب الذهن.

فالهداية — كما تفيد الآية — ليست مسألة معلومات تُلقَّن، بل حالة روحية يعيشها المؤمن حين يفتح قلبه لنداء الله. فكم من أناس يسمعون القرآن ولا ينتفعون، لأنهم فقدوا القلب الحي، أو فقدوا الإنصات، أو فقدوا الحضور.

## تأملات إيمانية

تضع هذه الآية الإنسان أمام سؤالٍ جوهري عميق:

- هل لي قلبٌ حيّ؟
- هل أنا حين أسمع آيات الله أُنصت بقلبي، أم تمرّ على سمعي مرورًا عابرًا؟

لقد نبّه الله إلى أن الذكرى موجودة دائمًا، لكن الذي ينتفع بها هو من تهيّأ داخليًا لاستقبالها. فالهداية لا تأتي من الخارج وحده، بل تبدأ من الداخل: من قلبٍ متصل بالله، ومن سمعٍ واعٍ، ومن حضورٍ صادق.

وقد قال بعض المفسرين:

> القلب المذكور في الآية هو القلب الحيّ بنور الإيمان، والسمع المقصود هو سمع القلب لا الأذن، والشهود هو حضور الروح مع الحق.

## دعوة إلى اليقظة

الآية دعوة صريحة إلى مراجعة النفس، وإحياء القلوب من الغفلة، وإلى أن نُصغي لآيات الله بوعي الحضور لا بعادة التلاوة. فليس كل من يقرأ القرآن يتذكّر، ولا كل من يسمع الموعظة ينتفع؛ إنما ينتفع من جعل قلبه موصولاً بالسماء.

## الخاتمة

في عالمٍ تملؤه الضوضاء والانشغال، تذكّر أن الذكرى الحقيقية لا تصل إلى القلب إلا إذا صمتَ الضجيج الداخلي، وألقيت السمع وأنت شهيد.

فإذا وجدت في نفسك خشوعًا عند سماع آيات الله، فاحمد الله أن لك قلبًا حيًا، لأن هذا من أعظم العطايا الربانية بعد الإيمان نفسه.

اللهم أيقظ قلوبنا من الغفلة، وألهمنا حسن الإنصات لكلامك، واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

# الطاعة... صفة حكمة وإيمان بتنظيم الحياة

ارتبطت كلمة ``الطاعة'' في أذهان بعض الناس — للأسف — بمعاني الضعف والخضوع، وكأن من يطيع إنسانٌ فاقدٌ للكرامة أو ناقص الرجولة. والحقيقة أن الطاعة ليست ذلاً، بل هي نظام حياة. فبدونها لا يُقام بيت، ولا تُدار دولة، ولا يستقر عمل، ولا ينضبط مجتمع.

## الطاعة درجات ومقامات

الطاعة ليست مطلقة في كل الاتجاهات، بل هي مرتّبة بحسب المقامات، ولكل مقام طاعته وحدوده:

- طاعة الله تعالى: وهي أعظم الطاعات وأصلها، لأنه الخالق والمدبّر، ومنها تنبثق كل طاعة أخرى. ومن عصى ربّه فلا طاعة له على أحد، لأنه فقد مرجعية العدل والرحمة.
- طاعة الوالدين: وتأتي بعد طاعة الله مباشرة، فقد جعلهما الله سبب وجودك، وأمرك ببرّهما والإحسان إليهما، ولو بلغا الكِبر أو قصّرا في حقك.
- طاعة وليّ الأمر والحاكم في غير معصية: لأن الحاكم ينظّم حياة الناس، ويحفظ الأمن، ويقيم العدل. ولو فُقدت الطاعة لضاع النظام وتحول المجتمع إلى فوضى.
- طاعة المسؤول أو المدير في العمل: ليست تملقًا ولا خضوعًا، بل من لوازم الانضباط المهني، وشرط من شروط الإنتاج والنجاح الجماعي.
- طاعة من ينظّم الأمن أو النظام العام: كشرطي أو مشرف أو منسق، ما دام أمره في نطاق النظام والمصلحة العامة، فهي لحماية الجميع لا لقهر أحد.
- طاعة الزوجة لزوجها: ليست انتقاصًا من قدرها، بل اعتراف بقيادته للسفينة التي اسمها الأسرة، على أن يكون هو قائدًا بالرحمة والعقل، لا بالجبروت والتسلط.

## الطاعة ليست ضعفًا... بل وعي وتنظيم

الذي يطيع في موضع الطاعة أقوى من الذي يتمرّد بجهالة. فالطاعة تقتضي عقلاً يقدّر المصلحة ويعرف موقعه وحدوده، أما التمرّد فغالبًا ما يصدر عن جهل أو كبرياء أو نزعة لفت الأنظار.

الطاعة ليست إلغاءً لشخصك، بل ضبطٌ لسلوكك داخل منظومةٍ أكبر منك: أسرة، مؤسسة، أو دولة. ومن لم يتعلّم الطاعة لا يستطيع أن يقود، لأن القيادة تبدأ من الانضباط.

## التمرّد ليس بطولة

من يرفع أنفه استكبارًا على البشر أو ربّ البشر، يعيش متعبًا ويُتعب من حوله. تمرّده لا يجعله حرًا، بل يجعله أسير صراعه مع النظام والحياة. من يرفض الطاعة لا يملك روح الجماعة، ومن لا يملك روح الجماعة لا يصنع حضارة.

## في ميدان العمل... الطاعة التزام مهني

إذا وجدت في نفسك عجزًا عن الالتزام بقرارات الإدارة أو قوانين المؤسسة، أو شعرت بضيق دائم من التوجيهات والتعليمات، فالأجدر أن تسلك طريق العمل الحر.

فالوظيفة ليست حلبةً لصراع الأنا، بل ساحة التزام وتعاون. من لا يستطيع أن يطيع، لا يستطيع أن يعمل ضمن فريق، ومن لا يعمل ضمن فريق، لا يستطيع أن يُنجز مشروعًا ناجحًا.

## الخاتمة

الطاعة ليست إذلالاً ولا إلغاءً، بل هي ميزان التوازن بين الحرية والنظام، وبين الفرد والمجتمع. الطاعة لا تُنقص من الرجولة، بل تُكمّلها، لأنها تعني احترامك للنظام، واعترافك بالمرجعية، والتزامك بالمصلحة العامة.

فلتكن طاعتك عن وعي، لا عن ضعف، ولتكن رجولتك في انضباطك، لا في عنادك.

فالرجال الحقيقيون هم الذين يعرفون متى يطيعون... ومتى يُصلحون بالحكمة والرفق، لا بالتمرّد والكِبر.

# الموظف الحكومي: بين الواجب والأمان الوهمي

في مختلف الدول العربية، يتم توظيف أعداد كبيرة من المواطنين في القطاعات الحكومية المتنوعة، وفقًا لحاجة هذه القطاعات وطبيعة الخدمات التي تُقدَّم للمجتمع. ولا شك أن هذه الوظائف تُعد من ركائز استقرار الدول وخدمة المواطنين. غير أن الإشكال الحقيقي لا يكمن في وجود الوظيفة الحكومية، بل في سوء الفهم الشائع لمعناها ودورها، وهو سوء فهم ينعكس سلبًا على أداء المؤسسات وجودة الخدمات العامة.

للأسف، ينظر كثير من الموظفين إلى الوظيفة الحكومية على أنها مصدر أمان وظيفي فقط، أو مكافأة دائمة من الدولة، فيغيب عن أذهانهم أن الهدف الأساسي من هذه الوظيفة هو خدمة المجتمع والقيام بواجبٍ عام، لا مجرد الحصول على راتب آخر الشهر. هذه النظرة تُحوّل الوظيفة من رسالة إلى محطة استراحة، ويقتصر الأداء عندها على الحد الأدنى، متناسين الأمانة التي حُمِّلُوها أمام الله قبل أي جهة أخرى.

فالراتب الذي يتقاضاه الموظف ليس حقًا مجردًا، بل هو أمانة مقابل عمل. وكل مال يُؤخذ دون أداءٍ حقيقي أو تقصيرٍ متعمد، هو مال يُسأل عنه صاحبه يوم القيامة. المطلوب ليس المستحيل، بل أداء العمل بإتقان، أو على الأقل القيام بالواجب كما هو مطلوب، بجدية واحترام للوقت والمسؤولية.

## مفارقة الترسيم

من المشاهد المؤلمة التي تتكرر في الواقع الوظيفي أن بعض الموظفين، حين يكونون على بند الأجور أو العقود المؤقتة، يظهرون اجتهادًا عاليًا، وانضباطًا ملحوظًا، وبذلاً يفوق المطلوب. لكن ما إن يتم تثبيتهم وترسيمهم، حتى يبدأ التراخي عند بعضهم: إهمال، تغيب، ضعف إنتاج، وكأن الأمان الوظيفي أزال الإحساس بالمسؤولية، وحوّل العمل إلى روتين بلا روح.

وهذه المفارقة تكشف أن المشكلة ليست في القدرة ولا في الكفاءة، بل في الضمير المهني وفهم معنى الوظيفة العامة.

## كارثة التقييمات الشكلية

تتفاقم المشكلة أكثر مع انتشار المجاملات في التقييمات السنوية. فالتقييم الذي وُجد ليكون أداة لقياس الأداء وتحفيز المجتهدين، أصبح في بعض المؤسسات وسيلة لتمرير الترقيات بلا استحقاق. موظف لا يتجاوز أداؤه الحقيقي نصف المطلوب، يُمنح تقييمًا يفوق 90% فقط لتسهيل ترقيته.

هذه الممارسات لا تظلم المؤسسة فحسب، بل:

- تقتل روح العمل الجاد،
- تُحبط الموظف المجتهد،
- تكرّس الرداءة،
- وتُربك مسار التطوير الحقيقي.

## الوظيفة أمانة لا غنيمة

إن المؤسسات الحكومية ليست أماكن لتأمين الرواتب فقط، بل هي مرافق تخدم مجتمعًا كاملاً. كل تأخير في معاملة، وكل إهمال في خدمة، وكل تقصير في أداء، ينعكس مباشرة على حياة الناس وحقوقهم.

فاتقوا الله ـ أيها الموظفون ـ في أعمالكم، وأحسنوا أداء ما وُكِّل إليكم. فهناك يوم عظيم ستُعرض فيه الأعمال، ويُسأل الإنسان عن كل أمانة أهملها، وكل حق قصّر فيه، وكل وقت ضيّعه دون وجه حق.

## الخاتمة

كونوا قدوة في الالتزام والأمانة، واجعلوا وظائفكم بابًا للأجر قبل أن تكون مصدر دخل. فالموظف الحكومي الحقيقي لا يحتمي خلف الأمان الوظيفي، بل يستشعر عظمة الواجب، ويؤدي عمله بإخلاص، لأنه يعلم أن ما بينه وبين الله أعظم من أي نظام أو تقييم.

فالوظيفة الحكومية ليست امتيازًا… بل مسؤولية، وأمانة، واختبار.

# يا دكتور... توقّف العلم هنا!

مبروك يا دكتور! لقد وصلت أخيرًا إلى القمّة... لا مزيد من السهر، لا مزيد من البحث، لا حاجة إلى التفكير أو التساؤل أو القراءة! لقد نادوك بـ ``يا دكتور'' — وهذه الكلمة وحدها، في نظر كثيرين، كفيلة بأن تُسكت العقل وتُطفئ جذوة الشغف التي كانت تشتعل وأنت تكتب أطروحتك الأخيرة.

انتهى العلم هنا. ضع النقطة، وابتسم في الصورة الرسمية التي ستُعلَّق على جدار مكتبك الأنيق، بجانب شهادتك المؤطَّرة بعناية.

من الآن فصاعدًا، مهمتك ـ كما يُراد لها ـ بسيطة: أعطِ ما درست، لا أكثر. كرّر ما كتبته في الأطروحة عشرين مرة أمام الطلبة، غيّر الصياغة قليلاً، وقدّمها في مؤتمر أو اثنين. واكتب ـ إن كان فيك نشاط زائد ـ كتابًا جامعيًا رمادي الغلاف، مليئًا بالتعاريف والنظريات التي يعرفها الجميع، ولا يريد أحد قراءتها.

وهكذا... تصبح دكتورًا كامل الأوصاف — اجتماعيًا على الأقل. سيصافحك الناس بإعجاب، وسيناديك الأقارب في كل مناسبة بـ ``الدكتور فلان''، وستحصل على ترقية كل بضع سنوات، إلى أن تتقاعد — مهيبًا، متعبًا من إنجازاتٍ لم تُنجز، ومتخمًا بشهاداتٍ لم تُثمر.

## لكن مهلاً يا دكتور

هل تعلم أن الدرجة العلمية ليست وسامًا، بل أمانة؟ وأن اللقب لا يُمنح لتُزخرف به بطاقاتك، بل لتكون به مصدر إشعاع فكري وعلمي؟

المجتمع لا ينتظر منك أن تكرّر، بل أن تضيف. والشباب الذين يجلسون أمامك في القاعة لا يحتاجون إلى سيلٍ من التعريفات الجامدة، بل إلى:

- عقولٍ تُلهمهم،
- نماذجَ تُريهم أن العلم لا يتوقف عند الرسالة،
- وأستاذٍ يُثبت لهم أن البحث الحقيقي يبدأ بعد الشهادة، لا قبلها.

## معنى الدكتوراه الحقيقي

هل تعلم أن PhD لا تعني Diploma of Philosopher؟ بل تعني Philosophy of Doctor — أي باحثًا عن الحكمة، متعطّشًا للمعرفة، سائرًا في طريقٍ لا نهاية له.

فهل أنت كذلك؟ أم أن اللقب تحوّل إلى غطاءٍ أنيق يُخفي تحته كسلاً فكريًا، مُبرَّرًا بـ ``الرتبة الأكاديمية''؟

العلم لا يتوقّف عند الشهادة، بل يبدأ منها. والدكتور الحقيقي ليس من يُنادى بها، بل من يستحقها كل يوم، بما يقدّمه، وما يغيّره، وما يزرعه في العقول من فكرٍ ووعي.

## الخاتمة

فكن - يا دكتور - من أولئك القلائل الذين إذا مرّوا تركوا أثرًا. ولا تكن ممن انتهت مسيرتهم عند لحظة التصفيق، حين سُلِّمت لهم الشهادة، ثم دفنوا بعدها شغفهم الأكاديمي تحت جدارٍ من الألقاب.

الدكتوراه ليست نهاية الطريق... بل بداية الاختبار الحقيقي.

# الميوعة اللغوية: حين يتحول الحديث إلى ``عربي-إنجليزي مخلّط''!

هل لاحظت تلك الفئة من الناس الذين لا يستطيعون إكمال ثلاث جملٍ بالعربية دون أن يُقحموا بينها كلمة أو اثنتين بالإنجليزية؟ أولئك الذين يقولون بكل ثقة:

> ``بصراحة الـ idea دي مش practical، لازم نعمل update لل system!''

يا سلام! كأن اللسان أصبح جهازًا Hybrid، نصفه عربي والنصف الآخر مستورد من شركة ``لسانيات أمريكا المتحدة''.

نحن لا ننكر — ولن ننكر — أن اللغة الإنجليزية اليوم لغة العلم والتقنية والبحث، وأنها ضرورة واقعية في كثير من المجالات. كما لا ننكر أن بعض المصطلحات الأجنبية لا مقابل دقيق لها في العربية، أو أن استعمالها في السياق العلمي أحيانًا أصرح وأدق.

لكن المشكلة لا تكمن هنا.

## حين تتحول اللغة إلى فوضى

المشكلة تبدأ حين يتحول الكلام العربي إلى ساحة مصارعة لغوية بين الحروف العربية واللاتينية، وحين تُستبدل حتى أدوات الربط وأسماء الإشارة بمكافئات إنجليزية، وكأن المتحدث يعيش صراع هوية لا صراع مصطلحات.

هنا لا بد أن تُقال الحقيقة بوضوح:

كفاكم ميوعة لغوية!

## ما هي الميوعة اللغوية؟

الميوعة اللغوية هي تلك الحالة التي يُقحم فيها المتكلم كلمات أجنبية بلا حاجة حقيقية، لا لضرورة علمية ولا لدقة اصطلاحية، بل لاستعراضٍ أجوف يوهم به نفسه والآخرين بسعة الثقافة وعمق المعرفة.

كأن لسان حاله يقول:

``انظروا إليّ! لقد درست في الخارج، حتى التوى لساني من كثرة ما نطقت الإنجليزية!''

وكأن اللغة العربية — لغة القرآن، ولغة البلاغة والدقة والبيان — قد ضاقت به، فلم تعد قادرة على حمل أفكاره، إلا إذا استعان ببضع كلمات إنجليزية متناثرة.

## ليست ثقافة... بل تشويه

أيها المائع لغويًا، اعلم أن لسانك ليس لوحة مفاتيح تخلط فيها اللغات كيفما اتفق. ما تفعله ليس دليل ثقافة، بل غالبًا:

- إرضاء لغرورٍ داخلي،
- ومحاولة لتغطية ضعف لغوي،
- وتشويه لهويتك قبل أن يكون تطويرًا لها.

تظن أنك تبدو مثقفًا، بينما في الحقيقة تبدو ممسوخ الهوية: لا أنت عربي اللسان، ولا إنجليزي البيان.

والأسوأ من ذلك، أنك قد تصل إلى مرحلة لا تستطيع فيها الحديث بالعربية الفصحى، ولا التعبير بالإنجليزية الصحيحة، فتخرج بلغة هجينة لا يفهمها عربي، ولا يعترف بها إنجليزي.

## الميزان الصحيح

الميزان واضح وبسيط:

- تكلّم بالعربية ما استطعت.
- استخدم المصطلح الأجنبي عند الحاجة الحقيقية فقط.
- لا تجعل لغتك تتمايل بين لسانين كراقصٍ فقد توازنه.

فاللغة ليست مجرد أداة تواصل، بل هي وعاء الفكر، ومرآة الهوية، وجسر الانتماء.

## الخلاصة

من فقد لغته، فقد جزءًا من هويته. ومن فقد هويته، صار يتكلم كثيرًا... ولا يقول شيئًا.

فاحترم لغتك، تحترمك أفكارك، ويحترمك من يسمعك.

# عدسات مختلفة: كيف ينظر الناس إلى بعضهم... وكيف ينظر المتقي إلى الجميع؟

من أعظم ما يميّز الإنسان المؤمن الواعي أنه لا ينظر إلى الناس بعيون الدنيا وحدها، بل بعيون الإيمان والعدل والإنسانية. فالبشر لا يتشابهون في نظرتهم إلى الآخرين؛ إذ يرى كل إنسان العالم بعدسة قلبه ونيّته وفطرته. ومن اختلاف هذه العدسات تتشكّل المواقف، وتنكشف حقيقة النفوس.

## أولاً: كيف ينظر معظم الناس إلى الآخرين؟

كثير من الناس — دون وعيٍ منهم — ينظرون إلى من حولهم بعين المقارنة والمصلحة والمظهر. فيقيسون قيمة الإنسان بما يملك، لا بما يكون. يُقدّر الغني ويُهمَّش الفقير، يُحترم صاحب المنصب ويُتجاهل البسيط، وتُربط الكرامة بالمال والجاه لا بالخلق والعمل.

هذه النظرة الدنيوية ليست إلا انعكاسًا لخلل في الميزان القيمي؛ لأن ميزان الله مختلف تمامًا. قال تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

فلم يقل: أغناكم، ولا أجملكم، ولا أشرفكم نسبًا. لكن حين يضعف الوعي الإيماني، تُقاس القيم بميزان السوق لا بميزان الحق.

## ثانيًا: كيف ينظر الإنسان المتقي إلى الناس؟

المتقي، الذي امتلأ قلبه خشيةً من الله، ينظر إلى الناس بعدسة الرحمة والعدل والتواضع. لا يفرّق بين غني وفقير، ولا بين قوي وضعيف، ولا بين عربي وأعجمي؛ لأنه يعلم أن الله هو الذي قسّم الأرزاق، وخلق الاختلاف، وابتلى العباد.

يرى في كل إنسان نفسًا كرّمها الله، ونفخ فيها من روحه، وجعلها موضع اختبار. فإذا رأى غنيًا قال: هذا رزق وابتلاء. وإذا رأى فقيرًا قال: هذا صبر وكرامة. وإذا رأى صاحب سلطان دعا له بالعدل، وإذا رأى ضعيفًا رقّ قلبه وسعى لمواساته.

عدسة المتقي لا ترى طبقات، بل ترى نفوسًا. لا تُضخّم الناس ولا تُحقّرهم، بل تراهم سواء في أصل الخلقة، مختلفين في التقوى والعمل.

## ثالثًا: كيف ينظر الإنسان السويّ بالفطرة؟

الإنسان السوي، حتى إن لم يكن متعمقًا في العلم أو الدين، ينظر إلى الآخرين بميزان الإنسانية. يحترم الاختلاف، ويأنف الظلم، ويُدرك أن تنوّع الناس في الألوان والأعراق والثقافات ليس تهديدًا، بل ثراء وتكامل.

لا يرى في اختلاف الآخر خصومة، بل فرصة للفهم والتعلّم. وإذا عاش بين شعوب أخرى أو سافر، لم يشعر بالاستعلاء ولا بالدونية، بل بفضول إيجابي ورغبة في التواصل. يقيس الناس بصدقهم ومواقفهم، لا بأرقام حساباتهم ولا بألقابهم.

## رابعًا: كيف ينظر المتكبرون والعنصريون إلى الآخرين؟

أما المتكبر والعنصري، فينظر إلى الناس من علٍ، بعدسة مشوّهة لا ترى إلا ذاته في المركز، والآخرين في الهامش. يظن أن المال أو النسب أو اللون أو المنصب يمنحه قيمة ذاتية أعلى من غيره، فيحتقر ويقسو ويتعالى.

وهذا المسلك هو مسلك إبليس حين قال:

(أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ)

فكل كِبرٍ هو امتداد لذلك الموقف الأول. المتكبر يقسّم العالم إلى "نحن" و"هم"، ويغفل أن هذه التقسيمات لا يقرّها دين ولا عقل، وأن الكبرياء لله وحده.

## خامسًا: العدسة التي يريدها الله لنا

يريد الله من عباده أن ينظروا إلى الناس بعدسة العدل والرحمة والاتزان؛ نظرة لا ظلم فيها ولا احتقار ولا استعلاء. قال تعالى:

(وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً)

وقال أيضًا:

(وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)

المتقي إذا نظر إلى الناس تذكّر أن الله يراه، وأنه مسؤول عن قلبه قبل لسانه، وعن نظرته قبل عمله. فيرى بعين الإنصاف، ويسمع بأذن الرحمة، ويحكم بضمير لا تحجبه الأهواء.

# الخلاصة

كل إنسان يحمل عدسة يرى بها العالم:

- الجاهل يرى الناس درجاتٍ مادية.
- المتكبر يرى نفسه فوق الجميع.
- الإنسان السوي يرى التنوع جمالاً.
- المتقي يرى الخلق عبادًا لله، فيعاملهم كما يحب أن يعامله ربّه.

فاختر عدستك؛ فهي التي تحدد مكانك عند الله، قبل أن تحدد مكانك بين الناس.

# الوقت: معجزة الله وكنز الحياة المهدور

الوقت هو أعظم كنز وهبه الله للإنسان، وهو العمود الفقري لكل حياة واعية. به تُبنى الأعمال، وتتحقق الأهداف، وتُصنع الفروق بين الناجحين والمتخاذلين. كل لحظة تمرّ تحمل في طيّاتها فرصة، وكل ثانية تمضي لا تعود، وكل دقيقة تُهدر هي خسارة حقيقية، وإن لم يشعر الإنسان بها إلا بعد فوات الأوان.

تخيّل إنسانًا يعيش أيامه دون وعي بقيمة الزمن؛ يبدّد ساعاته في اللهو والتسويف، فتنساب أيامه كما تنساب الرمال بين الأصابع. وبعد سنوات، يستيقظ على واقع ثقيل: مسؤوليات متراكمة، وأهداف لم تتحقق، وفرص كانت في متناول يده فأصبحت من نصيب غيره. عندها يدرك أن الزمن كان أعظم رأس مال امتلكه، لكنه فرّط فيه بلا حساب.

## الزمن هدية من الله

الزمن ليس مجرد إطار نعيش داخله، بل نعمة إلهية عظيمة، ووديعة سنُسأل عنها. من أحسن استغلاله وجد البركة في عمره وعمله، ومن أضاعه مضى عمره بلا أثر ولا ثمرة.

وقد لخّص النبي صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة العميقة بقوله:

> «اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك».

هذا الحديث يبيّن أن الوقت ليس ساعات وأيامًا فحسب، بل فرص متتابعة للعمل الصالح، وبناء النفس، وتحقيق الرسالة التي خُلق الإنسان لأجلها.

## معجزة الزمن في القرآن الكريم

الزمن في القرآن يحمل بعدًا يتجاوز الإدراك البشري. فالله سبحانه لا تحكمه حدود الزمن كما نراها نحن؛ الماضي والحاضر والمستقبل عنده سواء. ولهذا يخبرنا أحيانًا عن المستقبل بصيغة الماضي، تأكيدًا لوقوعه وحتميته.

نحن نرى الزمن خطًا مستقيمًا يبدأ بالماضي ويمرّ بالحاضر ويتجه إلى المستقبل، أما عند الله فهو علمٌ محيط بكل

شيء: بما كان، وبما يكون، وبما لم يكن لو كان كيف يكون. وهذا الإدراك يزرع في القلب يقينًا عميقًا بأن كل لحظة نعيشها محسوبة ومقدّرة، وليست عبثًا ولا صدفة.

## أمثلة من الحياة اليومية

### طالب يسعى للعلم

طالب يلتزم بساعتين يوميًا للقراءة والمذاكرة. بعد عام واحد، يجد أن معرفته تراكمت، وفهمه تعمّق، وأصبح متقدّمًا على غيره. في المقابل، زملاؤه الذين استهانوا بالوقت بقوا في المكان نفسه. هنا كان الزمن هو الفارق الحقيقي بين التقدّم والتأخر.

### عامل أو موظف

موظف يستثمر ساعات عمله بجدّ وانضباط، ينجز مهامه بإتقان، ويطوّر نفسه باستمرار. وآخر يبدّد وقته في التسويف والتراخي. بعد سنوات قليلة يظهر الفرق جليًا: الأول يتقدّم ويُوثق به، والثاني يبقى متذمرًا يلوم الظروف. الحكم هنا كان للوقت وحده.

### العبادة والتقوى

المؤمن الذي يخصّص جزءًا من يومه للذكر والصلاة وقراءة القرآن، يجد بركة عجيبة في حياته، حتى في شؤونه الدنيوية. الزمن هنا يتحوّل من مجرد ساعات إلى رصيد نور، يثمر طمأنينة ونجاحًا في الدنيا والآخرة.

## الوقت والندم

الزمن إذا أُهمل انقلب ندمًا. كثير من الناس لا يشعرون بقيمته إلا عندما يُغلق الباب، ويصبح الماضي عبئًا ثقيلاً لا يمكن تعويضه. فالمال قد يُعوَّض، والخسائر المادية قد تُجبر، أما العمر الذي مضى بلا فائدة فلا يعود أبدًا.

## البركة في استغلال الوقت

حسن إدارة الوقت يجلب البركة، ويمنح الإنسان كفاءة أعلى وسعادة أعمق. من يخطّط ليومه، ويوازن بين العمل والعبادة والراحة والتعلّم، يعيش حياة متزنة مثمرة. ومع البركة الإلهية، تتحول الساعات القليلة إلى إنجازات كبيرة، ويصبح الجهد ذا أثر ممتد.

## خاتمة: دعوة للتفكر والعمل

نسأل الله عز وجل أن يبارك لنا في أوقاتنا وأعمالنا، وأن يجعلنا من الفائزين بحسن استثمار أعمارهم. فلنغتنم كل لحظة، ونجعل كل ثانية بابًا للتقوى، وكل دقيقة خطوة نحو عمل نافع للروح والعقل والجسد.

الوقت ليس عدوًّا، بل حليف من أحسن التعامل معه. وهو أعظم ثروة منحها الله للإنسان، ومعجزة لا تُقدّر بثمن. فطوبى لمن خرج من هذه الحياة وقد ملأ أيامه بما يرضي الله، وينفع الناس، ويترك أثرًا يشهد له لا عليه.

# هستيريا الألعاب الإلكترونية: حين تتحول المتعة إلى عبودية نفسية

لم تعد الألعاب الإلكترونية مجرّد وسيلة للتسلية أو قضاء وقت الفراغ، بل تحوّلت — للأسف — إلى ظاهرة نفسية واجتماعية خطيرة، تسلب عقول الصغار والشباب، وتستعبد حتى بعض الكبار الذين ظنّوا أنهم يسيطرون عليها، فإذا بهم غارقون في دوّامة من الانفعال، والعصبية، والعزلة، والاضطراب النفسي.

بدأت الألعاب الإلكترونية في أواخر السبعينات وبدايات الثمانينات بصورة بسيطة وبريئة؛ ألعاب محدودة الإمكانات، تُضحك وتُسلي، وأحيانًا تُنمّي التفكير دون أن تخلّف آثارًا نفسية أو اجتماعية مدمّرة. لكن مع تطوّر التقنية، والرسوم ثلاثية الأبعاد، وكروت الشاشة العملاقة، والاتصال الدائم بالإنترنت، تغيّر المشهد جذريًا. تحوّلت اللعبة من تسلية عابرة إلى عالم افتراضي كامل يبتلع العقول، ويغذّي الانفعال، ويزرع الغضب والتنافس المرضي، بل وأحيانًا العدوانية والعزلة.

لم تعد اللعبة مجرّد لعبة، بل إدمانًا صامتًا يتسلّل إلى النفس حتى يصبح صاحبه عبدًا للانتصار الرقمي؛ يثور لغلبة خصمٍ افتراضي، ويحزن لهزيمةٍ لا وجود لها في الواقع. يعيش كثير من اللاعبين تحت ضغط نفسي دائم، يشبه حال من يربط استقراره النفسي بنتيجة مباراة لفريقه المفضل، فيغضب ويضطرب مع كل خسارة أو خطأ.

وقد مرّ كاتب هذه السطور بتجربة مشابهة مع متابعة المباريات الرياضية؛ حيث كانت تثير أعصابه وتفسد مزاجه، حتى قرر ألاّ يشاهد إلا بعد انتهائها. عندها أدرك مقدار الراحة النفسية التي كان يفتقدها. فكيف الحال بشباب يقضون الساعات الطوال أمام الشاشات، يتفاعلون مع معارك وهمية، يصرخون ويغضبون وكأن حياتهم الحقيقية معلّقة بنتيجة رقمية على شاشة؟ إنها هستيريا حقيقية، تدمّر الأعصاب، وتفسد المزاج، وتحول المتعة إلى مرض نفسي مستتر.

## الخطر النفسي والاجتماعي

لم يقف خطر الألعاب الإلكترونية عند حدود التوتر والعصبية، بل تجاوزه إلى كارثة تربوية وأخلاقية. فقد أصبحت بعض الألعاب تزرع قيمًا عدوانية، وتغري الأطفال بالعنف والقتل والاستهتار، وتغذّي فيهم روح التمرّد والانعزال عن الأسرة والمجتمع. والأسوأ من ذلك، ظهور ألعاب خبيثة استغلت براءة الأطفال وضعف وعي المراهقين، ودَفعت بعضهم إلى إيذاء أنفسهم أو حتى الانتحار تحت مسميات مثل ``التحدي'' أو ``الجرأة''.

إنها صناعة لا تكتفي بالترفيه، بل توظّف علم النفس، والمؤثرات البصرية، ونظام المكافآت والعقاب، لإبقاء اللاعب

أطول فترة ممكنة داخل اللعبة، ولو كان الثمن صحته النفسية، وعلاقاته الأسرية، ومستقبله العلمي والعملي.

## رسالة إلى الآباء والمربين

أيها الآباء، أيها المربّون، أيها الشباب: انتبهوا لهذه الآفة الحديثة التي تقتات على أوقاتكم، وأعصابكم، وهدوئكم. ليست كل لعبة بريئة، وليست كل متعة نافعة. احذروا أن تتحوّل لحظات اللهو إلى عبودية إلكترونية تسرق منكم الطمأنينة والتوازن.

اللعب في ذاته ليس حراماً ولا مرفوضًا، لكنه إن تجاوز حدّه انقلب خطرًا على النفس والعقل. الاعتدال واجب، والوعي ضرورة، والرقابة مسؤولية لا يمكن التنازل عنها، خصوصاً مع الأطفال والمراهقين. فالسعادة الحقيقية لا تُصنع في العوالم الافتراضية، بل في الواقع: في الأسرة، في الصداقة، في الطموح، وفي حياة حقيقية تستحق أن تُعاش.

## ومضة دينية توعوية

إن الوقت من أعظم النِّعم التي أنعم الله بها على الإنسان، وقد أقسم الله به فقال:

``وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ''

قسمٌ بالزمن نفسه، ليبيّن خطورته وقيمته، ثم جاء التحذير بأن الإنسان في خسران دائم إلا من عمّر وقته بالإيمان والعمل الصالح.

فهل يعقل أن يُهدر هذا العمر الثمين في معارك افتراضية لا ثمرة فيها ولا نفع؟ وهل نرضى أن نضحّي بصحتنا النفسية، وعلاقاتنا الأسرية، ومستقبلنا العلمي والعملي، لأجل لحظات زائفة على شاشة جامدة؟

## خاتمة

تذكّر أيها الشاب، أيتها الفتاة: الوقت حياة، والعمر لا يُشترى، والراحة لا تأتي من لهوٍ مفرط، بل من توازنٍ واعتدال. احذروا أن تسلبكم الألعاب الإلكترونية أعظم ما تملكونه: عقولكم، وأعصابكم، وقلوبكم. فالحرية الحقيقية ليست في الانغماس داخل شاشة، بل في السيطرة على النفس، وحسن اختيار ما نمنحه من وقتنا وحياتنا.

# الزهو الفارغ وتربية الغرور: حين يختل ميزان القيم في الأبناء

في عصر السرعة والمظاهر، بات من المؤسف أن نرى بعض الشباب يسيرون في الحياة بخطى واثقة ظاهرًا، لكنها في حقيقتها خطوات على هوامش الفراغ النفسي والقيمي. هذا الزهو الذي يعتري النفوس لا يولد من فراغ، بل هو ثمرة خلل تربوي يبدأ في البيت، حيث يغفل بعض الآباء عن غرس القيم الصحيحة، ويزرعون — عن غير قصد أحيانًا — أوهام التميّز والغرور في نفوس أبنائهم.

فالطفل الذي يُربّى على أنه ``أفضل من غيره'' دون أن يُفهم معنى التميّز الحقيقي — القائم على الأخلاق والعمل والجد والاجتهاد — سيكبر معتقدًا أن الناس خُلقوا لإرضاء أهوائه، وأن العالم يدور حوله. عندها يختلط التقدير الذاتي المشروع بالغرور الفارغ، فتتشكل شخصية مأزومة يصعب تقويمها لاحقًا.

## القدوة الصالحة: الأساس الذي يُبنى عليه كل شيء

التربية ليست كلمات تُقال، بل أفعال تُرى وتُقلَّد. فالطفل يلتقط كل حركة، وكل لفظ، وكل ردّ فعل من والديه، وغالبًا ما يكون سلوكه انعكاسًا لما يراه في البيت أكثر مما يسمعه من توجيه مباشر.

فإذا رأى الأب متعاليًا، أو متفاخرًا بما يملك أو بما يظن أنه يعلم، فإن الطفل يتعلّم التعالي، ويعيد إنتاجه بأسلوب قد يكون أشد قسوة على الآخرين. أما إذا رأى الأب متواضعًا، يحترم الناس، ويتحمّل المسؤولية، ويعترف بخطئه، فإن شخصية الطفل ستتشكل على هذه القيم، وسيدرك أن التميّز الحقيقي لا يُقاس بالألقاب ولا بالمظاهر، بل بالأخلاق والعمل والإخلاص.

## الدلال الزائد وأثره المدمر

من أخطر أسباب غرور الأبناء ما يُعرف بالدلال المفرط، حيث يمنح الآباء أبناءهم كل ما يريدون، ويجنّبونهم أي تجربة صبر أو حرمان، ظنًا أن ذلك تعبير عن الحب. لكن الواقع أن هذا الأسلوب يُنتج شخصيات عاجزة عن تحمّل المسؤولية، أنانية في المطالب، ضعيفة أمام التحديات.

كم من شباب لم يُكملوا تعليمهم، ومع ذلك يظنون أنفسهم عباقرة، ويمنحون أنفسهم ألقابًا وهمية مثل ``دكتور'' أو ``خبير دولي''، لمجرد حضور دورات قصيرة أو قراءة بعض كتب التنمية الذاتية. يعيشون في عالم من الأوهام، يتغذّون على المديح، بدل بناء قيمة حقيقية قائمة على العلم والعمل.

## وصايا لقمان: الخريطة الذهبية للتربية السليمة

إن الرجوع إلى القرآن الكريم، وتأمّل وصايا لقمان لابنه، يمنحنا منهجًا تربويًا متكاملاً، لا مجرد نصائح عابرة. قال تعالى:

``يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ''
``وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ''
``وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ''

هذه الوصايا ترسم ملامح تربية متوازنة تقوم على:

- ترسيخ الإيمان بالله والتوكل عليه.
- تهذيب النفس بالتواضع واحترام الآخرين.
- ضبط السلوك الظاهر من كلامٍ ومشيةٍ وتعامل.

التربية على هذه الأسس تقي الأبناء من الغرور والأنانية، وتمنحهم توازنًا نفسيًا واجتماعيًا، فيعرفون قيمتهم دون تضخيم، ويقدّرون غيرهم دون احتقار.

## التواضع: زينة العلم والنجاح

التواضع لا يُنقص من قيمة الإنسان، بل يرفعها. فالتميّز الحقيقي لا يكون بالتفاخر ولا بالاستعراض، بل بالإخلاص في العمل، وبالاجتهاد، وبخدمة الآخرين. الغرور في حقيقته ضعف، يحجب عن صاحبه رؤية عيوبه، ويحبسه داخل أوهام لا تصمد أمام الواقع.

## الآباء والإعلام المفتوح: تحديات العصر

في زمن وسائل التواصل الاجتماعي، يتعرّض الأبناء لمقارنات مستمرة تُضخّم الأنا أو تُولّد الشعور بالنقص. وهنا تتعاظم مسؤولية الآباء في:

- مراقبة المحتوى وتوجيهه نحو ما يغرس القيم.
- تعليم الأبناء أن الإنجاز ثمرة جهد، لا صورة ولا شهرة.
- ترسيخ أن القوة الحقيقية في الأخلاق، لا في الاستعراض.

## خاتمة ودعاء

أيها الآباء والأمهات، تربية الأبناء أمانة عظيمة، ومسؤولية سنُسأل عنها أمام الله. احذروا أن تزرعوا فيهم الغرور أو الشعور بالتفوّق الزائف، وازرعوا بدلاً من ذلك:

- التواضع.
- حب العمل والاجتهاد.
- الإيمان بأن الأخلاق والقيم هي معيار التميّز الحقيقي.

``رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ''

اللهم أصلح أبناءنا وبناتنا، وازرع في قلوبهم التواضع والإيمان وحسن الخلق، ونجّنا وإياهم من الزهو والكبر، واجعلهم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

# حين يسقط أهل العلم: الكِبْرُ المستتر خلف العبادة

يروي أهل العلم أن إبليس — قبل المعصية — كان من العابدين، وكان في بعض الروايات يُسمّى عزازيل، وكان بين الملائكة مقرّبًا بالطاعة وكثرة العبادة. لم يكن جاهلاً بالله، ولا غافلاً عن أمره، بل كان يعرف ربّه، ويعرف السجود، ويعرف سرّ الطاعة.

ولكن حين أمره الله بالسجود لآدم، ظهر ما كان خفيًا في أعماقه، فقال:

قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ [الأعراف: 12]

لم يقل: أخطأت. لم يقل: سامحني. بل قال: أنا.

هنا انكشف الداء الحقيقي: ظنّ أن العبادة من نفسه، لا من فضل الله.

وهذا هو أصل كِبْر أهل العلم والعبادة عبر التاريخ.

## خطر الكِبْر حين يأتي من أهل العبادة

الإنسان الجاهل إذا تكبّر، ظهر كِبْره سريعًا، وانكشف قبحه. أمّا العالم أو العابد إذا تكبّر، فإن كِبْره يتزيّن بالآيات، والأحاديث، والفقه، والمواعظ، فيصبح الكِبْر مغطّى بثوب الدين نفسه.

قال النبي :

``لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرّةٍ من كِبْر.''

فقيل: يا رسول الله، إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة؟ فقال :

``إن الله جميل يحب الجمال. الكِبْر: بَطَرُ الحقّ وغَمْطُ الناس.''

بَطَرُ الحق: ردّه والاستعلاء عليه. غَمْطُ الناس: احتقارهم والنظر إليهم بدونية.

وهذا عين ما وقع فيه إبليس.

## الابتلاء الحقيقي ليس في العلم... بل في نسبته

العلم، والعبادة، والفهم، والقبول بين الناس — ليست تكريمًا فقط، بل ابتلاء.

قال تعالى:

وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ [النحل: 53]

لكن النفس تهمس:

- أنت تعلّمت.
- أنت اجتهدت.
- أنت أفضل من غيرك.

فينسى الإنسان:

- العقل الذي منحه الله.
- الظروف التي يسّرها له.
- البيئة التي تعلّم فيها.
- الصحة التي قويت بها ذاكرته.
- الهداية التي ثبّتت قلبه.

فيظن أن الفضل له، لا لله. وهذا هو الشرك الخفي.

## أمثلة واقعية

### 1. عالم يغضب إذا خالفه أحد

لا يغضب لله، بل لنفسه. فهذا عبدٌ لنفسه لا لربّه.

### 2. داعية يرى الناس ``جهلة'' وهو ``منقذهم''

ينسى أن الهداية بيد الله، وأن الله قد يهدي أميًا على يد جاهل.

3. حافظ قرآن يرى نفسه فوق أهل المسجد

مع أن النبي ﷺ — وهو أعظم من حفظ القرآن — جلس على الأرض وقال:

> ``إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد.''

## العلم الذي لا يُورث تواضعًا... بلاء

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله:

> ``رُبّ علمٍ كثير أورث صاحبه الكِبْر.''

وقال الإمام أحمد رحمه الله:

> ``العلم لا يعدل شيئًا إذا صحّت فيه النيّة.'' قيل: وما صحّة النيّة؟ قال: ``أن ينوي رفع الجهل عن نفسه وعن الناس، لا رفع نفسه فوق الناس.''

## من تراث العلماء

جادل الإمام الشافعي رحمه الله تلميذه الكرابيسي في مسألة، فلما أخطأ الكرابيسي قال الشافعي:

> ``أخطأنا نحن، وأصاب الله.''

لم يقل: أنا أصبت. ولم يقل: أنا العالم وأنت التلميذ.

بل نسب الحق إلى الله، والخطأ إلى البشر.

## مثال مؤلم من الواقع المعاصر

رجل يُعلّم الناس القرآن لسنوات، له صوت جميل، وطلبة كُثر، واحترام ظاهر. ثم بدأ مع الزمن ينظر إلى الناس من علٍ، ويحتقر من يخطئ أمامه، ونسِي أن الله قادر أن يقلب القلوب في لحظة.

وقد ورد في الحديث أن من تعلّم العلم ليُقال: ``عالم''، كان من أوائل من تُسعّر بهم النار.

# الخاتمة

إن الله لا يبتلي الإنسان بالمعصية وحدها، بل يبتليه بالطاعة أيضًا.

- إن نسبتَ الطاعة لنفسك: سقطت كما سقط إبليس.
- وإن نسبتَها لله: ثبتّ كما ثبت الأنبياء والصديقون.

اللهم إن أعطيتنا علمًا، فلا تجعلنا نرى به أنفسنا. وإن رفعتنا بين الناس، فلا تتركنا لأنفسنا طرفة عين. اللهم طهّر قلوبنا من العُجب والكِبْر، واجعل علمنا جسرًا إلى الجنة، لا سُلّمًا إلى النار.

# مقال تفسيري: معنى قوله تعالى

``فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ''

وصلته بواقعنا المعاصر

تُعَدّ هذه الآية الكريمة من سورة مريم من أشدّ آيات التحذير التي تتناول أخطر نقطة انهيار في حياة الأمم والأفراد: الصلاة. فهي ليست مجرد عبادة بدنية تؤدّى بالحركات، بل صِلَةٌ حيّة بين العبد وربه، وروحٌ للقلب، ونورٌ يهدي السلوك. وحين تضعف الصلاة أو تُفرَّغ من معناها، يبدأ الانحدار الروحي والأخلاقي دون أن يشعر الإنسان.

قال تعالى:

فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا [مريم: 59]

## أولاً: معنى قوله تعالى ``فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ''

الخَلَف في اللغة يُطلق على الجيل الذي يأتي بعد غيره، وغالبًا ما يُستعمل في الذم إذا كان اللاحق أقلّ صلاحًا من السابق. والآية تتحدث عن أجيال جاءت بعد الأنبياء والصالحين، فلم تحفظ العهد، ولم تصن العبادة، فبدأ الانحراف من أخطر موضع: الصلاة.

وهذه سُنّة قرآنية متكررة:

إذا ضاعت الصلاة، ضاع الدين من بعدها.

## ثانيًا: ما معنى ``أضاعوا الصلاة''؟

إضاعة الصلاة لا تعني تركها بالضرورة، بل تشمل نوعين خطيرين من الإضاعة:

### 1. إضاعة الوقت

أي عدم المحافظة على أوقاتها:

- تأخير الصلاة عن وقتها بلا عذر.
- تقديم مشاغل الدنيا عليها.
- الجمع بلا حاجة.
- التهاون بالفجر والعشاء.

> قال ابن عباس رضي الله عنهما:
>
> ``أضاعوها: ليس بتركها، ولكن أضاعوا وقتها.''

### 2. إضاعة المعنى والخشوع

وهي أخطر:

- أداء الصلاة بلا حضور قلب.
- سرعة الركوع والسجود دون تعظيم.
- قراءة القرآن بلا فهم ولا تدبر.
- التفكير في الدنيا داخل الصلاة.
- عدم تغيّر السلوك بعد الصلاة.

> قال بعض السلف:
>
> ``لو تركوها لكفروا، ولكنهم ضيّعوا حدودها وخشوعها.''

## ثالثًا: معنى ``وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ''

حين تضعف الصلاة، تضعف صلة القلب بالله، ولا يبقى الإنسان بلا عبودية:

- إمّا عبدًا لله.

- أو عبدًا للهوى.

فإضاعة الصلاة تفتح الباب تلقائيًا لاتباع الشهوات، لأن الصلاة هي الحارس الداخلي للسلوك.

## رابعًا: معنى ``فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا''

الغيّ يشمل:

- الخسران.
- الضلال.
- العذاب.
- أو وادٍ في جهنم كما قال بعض السلف.

والمعنى الجامع: عاقبة الانفصال عن الصلاة والانغماس في الشهوة، في الدنيا والآخرة.

## خامسًا: صلة الآية بواقعنا المعاصر

نعم، واقعنا اليوم يدخل في معنى الآية بوضوح شديد، ومن مظاهر ذلك:

### 1. الصلاة بلا روح

يصلي كثيرون، لكن:

- قلوبهم في العمل والتجارة.
- عقولهم في الهاتف والمشاكل.
- حركات بلا خشوع.

### 2. الصلاة عادة لا عبادة

يصلّي ليُسكت ضميره، لا ليُصلح قلبه. تنتهي الصلاة، وتعود الخصومة والغيبة والظلم وكأن شيئًا لم يكن.

### 3. الانشغال بالدنيا داخل الصلاة

لا يتذكر الإنسان تفاصيل يومه إلا بعد تكبيرة الإحرام، وهذا من علامات الإضاعة.

### 4. التهاون في الأوقات

- تأخير الفجر حتى تطلع الشمس.
- التساهل في الجمع.
- ترك السنن التي تُكمّل الفريضة.

## سادسًا: لماذا وصل الناس إلى هذه الحالة؟

- ضعف التدبر في الفاتحة والقرآن.
- سرعة الحياة وضغط الانشغالات.
- غياب التربية الإيمانية العميقة.
- الجهل بحقيقة أثر الصلاة.

فالصلاة ليست واجبًا فقط، بل:

- راحة للقلب.
- إصلاح للسلوك.
- تقوية للإرادة.
- وقاية من الذنوب.

## سابعًا: كيف ننجو من معنى الآية؟

١. المحافظة الصارمة على الوقت.

٢. استحضار عظمة الله عند التكبير.

٣. إطالة الركوع والسجود بطمأنينة.

٤. تدبر القرآن خارج الصلاة.

٥. تهدئة النفس قبل الصلاة بدقائق.

٦. فهم أن الصلاة تُصلحك لا مجرد تُسقط الفرض.

## الخاتمة

هذه الآية ليست قصة تاريخية، بل تحذير ممتد لكل زمان. ومعنى ``أضاعوا الصلاة'' ليس تركها، بل تفريغها من روحها.

فالصلاة هي الميزان الدقيق لحياة القلب:

- إن صلحت، صلح العمل كله.
- وإن فسدت، فسد العمل كله.

نسأل الله أن يجعل الصلاة قرة أعيننا، وروح قلوبنا، وسبب نجاتنا، وألا يجعلنا ممن ضيّعها ظاهرًا أو باطنًا.

# حقيقة الإنسان بين فقر الخِلقة وشرف التقوى

## قراءة قرآنية بليغة في طبائع البشر وأسباب السموّ الإنساني

ما أعجب هذا الكائن الذي اسمه الإنسان! يبدأ ضعيفًا، ويعيش مضطربًا، ويتقلّب في نِعَمٍ لا يحصيها، ثم يتعالى كأنما خُلِق من جوهرٍ مُقدّس أو نورٍ مُكرّم. غير أن القرآن الكريم يهدم هذا الغرور هدمًا منهجيًا، ويعيد الإنسان إلى حقيقته الأولى حين يقطع صلته بالله ويترك نفسه لطبيعتها الخام.

## أولاً: حقيقة الإنسان كما كشفها القرآن

قال الله تعالى في سورة عبس:

قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ
مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ
مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ
ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ
ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ
ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ

هذه الآيات ليست تأمّلاً هادئًا، بل صفعة قرآنية تردّ الإنسان إلى حجمه الحقيقي:

- ``قُتل الإنسان ما أكفره'' تعجّب مقرون باللوم على جحود النعمة.
- ``من أي شيء خلقه'' سؤال يهدم أساس الكبر.
- ``من نطفة خلقه فقدّره'' أصل ضعيف، لكن بتقدير محكم.
- ``ثم السبيل يسّره'' يسّر له الحياة والهداية والفرص.
- ``ثم أماته فأقبره'' نهاية واحدة مهما عظمت الدنيا.
- ``ثم إذا شاء أنشره'' بعث وحساب، فلا موضع للغرور.

## ثانيًا: الطبيعة النفسية للإنسان عند غياب الإيمان

قال تعالى في سورة المعارج:

إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا
إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا
وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا
إِلاَّ الْمُصَلِّينَ

### 1. الهلع

الهلع خوف داخلي مضطرب: خوف من الفقر، من المرض، من المستقبل، وهو قلق وجودي لا يزول بكثرة المال.

### 2. الجزع

الجزع اعتراض داخلي على القدَر، لا مجرد حزن. أدنى بلاء يهز النفس التي لم تتربَّ على الإيمان.

### 3. المنع

حين تأتي النعمة، يُمسك بها الإنسان، كأنها بملكه لا بعطاء الله.

### 4. الاستثناء: ``إلا المصلّين''

الصلاة هي النور الذي يكسر الهلع، ويطفئ الجزع، ويحرر القلب من المنع، لأنها تذكّر الإنسان بأن الكل من الله وإليه.

## ثالثًا: الشحّ... المرض الأعمق في النفس البشرية

قال تعالى:

وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [الحشر: 9]

الشحّ ليس مجرد بخل، بل:

- حب التملك المرضي.

- الخوف من الفقد.
- الأنانية.
- التعلّق المفرط بالدنيا.

قد يكون الإنسان غنيًا منفقًا لكنه شحيح القلب، وقد يكون فقيرًا مهووسًا بالمال. النجاة ليست في كثرة المال، بل في كسر سطوته على القلب.

## رابعًا: كيف يصنع الإيمان إنسانًا جديدًا؟

لم يترك القرآن الإنسان عاريًا أمام ضعفه، بل وضع له طريق الارتقاء:

### 1. الصلاة

مدرسة يومية تُعيد تشكيل النفس، وتحوّل القلق إلى سكينة.

### 2. الزكاة والإنفاق

قال تعالى:

وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ

الإنفاق يقتل الخوف من الفقر، ويزرع اليقين بالرزق.

### 3. التقوى

قال تعالى:

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ

التقوى نظام حياة يضبط الشهوات ويهذب النفس.

### 4. الأخلاق

الأخلاق هي الترجمة الحية للإيمان:

- رحمة
- كرم
- تواضع
- حياء
- عفو

لا قيمة لعبادة لا تغيّر صاحبها.

## خامسًا: طريق النجاة من ضعف الطبيعة البشرية

ينجو الإنسان إذا:

١. ملأ قلبه صلاة وخشوعًا.
٢. قدّم حق الله في ماله.
٣. راقب نفسه بالتقوى.
٤. تشبّع بالأخلاق النبوية.
٥. جعل همّه الآخرة لا الدنيا.

## الخاتمة

القرآن لا يذمّ الإنسان، بل يكشف ضعفه ليقوّيه، ويعرّي شحّه ليطهّره. النفس البشرية وحش إذا تُرك بلا ترويض، ونور إذا قادتها التقوى.

فالإنسان الحقيقي هو من انتصر على الإنسان الذي بداخله، وصعد فوق طبعه، وجعل صلته بالله طريق سموّه، وسكينته، وكرامته الحقيقية.

# ولا حتى يوم الطين

## مقال في الوفاء الغائب

الوفاء قيمة إنسانية عظيمة، كانت يومًا عنوان الشرف والنبل وصدق المعاملة، ثم ما لبث أن صارت نادرة في زمنٍ كثر فيه الجحود، حتى غدت ذكرى تُروى أكثر مما تُعاش. والمؤلم أن الإنسان — قبل الدين وقبل الإيمان — مُطالب بإنسانيته وفطرته أن يعرف الفضل لأهله، وأن يحفظ المعروف، وألا ينسى من أحسن إليه.

لكننا نرى اليوم من يجحد الخير وينكر الجميل، بينما تضرب لنا الحيوانات — التي لا عقل لها ولا تكليف — أمثلة مدهشة في الوفاء. فالأسود الضارية، التي لا تعرف إلا الصيد والبقاء، تركض إلى من ربّاها صغيرًة، تحتضنه وتلعق يده، وكأنها تقول: لم أنسَ معروفك. غلب الوفاء وحشيتها، بينما غلبت النفس والهوى والشيطان كثيراً من البشر.

## أعظم أنواع الوفاء

### 1. الوفاء لله عز وجل

وهو أعظم الوفاء وأشرفه. فالإنسان يعيش في نعم الله منذ خُلق: خلق، ورزق، وهداية، وستر، وعافية، وأمن، ورعاية... نعم لا تُعد ولا تُحصى. وأعظم الوفاء أن يشكر العبد ربَّه، وأن يطيعه، وألا يغفل عن إحسانه، وألا يجعل النعمة وسيلة للغفلة أو الطغيان.

### 2. الوفاء لرسول الله

وهو الذي حمل رسالة ربّه، وأخرج البشرية من الظلمات إلى النور. وفاؤك له يكون بحبه الصادق، واتباع سنته، وتعظيم سيرته، واحترام جهده العظيم الذي بذله لتصل إليك كلمة لا إله إلا الله.

3 . الوفاء للوالدين

بعد الوفاء لله ورسوله، يأتي الوفاء للوالدين. فهما سبب وجودك، وسند طفولتك، وسهر لياليك، وضحّيا من أجلك، وأحباك حبًا لا يعرف المقايضة. ومع ذلك، ينسى بعض الأبناء هذا الفضل، ويجحدون المعروف، إلا من رحم الله.

ثم يأتي الوفاء للإخوة، والأقارب، والأصدقاء، وكل من كان له فضل وإحسان، كلٌ بقدره ومكانته.

## ولا حتى يوم الطين — قصة تختصر معنى الوفاء والجحود

كان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية، كريم النفس، فتزوج جاريته اعتماد بعد أن أعتقها، ورفعها من العبودية إلى الملك. وذات يوم قالت له إنها تشتاق لأن تلعب بالطين كما كانت تفعل في صغرها. فأمر أن يُخلط الطين بالزعفران — أغلى من الذهب — لتلهو كما تشاء.

مشهد نادر من مشاهد الوفاء بين ملك وزوجته، صُنع لأجل إسعاد قلبها فقط.

لكن التاريخ لا يُقاس بالمشاهد، بل بالمواقف.

## الجحود الذي ارتدّ عليه

حين استنجد ملوك الأندلس بيوسف بن تاشفين لإنقاذهم من الإسبان، لبّى النداء، وانتصر في معركة الزلاقة، ووقف موقف وفاء عظيم. لكن المعتمد خان العهد لاحقًا، وتحالف مع الإسبان ضد من أنقذه، طمعًا في الملك والسلطان.

فكانت عاقبته أن أُسر وسيق إلى المغرب، وذاق من كأس الجحود الذي سقاه لغيره.

## الصفعة الأخيرة

في السجن، ذكّر المعتمد زوجته بأيام النعيم، فقالت ببرود قاسٍ:

ما رأيت منك خيرًا قط.

فنظر إليها وقال كلمته الخالدة التي هزّت التاريخ:

ولا حتى يوم الطين؟

ذكّرها بيومٍ واحد، يوم لم يفعله ملك لامرأة، يوم ملأ لها الطين بالزعفران، فقط ليُسعدها. لكنها نسيت... كما نسي هو معروف يوسف بن تاشفين.

فكان جحود الناس مرآة عادلة لجحوده السابق.

## حين يغيب الوفاء

عندما يختفي الوفاء:

- تنهار العلاقات
- وتذبل الأسر
- ويفسد المجتمع
- ويكبر الحسد
- ويسود الجفاء
- وتُرفع البركة من الحياة

الوفاء ليس ترفًا أخلاقيًا، بل أساس الإنسانية، وميزان القلوب الحيّة التي تعرف قيمة المعروف.

وليس الإنسان بحاجة إلى مالٍ ولا سلطان ليكون وفيًّا، بل إلى:

- ضمير حي
- نفس طيبة
- ذاكرة عادلة

## خاتمة

في زمن صار الجحود فيه عادة، يبقى السؤال المؤلم معلقًا في القلوب:

هل بقي في الناس من يتذكّر المعروف...
ولا حتى يوم الطين؟

# أنا لا أكذب... ولكني أتجمل

هناك جملةٌ شهيرة علِقت في ذاكرة أجيالٍ كاملة من أبناء السبعينيات والثمانينيات:

«أنا لا أكذب... ولكني أتجمل.»

قالها الفنان الراحل أحمد زكي في فيلمٍ أُنتج عام 1977، حين جسّد شخصية شاب فقير يعمل مع والده في مهنةٍ قاسية على النفوس ونظرات الناس: حفر القبور وتجهيز الموتى. ورغم ثقل المهنة وقسوة النظرة الاجتماعية لها، كان ذلك الشاب يحمل قلبًا نقيًا وطموحًا صادقًا؛ سجّل في الجامعة، وبدأ رحلة البحث عن معنى آخر لحياته.

لكن الفارق الطبقي لم يتركه وشأنه. أحب زميلته الجامعية، فتاةً من طبقة اجتماعية أعلى. وحين سألته عن مركزه ومنصبه، تردّد... ثم قال:

«أنا خالي وزير.»

كانت توصله بسيارتها إلى عمارةٍ فخمة، تتركه عند بابها، فيدخل متظاهرًا أنه يسكن هناك. وما إن تغيب سيارتها حتى يخرج ويعود إلى بيته المتواضع الملاصق للمقبرة.

وفي نهاية الفيلم، تنكشف الحقيقة. تراه وهو يجهّز القبر مع والده. تواجهه وتسأله: لماذا كذبت؟

فيرد بجملة بقيت حيّة حتى اليوم:

«أنا لا أكذب... ولكني أتجمل.»

## الضغط الاجتماعي: حين يُجبر الفقير على ارتداء قناع

لم يكن الشاب كاذبًا بمعنى الخداع المتعمّد، بل كان ضحية مجتمعٍ يضغط على الضعيف، ويدفعه ليهرب من واقعه، ويطالبه أن يرتدي قناعًا أكبر من مقاسه حتى يُقبل.

المشكلة لم تكن فيه، بل في مجتمعٍ يرى الإنسان من خلال ماله ومركزه ومنصبه، قبل أن ينظر إلى قلبه وأخلاقه وقيمه.

مجتمعٌ يصنع طبقاتٍ وهمية لا يقرّها دين، ويُقنع الناس أن قيمتهم في جيوبهم لا في ذواتهم.

وفي ميزان الإسلام:

> «لا فضل لعربيٍّ على أعجمي، ولا لأعجميٍّ على عربي، إلا بالتقوى.»

المساواة هنا ليست شعارًا أخلاقيًا، بل نظام حياة. لكن البشر — حين يبتعدون عن قيمهم — يعيدون إنتاج الطبقية بأيديهم.

## التجمّل: هروب أم طلب للقبول؟

حين يقول إنسان:

> «أنا لا أكذب... ولكن أتجمل»

فهو في الحقيقة يطلق صرخة داخلية صامتة:

> لا ترفضوني كما أنا. اسمحوا لي أن أبدو جميلاً في أعينكم. دعوني أكون منكم... ولو قليلاً.

هو لا يكذب ليستغل، بل يتجمّل ليحتمي. يحاول فقط أن يعيش في مجتمعٍ قد يلفظه لو عرف أصله أو دخله أو مهنة أهله. يحاول أن يتكيّف مع معايير ترى المظاهر قبل الإنسان.

## الإنسان القوي لا يتجمّل... بل يشكر

الإنسان السوي، الواثق بالله قبل أن يثق بنفسه، لا يحتاج إلى هذه الأقنعة.

لا يحتاج أن يتجمّل ليُقبل. ولا أن يرفع صوته ليُسمَع. ولا أن يغيّر أصله ليُحترَم.

هو يعيش كما هو:

- صادقًا
- نظيف القلب
- شاكرًا
- قانعًا

يرى النعمة في الصحة قبل المال، وفي الرضا قبل الشهرة، وفي القناعة قبل الممتلكات.

ويؤمن يقينًا أن الرزق بيد الله وحده، وأن العطاء والمنع كلاهما ابتلاء:

«وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ، وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ».

فمن أُعطي فليعلم أن العطاء اختبار، ومن مُنع فليعلم أن المنع قد يكون رحمة، ومن شكر في الحالين فقد فاز.

أما من كفر بالنعمة — مهما تجمّل وتزيّن — فخسارته في قلبه قبل دنياه.

## الخلاصة

«أنا لا أكذب... ولكني أتجمل» ليست جملة عابرة، بل مرآة لمجتمعٍ يقيس الناس بثيابهم لا بثباتهم، وبمظاهرهم لا بجواهرهم.

أما الإنسان الحقيقي، العارف بربه، فيعلم أن أفضل زينة في الدنيا هي:

- الصدق
- الرضا
- الشكر
- القناعة

لا يحتاج أن يتجمّل ليُقبل؛ فالله — قبل الناس — يقبل عبده كما هو، ما دام قلبه جميلاً.

# المعلّم والمتعلّم... شهاب الدين

هناك أمثالٌ عربية لا نعرف متى وُلدت، ولا من أطلقها أول مرة، لكنها – من شدة التصاقها بالواقع – تبدو وكأنها كُتبت خصيصًا لعصرنا. ومن هذه الأمثال قولهم:

«شهاب الدين أضرب من أخيه»

ويُقال هذا المثل عندما يُخيَّر الإنسان بين أمرين كلاهما سيئ، فلا يجد مخرجًا، ولا يستطيع أن يحدّد أيهما أهون، لأن كليهما في المسار نفسه... بل ربما في الهاوية ذاتها.

وحين ننظر اليوم إلى واقع التعليم في عالمنا العربي، نجد هذا المثل جالسًا بثقة، يبتسم بسخرية، وكأنه يقول: أنا وُضعت لهذا المشهد بالذات.

## بين معلّمٍ لم يختر... ومتعلّمٍ لم يُختر له

منذ عقود طويلة، ظلّ باب التعليم العالي يُفتح ويُغلق وفق معيارٍ واحد قاسٍ:

درجات الثانوية... ثم لا شيء بعدها.

لا اعتبار للظروف الاجتماعية، ولا تقدير للفروق الفردية، ولا قياس حقيقي للمواهب، ولا اكتشاف للميول النفسية،

بل ورقة امتحان واحدة تقرر مصير إنسان لسنوات طويلة.

ومع إدخال ما سُمّي بـ«اختبارات القدرات» في بعض الدول، ظنّ الناس أن النظام تطوّر، فإذا بها اختبارًا إضافيًا لا يحرّر الطالب، بل يقيّده أكثر، ويضيف حلقة جديدة إلى سلسلة التعجيز بدل أن يكشف القدرات الحقيقية.

وهكذا، يجد الطالب الذي كان يحلم بالطب أو الهندسة أو العلوم نفسه – فجأة – في كلية التربية، لا لأنه يرى نفسه مربّيًا أو معلمًا، بل لأنه لم يجد خيارًا آخر، ولأن نظام القبول قرّر أن يُلقيه هناك شاء أم أبى.

فتخرج أجيال من المعلّمين – إلا من رحم الله – لا علاقة حقيقية لهم بمهنة التعليم سوى الشهادة الورقية:

- لا شغف

- لا رغبة
- لا إحساس بالرسالة
- لا استعداد نفسي للتعامل مع بشر، فضلاً عن أجيال كاملة

## والمتعلّم؟ لقد وجد معلّمًا آخر

في الجهة المقابلة، نشأ جيل جديد لم يعد المعلّم المدرسي مصدره الأساسي للمعرفة. لقد حلّ مكانه الهاتف المحمول.

جيل يتعلّم من:

- مقاطع تيك توك لا تتجاوز عشر ثوانٍ
- فيديوهات: «كيف تصبح عبقريًا في 30 ثانية»
- نكات ومقالب وتفاهات تتخفّى تحت اسم «محتوى»

جيل تربّى على يد معلّم جديد، معلّم لا يعرف التربية، بل يعرف فقط ما يُرضي الخوارزميات، وما تحبه الخوارزميات نادرًا ما يكون علمًا أو معرفة.

فمن المسؤول؟

هل هو المعلّم الذي لم يُهيَّأ؟ أم المتعلّم الذي خطفه «معلّم الشاشة»؟

يأتي جواب المثل بلا تردّد:

شهاب الدين... أضرب من أخيه.

## مخرجات لا تشبه طموحات أمة

كيف ننتظر نتائج تعليمية قوية، والمعلّم لم يختر مهنته، والمتعلّم لم يعد يؤمن بمستقبله أصلاً؟

صار التعليم واجبًا روتينيًا بلا رسالة، وصارت المدرسة مكانًا يهرب إليه المعلّم قبل أن يهرب منه الطالب، وأصبح الطرفان متشابهين... كأخوين لا تدري أيهما أسوأ.

## لكن... ليست النهاية

رغم هذا الواقع القاتم، ما زال الإصلاح ممكنًا، إن أردناه إصلاحًا حقيقيًا لا شعارات.

### 1. إصلاح منظومة القبول الجامعي

- عدم الاكتفاء بدرجات الثانوية
- مقابلات شخصية تكشف الاستعداد النفسي لمهنة التعليم
- اختبارات تربوية متخصصة، لا اختبارات عامة شكلية

### 2. إعادة تعريف مهنة المعلّم

- تحسين الرواتب والامتيازات
- منح دراسية خاصة لمن يختار التعليم عن قناعة
- مسارات واضحة للتطور المهني داخل المدارس

### 3. تدريب إلزامي وجاد

ليس دورة سريعة، ولا محاضرة عابرة، بل تدريب حقيقي في:

- علم النفس التربوي
- التعامل مع جيل التكنولوجيا
- طرائق التدريس الحديثة
- إدارة الصف
- مهارات الإلقاء والتواصل

### 4. توظيف التكنولوجيا بدل أن تهدم التعليم

- دروس قصيرة عالية الجودة
- منصات تعليمية تفاعلية
- محتوى تربوي مُعدّ باحتراف
- مسابقات علمية رقمية

### 5. إعادة هيبة المعلّم

ليعود قدوةً وقائدًا تربويًا، لا مجرد موظف ينتظر نهاية الدوام.

### 6. إشراك الأسرة

فمن دون الأسرة، يبقى أي إصلاح ناقصًا؛ فالأسرة هي المدرسة الأولى، وهي التي تحدد احترام الطفل للعلم والتعليم.

## كلمة أخيرة

ليست المشكلة في «معلّم سيئ» أو «طالب سيئ»، بل في منظومة أنجبت الاثنين.

وإذا أردنا إصلاح الجيل القادم، فعلينا أن نبدأ بمن يصنعه: المعلّم، وبمن سيتسلّم مستقبله: المتعلّم.

وإلى أن يحدث ذلك، سيظل المثل العربي يصف حالنا بدقة مؤلمة:

«شهاب الدين… أضرب من أخيه»

لكن الأمل باقٍ أن نستبدله يومًا بمثلٍ آخر:

«نهض التعليم… فنهضت الأمة».

# أرحنا بها يا بلال... حين كانت الصلاة راحة القلوب لا عبئها

لم تكن كلمات النبي ﷺ:

«أرحنا بها يا بلال»

مجرد طلبٍ لإقامة شعيرةٍ روتينية، ولا عبارةً عابرة تُقال عند دخول الوقت، بل كانت تعبيرًا دقيقًا عن حقيقة الصلاة في التصور الإيماني: إنها راحةٌ لا عبء، سَكَنٌ لا ثِقَل، ملجأٌ لا واجبٌ ثقيل.

كانت الصلاة عند النبي ﷺ مرفأ القلوب المتعبة، والمكان الذي تُوضَع فيه أثقال الدنيا، وتُداوى فيه الجراح الخفية، وتُستعاد فيه الطمأنينة التي تتعب النفوس في البحث عنها.

أما نحن اليوم، فقد انقلب المفهوم عند كثيرٍ من الناس. أصبحت الصلاة عند طائفةٍ غير قليلة:

- همًّا ثقيلاً
- واجبًا مُتعِبًا
- عبئًا ينتظر صاحبه نهايته

حتى صار لسان الحال يقول:

«أرحنا منها»

لا:

«أرحنا بها».

## معنى الحديث... ومفارقة العصر

كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر، أو ضاقت عليه الدنيا، لم يبحث عن تسليةٍ دنيوية، ولا عن مهربٍ مؤقت، بل كان يلوذ بالصلاة. فيها كان يجد:

- راحة النفس
- انشراح الصدر
- طمأنينة الروح
- اتصالاً مباشراً برب العالمين

فالصلاة ليست حركاتٍ تؤدَّى، ولا كلماتٍ تُردَّد، بل:

بوابة نور، ونافذة على السماء، ولقاء بين العبد وربه.

أما اليوم، فكثيرٌ منا يصلّي بجسدٍ حاضر، وقلبٍ غائب. نقرأ الفاتحة وأذهاننا في التجارة، نركع وصدورنا مثقلة بالهموم، نسجد بين يدي الله بينما نفكر في دنيا لا تنتهي.

وهكذا تتحول الصلاة من راحةٍ إلى واجب، ومن استراحةٍ روحية إلى محطة تفكيرٍ دنيوي.

## حين تتحول الصلاة إلى عبء...

قال الله تعالى:

(فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا)

وإضاعة الصلاة لا تعني تركها فقط، بل يدخل فيها:

- أداؤها بلا خشوع
- أداؤها بلا حضور قلب
- تفريغها من معناها
- جعلها آخر الاهتمامات
- انتظار نهايتها بدل التلذذ بها

من أدّى الصلاة بالجسد، وضيّعها بالقلب، فقد دخل دائرة الخطر التي حذّرت منها الآية.

## الصلاة ليست هروبًا من التكليف... بل هروبٌ إلى الله

القلوب التائهة تبحث عن الراحة في كل شيء:

- تطوير الذات
- العلاج النفسي
- السفر
- الترفيه
- الكتب

وتنسى أن أعظم راحةٍ خُلقت على الإطلاق هي:

سجدةٌ صادقة بين يدي الله.

المؤمن حين يدخل الصلاة، يخلع أتعاب الدنيا عن كتفيه، ويضع قلبه بين يدي خالقه، ويقول بلسان حاله:

يا رب، لا راحة إلا عندك، ولا سكينة إلا بقربك.

## لماذا فقدنا معنى الراحة في الصلاة؟

- لأننا ندخل الصلاة مباشرة من صخب الدنيا بلا تهيئة قلبية.
- لأن عقولنا مشغولة بكل شيء إلا بالله.
- لأن العبادة صارت جسدية بلا روح.
- لأننا تعاملنا مع الصلاة كواجبٍ ثقيل لا كلقاءٍ محبوب.

بينما كان النبي ﷺ يجد فيها أعظم لذاته الروحية.

## كيف نستعيد المعنى النبوي للصلاة؟

- استحضر قبل كل صلاة أنك واقف أمام الله لا أمام الناس.
- اقطع صلتك بالدنيا لحظات قبل التكبير.
- تذوّق كلمات القرآن كأنك تسمعها لأول مرة.
- أطِل السجود، فهو موضع القرب الحقيقي.
- تذكّر أن الصلاة دواءٌ لا اختبار، وراحةٌ لا عقوبة.

حينها فقط، سيخرج قول:

«أرحنا بها»

من قلوبنا، لا من ألسنتنا.

## الخاتمة: هل نرتاح في الصلاة... أم نرتاح منها؟

لا تسأل نفسك:

هل صلّيت؟

بل اسأل:

هل وقفتُ أمام الله بقلبي؟ هل خرجتُ من الصلاة أهدأ مما دخلت؟

الصلاة ليست حركةً تُسقط عنك واجبًا، بل جسرٌ إلى الله، وليست عبئًا نتحرر منه، بل راحة نعود إليها.

وإن لم نعد نفهم معنى:

«أرحنا بها يا بلال»

فلنراجع علاقتنا بالصلاة، قبل أن نكون – من حيث لا نشعر – ممن قال الله فيهم:

(فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ)

نسأل الله أن يجعل الصلاة راحةً لقلوبنا، ونورًا لصدورنا، وسكينةً لأرواحنا، وأن يحيي بها ما مات فينا من خشوعٍ وإيمان.

# السخرية... جرحٌ صامت يهدم الأفراد والمجتمعات

ليست السخرية كلمةً عابرة تُقال ثم تتلاشى، ولا ضحكةً تُرمى في الهواء لتزجية الوقت أو لإثبات الهيبة أمام الآخرين. السخرية – منذ فجر التاريخ – كانت من أعمق الأسلحة النفسية التي استخدمها البشر ضد بعضهم، وأحد أخطر السلوكيات التي قادت أممًا بأكملها إلى الهلاك، وهي في حقيقتها ليست قوةً ولا خفّة دم، بل ضعفٌ في الروح، وانحرافٌ عن الفطرة، واعتداءٌ على كرامة الإنسان الذي كرّمه الله.

السخرية ليست «مزحة»... إنها جرحٌ نفسيٌّ صامت، قد يرافق الإنسان سنوات طويلة، وقد يترك آثارًا لا تُمحى، وربما يدفع بعض الضعفاء إلى فقدان الثقة، أو الانطواء، أو الانهيار الداخلي. وهي كذلك معولٌ يهدم القيم داخل المجتمع، ويقطع أواصر المودة، ويمهّد لانتشار البغضاء والكبر والتنمر.

ولهذا جاء الإسلام بتحريمٍ صريحٍ للسخرية، لأنها ليست مجرد سلوكٍ ظاهري، بل انعكاس لفساد القلب وغياب الرحمة.

## السخرية في القرآن الكريم: تحذيرٌ صريح من منهج الهالكين

لم يكتفِ القرآن بالنهي عن السخرية بين الناس، بل عرض نماذج تاريخية لأقوام سقطوا بسبب استهزائهم بالحق وبالرسل وبآيات الله. وهذا يؤكد أن السخرية ليست ضعفًا أخلاقيًا فحسب، بل علامة انحرافٍ حضاري يقود إلى هلاك الفرد والأمة.

### نماذج قرآنية للسخرية

السخرية من المؤمنين

(إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ)

تصويرٌ مؤلم لمجرمين يسخرون من أهل الإيمان، وكأن الطهارة والصدق موضع استهزاء.

السخرية من الرسل

(وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)

عادةٌ قديمة في نفوس الجاحدين، ونهايتها دائمًا وبالٌ وخسران.

السخرية من الدين والآيات

(وَاتَّخَذُوا آيَاتِ اللَّهِ وَرَسُولَهُ هُزُوًا)

وهو أخطر أنواع السخرية، لأنه استهزاء بالحق ذاته.

السخرية من الطاعة والفطرة

(وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا)

إذا كان خير الخلق لم يسلم من الاستهزاء، فكيف بسائر الناس؟

السخرية طريق للهلاك

(فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)

السخرية ليست بلا حساب، والله يتولى أمر عباده ويكفيهم شر المستهزئين.

## البعد النفسي: جرح لا يُرى

أخطر ما في السخرية أنها لا تترك أثرًا على الجسد، بل تنغرس في الروح. الإنسان المسخور منه قد يحمل داخله مشاعر:

- الدونية وانعدام القيمة
- الخجل والعار الاجتماعي
- الخوف من الظهور والتعبير
- القلق والاكتئاب والانطواء
- فقدان الثقة بالنفس وبالآخرين

وقد يظل موقفٌ ساخر واحد عالقًا في الذاكرة سنوات طويلة، يصبح حاجزًا نفسيًا يمنع النجاح والتقدم.

وقد أثبتت دراسات نفسية حديثة أن السخرية المتكررة – خصوصًا في الطفولة – تُعد من أشكال الاعتداء النفسي التي لا يقل أثرها عن الإيذاء الجسدي.

## البعد الاجتماعي: حين تتحول السخرية إلى ثقافة

عندما تنتشر السخرية، تتحول إلى ثقافة عامة، ويصبح المجتمع:

- قليل الاحترام
- فاقدًا للتسامح
- مليئًا بالتنمر
- محدود الإبداع (لأن السخرية تقتل المبادرة)
- متعاليًا على الحق، مكابرًا أمام الواضح

والتاريخ شاهدٌ أن الأمم التي سخرت من الحق، سخر منها الزمن.

## البعد الديني: باب من أبواب الإثم

قال الله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ)

وهذا ليس نهيًا شكليًا، بل قاعدة أخلاقية لبناء مجتمع سليم.

وقال النبي ﷺ:

«بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»

والسخرية في أصلها ليست إلا احتقارًا مُغلَّفًا بالضحك.

## البعد الأخلاقي والإنساني

كلمة واحدة قد:

- تدفع إنسانًا للبكاء ليلاً
- تدمّر ثقة طفلٍ بنفسه

- تحطم قلب شابٍ أو فتاة
- تخلق عقدة تستمر العمر كله

السخرية ليست مضحكة... بل مؤذية، ولا يعرف عمق الجرح إلا من ذاقه.

## لماذا يجب على العاقل أن يبتعد عن السخرية؟

- لأنها تُسقط المروءة وتفضح ضعف النفس
- لأنها تناقض الرحمة وهي جوهر الإنسانية
- لأنها تهدم العلاقات وتزرع الكراهية
- لأنها تقود إلى الكبر واحتقار الناس
- لأنها تشبه سلوك أهل الهلاك
- لأنها قد تكون سخريةً مما يحبه الله
- لأنها لا تليق بإنسانٍ ناضجٍ كريم النفس

## الخاتمة: كلمة السخرية كالسهم

السخرية سهمٌ صامت؛ قد لا يراه الناس، لكنه يصيب القلب.

قال الله تعالى:

(وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)

الحياة قصيرة، والقلوب هشة، والكلمة الطيبة عبادة. فلنبتعد عن السخرية – حتى مزاحًا – ولنجعل ألسنتنا مصدر رحمة لا مصدر جرح.

ومن كان عاقلاً، فليتذكر: لا تسخر من أحدٍ مهما كان... فقد يكون عند الله أرفع منك منزلة، وقد تكون سخريتك سبب سقوطك لا سقوطه.

# ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون — ليومٍ عظيم؟

## حين يصبح الغش بطولة

لم يعد الغش في البيع والشراء زلّةً عابرة أو انحرافًا فرديًا، بل تحوّل عند كثيرين إلى ما يشبه "وسام الشطارة"، وكأن التفنن في إخفاء العيوب مهارةٌ يُفاخر بها. موظف لا يملك إلا جهده، وتاجر يملك المال والعقار؛ كلاهما قد يشتركان في هدفٍ واحد: تصريف السلعة، ولو كان الثمن خداع المشتري وتوريطه في واقعٍ مغايرٍ تمامًا للصورة المعروضة.

ثم تبدأ رحلة الاكتشاف المؤلمة... ولا يقول الناس عندها: «سامحك الله»، بل يقولون: «حسبنا الله ونعم الوكيل»؛ لأن الغبن لا يجرح المال فقط، بل يجرح الكرامة، ويترك أثرًا نفسيًا عميقًا لا يُنسى.

وليس غريبًا أن يأتي العقاب في الدنيا قبل الآخرة؛ فالغش يمحو البركة، وينزع الطمأنينة، ويجعل صاحبه يعيش قلقًا دائمًا، لا يستقر له حال.

## القرآن يفضح الغشاشين منذ مطلع سورة المطففين

قال تعالى:

(وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ) (أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ • لِيَوْمٍ عَظِيمٍ • يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)

سؤالٌ قرآني يهزّ الضمير: هل يظن من يغشّ الناس، ويأكل أموالهم بالباطل، أنه لن يُبعث؟ أنه لن يُحاسَب؟ أنه لن يقف بين يدي ربٍّ لا تخفى عليه خافية؟

لو استحضر الغشاشون لحظة الوقوف للحساب، لتوقفت أيديهم قبل أن تمتد إلى مالٍ حرام.

## قصة واقعية: لابتوب جديد... وبطارية ميتة

اشتريتُ جهاز لابتوب وُصف بأنه جديد، مخزون منذ ثلاث سنوات. وكأي إنسان، توقعتُ أن يكون في أفضل حال. لكن المفاجأة كانت صادمة:

- البطارية تالفة تمامًا
- لا تشحن
- الجهاز لا يعمل إلا موصولاً بالكهرباء

اتصلتُ بالبائع، فاتصل بالشركة، وكانت الإجابة: قيمة البطارية 625 ريالاً.

وهنا يثور السؤال الذي لا يهدأ:

- هل كانوا يعلمون أن البطاريات تالفة بسبب طول التخزين؟
- هل البائع كان يعلم وسكت ليصرف الجهاز؟
- أم عرف الحقيقة لاحقًا وفضّل الصمت؟

الله أعلم... لكن الغبن وقع. ودعوتُ على من علم وكتم الحقيقة أن ينتقم الله منه في الدنيا قبل الآخرة.

اشتريتُ بطارية بديلة، ولم تصل بعد، ولا أعلم: هل المشكلة في البطارية فقط؟ أم أن الجهاز نفسه تضرّر؟

لكن المؤكد: أنا خسرت مالاً، وهم خسروا ضميرًا، وخسروا دينًا، وخسروا بركةً لا تُعوَّض.

## قصة أخرى لا تُنسى

قال لي رجل — رحمه الله — قبل وفاته:

«بعتُ المحل بسبعين ألفًا، وهو لا يساوي عشرين ألفًا»

قالها متفاخرًا... وقد تجاوز الستين من عمره!

فما بالك بجيلٍ نشأ على:

- الإعلانات المضللة
- الصور المزيفة
- تزيين السلعة حتى لا تشبه حقيقتها

## لماذا يتباهى الناس بالغش؟

لأن ميزان القيم انقلب:

- الصدق صار غباءً
- الغش صار ذكاءً
- الأمانة صارت ضعفًا
- التدليس صار شطارة

ومع أن الغش قد يزيد المال مؤقتًا، إلا أنه:

- يمحو البركة
- يجلب الهم
- يفسد العلاقات
- يهدم الثقة
- يدمّر المجتمعات

## الصدق في التجارة مقامٌ عظيم

قال النبي ﷺ:

«التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين»

ليس هذا حديثًا عاديًا؛ بل دليل على عِظم هذا المقام وصعوبة الثبات عليه. ولذلك حمدتُ الله أن أخرجني من ميدان التجارة، بعد أن فشلتُ فيه — وأقول فشلتُ — لأنني لم أُحسن التلوّن، وأردت أن أبقى صادقًا.

## الغش خطرٌ اجتماعي لا جريمة فردية

حين لا يأمن الناس على ما يشترون، ينهار:

- الاقتصاد

- الثقة
- العلاقات
- السكينة النفسية

وتتحول المعاملة اليومية إلى ساحة شكٍّ دائم، وكأن الغش أصبح أمرًا طبيعيًا لكثرة تكراره.

## مسؤولية العلماء والإعلام والمربين

هذه الظاهرة عامة، ولا مجتمع معصوم منها. وعلى الخطباء والعلماء والإعلاميين والمربين مسؤولية عظيمة في إعادة بناء الوعي:

- الغش حرام
- المال الحرام وعيده شديد
- الصدق في التجارة عبادة
- المال الخبيث لا يبارك ولا يدوم

## الخاتمة

الغش ليس ذكاءً… بل هلاك. والمال الحرام لا يُربّى، ولا يثبت، ولا يبارك.

ولو استحضر كل غشاش قول الله تعالى:

(أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ)

لتوقفت يده قبل أن تمتدّ إلى مالٍ ليس له. ولعل ما نراه من ضيقٍ، وانتزاع بركة، واضطراب أحوال، هو عقابٌ دنيوي قبل الوقوف بين يدي رب العالمين.

نسأل الله أن يطهّر مجتمعاتنا من الغش، وأن يجعلنا من الصادقين الأمناء، وأن يُرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه.

# السكر... سُمٌّ أبيض بطيء: ماذا فعلوا بأطفالهم؟

## العلم يتكلم... والتجربة تؤكّد

لم يكن الإنسان عبر التاريخ يتناول السكر بالشكل الذي نعرفه اليوم. خلال أقل من مئة عام، تضاعف استهلاك السكر المُصنّع عشرات المرات، حتى أصبح جزءًا من ثقافة الفرح، ومكافأة الأطفال، وطقوس المناسبات. لكن خلف هذه الحلاوة الزائفة، يختبئ أحد أخطر السموم الغذائية المعاصرة: سُمٌّ بطيء، تراكمي، يفتك بالصحة خليةً خلية.

العلم اليوم يتحدث بوضوح لا لبس فيه: السكر المُصنّع ليس غذاءً، بل مادة إدمانية، التهابية، مُثبِّطة للمناعة، ومحفِّزة لنموّ الخلايا السرطانية.

## السكر المُصنّع: آفة العصر بالأدلة العلمية

### 1. السكر مادة إدمانية حقيقية

أظهرت دراسات طبية حديثة أن السكر ينشّط في الدماغ نفس مراكز الإدمان التي يثيرها الكوكايين والنيكوتين. وفي تجربة شهيرة على الفئران، فضّلت الفئران السكر على الكوكايين بنسبة قاربت 94%.

هذه ليست استعارة... بل حقيقة عصبية موثّقة.

### 2. السكر يضعف المناعة خلال ساعات

أثبتت أبحاث منشورة في مجلات طبية متخصصة أن تناول كمية عالية من السكر:

- يقلل كفاءة كريات الدم البيضاء
- يضعف مقاومة الجسم للبكتيريا والفيروسات
- يستمر هذا التأثير السلبي لعدة ساعات بعد الاستهلاك

أي أن قطعة حلوى قد تفتح نافذة ضعف مناعي مؤقت... لكنها خطيرة.

### 3. السكر يُغذّي الخلايا السرطانية

من أشهر ما أثبته علم الأورام أن الخلايا السرطانية تعتمد على الغلوكوز كمصدر طاقة أساسي بمعدلات أعلى بكثير من الخلايا السليمة.

ويُستفاد من هذه الحقيقة عمليًا في فحوصات التصوير المتقدمة، حيث يُحقن الجسم بجلوكوز مشع، فتظهر الأورام بوضوح لأنها "تلتهم" السكر بسرعة.

### 4. السكر وقود الالتهابات المزمنة

السكر يرفع مؤشرات الالتهاب داخل الجسم، والالتهاب المزمن هو الجذر الخفي لمعظم أمراض العصر:

- السكري
- السمنة
- أمراض القلب
- الكبد الدهني
- ضعف المناعة
- الشيخوخة المبكرة

### 5. لا توجد كمية آمنة من السكر

صرّح عدد من كبار الأطباء بوضوح:

الكمية الآمنة من السكر المُصنّع هي: صفر.

ليس لأنه يقتل فورًا، بل لأنه سُمٌّ تراكمي لا يفرّق بين القليل والكثير.

## لماذا نمرض أكثر عندما نستهلك السكر؟

عند دخول السكر الجسم:

- يرتفع الإنسولين فجأة
- تنخفض المناعة بشكل حاد
- يزداد الالتهاب داخل الأنسجة
- تُستنزف الفيتامينات والمعادن
- تُهيّأ بيئة خصبة للبكتيريا والفيروسات
- تتشجع الخلايا السرطانية على النمو

النتيجة: أي مرض بسيط… يتحول إلى معركة حقيقية.

## تجربة شخصية: ماذا حدث بعد التوقف عن السكر؟

لسنوات طويلة كنت أعاني من:

- نزلات برد متكررة
- التهابات تتحول سريعًا إلى حالات حادة
- اعتماد شبه سنوي على المضادات الحيوية
- إرهاق شديد مع أي مرض بسيط

وكان السبب بسيطًا وخطيرًا في آن واحد: استهلاك يومي للسكر.

بعد قرار تقليل السكر ثم قطعه:

- اختفت الأمراض الموسمية تقريبًا
- أصبحت نزلات البرد خفيفة وعابرة
- توقفت الحاجة للمضادات الحيوية
- زادت المناعة والقدرة على التعافي

التجربة الشخصية حين تتوافق مع العلم… تصبح دليلاً عمليًا لا يُستهان به.

## رسالة إلى الآباء: لا تقتلوا أبناءكم بحسن نية

هل تعلم أن:

- عبوة عصير واحدة قد تحتوي ما يعادل 6 إلى 10 ملاعق سكر؟
- قطعة حلوى واحدة قد تعطل مناعة الطفل لساعات؟
- السكر يسبب اضطرابات التركيز ونوبات الغضب لدى الأطفال؟

نحن نصنع المرض... ثم نبحث عن الدواء.

إن لم تستطع منع السكر نهائيًا:

- خفّفه إلى أدنى حد
- قدّم الفاكهة بدل العصائر
- استبدل السكر بالعسل الطبيعي عند الحاجة
- غيّر مفهوم المكافأة بعيدًا عن الحلوى

## الخلاصة

السكر ليس غذاءً... ولا طاقة... ولا عادة اجتماعية بريئة. إنه مادة مدمّرة للصحة، تُضعف المناعة، وتغذّي الالتهاب، وتمهّد لأمراض خطيرة.

التغيير يبدأ بقرار واحد: خفّف... أو توقّف... وسترى الفرق.

والأهم: احمِ أطفالك. لا تهدِهم سُمًّا مغلفًا بالفرح.

# البخل الطارئ... عندما يختبر الله سخاء الإنسان بعد أن اعتاد عليه الناس

## حين لا يكون البخل طبعًا... بل انتكاسة

يحدث كثيرًا أن يكون الإنسان معطاءً، محسناً، كريم النفس، يبذل من ماله ووقته وجهده، ثم يفاجئ نفسه – ومن حوله – بتراجعٍ مفاجئ عن هذا الخير. بخلٌ طارئ، أو تردد غير معتاد، أو توقف بسبب كلمة، أو موقف، أو شعور بالضيق، أو جرحٍ نفسيٍّ لم يُعالَج.

وهذا النوع من البخل أخطر من البخل الدائم؛ لأنه ليس طبيعةً متأصلة، بل نكوصٌ عن خيرٍ اعتاده القلب، وألفه الناس، وكأن الإحسان صار مشروطًا بالمزاج وردود الفعل.

وهنا يأتي الابتلاء الحقيقي.

## قصة أبي بكر الصديق رضي الله عنه: حين يُصحّح الله سلوك العظماء

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يُنفق على قريبه مسطح بن أُثاثة، الفقير المهاجر، إحسانًا وصلةً وكرمًا.

فلما وقع مسطح – وهو بشر – في زلّة عظيمة يوم حادثة الإفك، وتكلم في عرض أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، غضب أبو بكر، فتوقف عن الإنفاق عليه.

غضبٌ مفهوم... لكن التوقف لم يكن مقبولاً إلهيًا.

فنزل قول الله تعالى:

(وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

ليست هذه الآية موعظةً عابرة، بل تصحيح رباني لسلوك إنساني قد يقع فيه أفضل الناس.

## لماذا البخل الطارئ أخطر من البخل الأصلي؟

البخيل بطبعه يعاني من خلل في اليقين والرحمة، وهذا شرّ. لكن من كان محسناً ثم توقف، فقد وقع في أمور أعظم:

- قطع عادة خيرية كان يسير عليها
- حرم نفسه أجر الاستمرار
- خذل من اعتاد إحسانه
- أساء الظن بوعد الله بعد أن كان مطمئنًا إليه
- جعل إحسانه تابعًا للناس لا خالصًا لله

وهذا تراجع أخلاقي وإيماني؛ لأن الخير إذا ألفه القلب ثم انقطع، كان الانقطاع علامة ضعف يقين لا قلة مال.

## حديث يهدم البخل من جذوره

قال النبي ﷺ:

«ما نقص مالٌ من صدقة»

هذا الحديث لا يترك للبخل حجة:

- لا ينقص المال
- بل يزيد بركة
- ويزيد نماء
- ويزيد حفظًا

فكيف يتردد من صدّق وعد الله ورسوله؟ التردد هنا ليس فقرًا... بل خلل ثقة.

## وعد الله الصريح: تجارة لا تبور

قال تعالى:

(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً)

الله – الغني الحميد – يسمي الصدقة قرضًا له، ويضمن مضاعفتها.

فمن سمع هذا الوعد ثم أمسك، فإمّا:

- ضعف يقينه
- أو غلبه غضب
- أو أسرته مشاعر عابرة
- أو جعل عمله مربوطًا بالناس لا بالله

## التوقف عن الخير بسبب الناس... خسارة مزدوجة

التوقف عن العطاء بسبب:

- كلمة قاسية
- خطأ من مستفيد
- موقف مخيّب
- ضيق نفسي
- جرح لم يُعالَج

هو سلوك مذموم؛ لأنه يحوّل العبادة إلى ردّة فعل، ويجعل الإحسان مرهونًا بالآخرين.

ومن ترك الخير لأجل الناس... فقد عمل للناس لا لله.

## الخلاصة: ثبّت إحسانك... ولا تجعل الناس حُكّامًا عليه

العطاء عبادة، والعبادة لا تُدار بالمزاج، ولا تُبنى على الانفعالات.

إن هممت بالبخل بعد سخاء، فتذكّر:

- أن الله عاتب أبا بكر الصديق نفسه
- أن العطاء لا ينقص المال
- أن الله يضاعف القليل أضعافًا كثيرة
- أن مغفرة الله أثمن من أي موقف بشري

(أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ)

هذه ليست آية تُتلى... بل درع إيماني يُطفئ البخل الطارئ كلما تسلل إلى القلب.

# الميزان في سورة الرحمن

(وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ   أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ)

ليست هذه الآيات وصفًا كونيًا مجرّدًا، ولا تقريرًا فيزيائيًا عن نظام السماء فحسب، بل هي إعلان إلهي عن قانونٍ شامل يحكم الوجود كلَّه: قانون الميزان. ميزانٌ دقيق لا يختل، وعدلٌ مطلق لا يحابي، ونظامٌ إذا أُخِلَّ به في أي موضع ظهر الخلل بقدر ما أُفسِد منه، لا أكثر ولا أقل.

## الميزان: قانون الوجود قبل أن يكون موعظة

حين يقول الله تعالى: (وَوَضَعَ الْمِيزَانَ)، فهو لا يتحدث عن أداة وزن مادية فحسب، بل عن مبدأ كوني شامل:

- ميزان في الكون
- ميزان في النفس
- ميزان في السلوك
- ميزان في العلاقات
- ميزان في القيم

فالسماء مرفوعة بلا عمد مرئية، لا تتصادم نجومها، ولا تختل أفلاكها، لأن الميزان محفوظ. ولو اختل مقدار ذرة واحدة لانفرط العقد كله.

وكذلك حياة الإنسان: لا تنهار فجأة بلا سبب، بل تبدأ بالانحراف حين يُكسَر الميزان في أمرٍ ما، ثم يتراكم الخلل حتى يظهر أثره.

## (أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ): التحذير قبل السقوط

الطغيان هنا لا يقتصر على ظلم الآخرين، بل يشمل كل تجاوزٍ للحد في أي مجال:

- طغيان في الدين: تشدد يُقسي القلب، أو تسيّب يُميته.
- طغيان في العمل: إفراط يُهلك الجسد، أو تفريط يُضيع الأمانة.
- طغيان في العاطفة: تعلّق أعمى، أو قسوة قاتلة.
- طغيان في العقل: تقديس الفكر حتى يُؤلَّه، أو تعطيله حتى يُلغى.

كل طغيان هو كسرٌ للميزان، وكل كسرٍ للميزان يستدعي نتيجة، لأن العدل الإلهي لا يُعطَّل.

## عدالة الله في الميزان

من أعظم ما يبعث الطمأنينة في النفس أن الله لم يخلق الإنسان في فوضى، ولم يتركه لعبث المصادفات، بل وضع ميزانًا عادلاً لا يظلم:

- من زرع حصد
- ومن بالغ في شيء دفع ثمن المبالغة
- ومن أخلّ بميزان صحته، أو علاقاته، أو روحه، جاءه الأثر من نفس الباب

وهنا تتجلى العدالة الإلهية: فليس العقاب دائمًا نارًا عاجلة، بل أحيانًا يكون:

- قلقًا داخليًا
- اضطرابًا نفسيًا
- فراغًا روحيًا
- ضيقًا بلا سبب ظاهر

بينما سببه الحقيقي هو كسر ميزانٍ ما في الخفاء.

# الميزان في حياة الإنسان: من العقيدة إلى التفاصيل

## 1. الميزان في الدين

الدين الحق هو أول ميزان. عبودية بلا وعي تُنتج قسوة، ووعي بلا عبودية يُنتج غرورًا.

الميزان هو:

- إيمانٌ يُعقِل
- وعقلٌ يخضع للحق

قال تعالى:

(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)

والوسطية ليست تمييعًا، بل دقة في الوقوف حيث يجب.

## 2. الميزان في النفس

النفس لها حاجات، والروح لها حقوق، والجسد له سنن:

- من أطعم الجسد وترك الروح جاع داخليًا
- من أهمل الجسد باسم الزهد انهار
- من أطلق النفس بلا ضابط استعبدته شهوته

الميزان هو أن تُعطى كل جهة حقها دون أن تطغى على الأخرى.

## 3. الميزان في العلاقات

لا حياة سليمة مع ظلمٍ مستمر، ولا علاقات صحية مع استنزاف دائم.

الميزان هنا هو:

- العدل

- الحدود
- الاحترام المتبادل

الإفراط في العطاء بلا وعي يُنتج استغلالاً، والأخذ بلا مقابل يُفسد الفطرة، وكل علاقة لا تُبنى على ميزانٍ عادل، مآلها الانكسار.

### 4. الميزان في الصحة والعقل

الصحة ليست صدفة، بل نتيجة ميزان:

- نوم
- غذاء
- حركة
- راحة نفسية

وكذلك العقل:

- من أثقله بلا توقف انهار
- ومن عطله فقد قيمته

حتى التفكير له ميزان: لا إفراط في القلق، ولا تفريط في المسؤولية.

## رسالة سورة الرحمن: الكون يُعلّمك

سورة الرحمن لا تُخاطب العقل فقط، بل تُربّي الإحساس بالميزان. تعدّد النعم، وتكرار السؤال:

(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

كأنها تقول: انظر... كل شيء موزون، فلماذا تريد أن تعيش بلا ميزان؟

## الخاتمة: إذا استقام الميزان استقامت الحياة

الحياة لا تحتاج دائمًا إلى معجزات لتُصلَح، بل إلى إعادة ضبط الميزان:

- أين طغيت؟
- أين قصّرت؟
- أين فقدت الاعتدال؟

فما من خللٍ في النفس، أو المجتمع، أو الأسرة، أو الصحة، إلا وله أصل في ميزانٍ مكسور.

ومن فهم معنى قوله تعالى:

(وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ)

فقد فهم سرًا من أسرار العيش بسلام: أن تعيش منسجمًا مع قانون الله، لأن من خالف الميزان... لا يُعاقَب ظلمًا، بل يُترك لنتائج اختياره، وذلك عين العدل.

# خبث تدخين السجائر

بين التحريم الشرعي والضرر الصحي والاجتماعي

## تمهيد: حين يتخفّى الضرر في العادة

من أخطر ما يواجه الإنسان أن يعتاد على ما يؤذيه، حتى يصبح الأذى جزءًا من حياته اليومية، لا يُستنكر ولا يُسأل عنه. فما اعتاده الناس كثيرًا قد يفقد في أعينهم صفة الخطر، ولو كان في حقيقته سمًّا بطيئًا.

والسجائر مثال صارخ على ذلك: عادة شائعة، ضررها ثابت، وخبثها مؤكد، ومع ذلك ما زال كثيرون ينظرون إليها باعتبارها "أمرًا شخصيًا"، مع أن آثارها لا تقف عند صاحبها، ولا تنتهي عند لحظة التدخين.

## السجائر في ميزان الشريعة: معنى المُفَتِّر

ثبت في الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال:

«حَرَّمَ اللهُ كلَّ مُسْكِرٍ ومُفَتِّرٍ»

وقد أجمع العلماء على أن:

- المُسكِر: ما يُذهب العقل ويُغيّبه.
- المُفَتِّر: ما يُضعف الجسد، ويورث الخمول، ويكسر القوى، ويُوهن البدن.

والسجائر — بشهادة الطب والتجربة — لا تُسكر العقل، لكنها:

- تُضعف البدن
- تُنهك الجهاز العصبي

- تُكسر الصحة تدريجيًا
- تُدخل الإنسان في حالة اعتماد وإدمان

وهذا هو عين معنى التفْتير. فالتحريم هنا لا يُبنى على أذواق أو أهواء، بل على قاعدة شرعية كلية:

كل ما يضر الإنسان في بدنه أو عقله أو نفسه ضررًا محققًا فهو محرّم.

## خبث السجائر: لماذا وُصفت بالخبث؟

قال الله تعالى في وصف رسالة النبي :

(وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ)

والخبث ليس في الطعم أو الرائحة فقط، بل في الأثر والعاقبة. والسجائر خبيثة من كل وجه:

- خبيثة رائحة
- خبيثة أثرًا
- خبيثة عادة
- خبيثة مآلاً

فلا طيب فيها، ولا نفع راجح، ولا مصلحة معتبرة تُقابل ضررها.

## الضرر الصحي: حقائق لا خلاف عليها

لم يعد ضرر التدخين محل نقاش علمي. فهو من أكثر الأسباب المؤكدة للأمراض المزمنة والقاتلة.

من آثاره الثابتة:

- أمراض القلب والشرايين
- سرطانات الرئة والفم والحنجرة
- ضعف جهاز المناعة

- تدمير الجهاز التنفسي
- تسريع الشيخوخة
- الإدمان العصبي والنفسي

وما يميّز السجائر عن كثير من المحرمات أن ضررها تراكمي صامت؛ لا يظهر دفعة واحدة، بل يتسلل عامًا بعد عام، حتى يصبح الإصلاح صعبًا أو مستحيلاً.

## الضرر النفسي: عبودية خفية

التدخين ليس مجرد عادة، بل ارتباط نفسي قهري.

فالمدخن غالبًا:

- لا يدخن لأنه يستمتع
- بل لأنه لا يستطيع التوقف

وهنا تتجلى المفارقة المؤلمة: يظن الإنسان أنه يختار، بينما هو في الحقيقة مُستعبَد.

وقد جاء الإسلام ليحرر الإنسان:

- من عبودية الشهوة
- من أسر العادة
- من تسلط الإدمان

## الضرر الاجتماعي: الأذى يتجاوز صاحبه

التدخين لا يضر صاحبه فقط، بل يتعداه إلى غيره:

- يؤذي أهل بيته
- يؤذي أبناءه
- يؤذي زملاءه

- ويؤذي المجتمع كله

ومن آثاره:

- تدخين سلبي يضر الأطفال
- تفاقم أمراض المرضى
- تلويث الهواء بغير حق

وقد قال النبي  :

«لا ضرر ولا ضرار»

فكيف يُبرَّر فعل يجمع بين إيذاء النفس وإيذاء الغير؟

## المال والنعمة: تبديد مقصود

التدخين استهلاك يومي لمال:

- لا يُشبع
- لا يُقوّي
- لا يُداوي
- بل يضر ويُهلك

وقد نهى الإسلام عن:

- الإسراف
- إضاعة المال
- تبديد النعمة

فكيف يُصرف المال فيما يُضعف الجسد، ويقصّر العمر، ويزيد المرض؟

## لماذا يتساهل الناس مع تحريم السجائر؟

من أسباب التساهل:

- الاعتياد الاجتماعي
- التدرج البطيء للضرر
- ضعف الوعي الديني والصحي
- الخلط بين عدم السكر وعدم التحريم

لكن الشريعة لا تُحرّم فقط ما يُذهب العقل فورًا، بل ما يهدم الإنسان على المدى القريب أو البعيد.

## الخلاصة: التدخين ليس أمرًا شخصيًا

السجائر:

- محرّمة شرعًا لدخولها في باب المُفَتِّرات
- خبيثة بنص القرآن
- مدمّرة صحيًا
- مؤذية اجتماعيًا
- مُهلكة للنفس والمال

وليست القضية: هل اعتادها الناس؟ بل: هل يرضاها الله؟ وهل تحفظ الإنسان الذي كرّمه الله؟

وكل من ترك التدخين:

- لم يخسر شيئًا
- بل استعاد حريته
- وصحته
- وكرامته

وما حُرِّم في الشريعة إلا لخبثه، وما نُهي عنه إلا رحمةً بالإنسان.

# طعامنا تحت العبث

هرمونات النمو التجارية... العدو الصامت في بطوننا وبطون أطفالنا

## تمهيد: عندما يتحول الغذاء إلى تجربة غير أخلاقية

لم يعد السؤال اليوم: هل نأكل طعامًا صحيًا؟ بل أصبح السؤال الأخطر: هل نأكل طعامًا خضع لتجارب غير منضبطة بدافع الجشع؟

ما يدخل إلى بطوننا وبطون أطفالنا لم يعد نتاج الزراعة أو التربية الطبيعية، بل نتاج سوقٍ مفتوح على العبث الكيميائي والهرموني، حيث يُدفع الغذاء إلى النمو السريع والتضخيم غير الطبيعي دون اعتبار حقيقي لما يحدث داخل أجسام البشر على المدى المتوسط والطويل.

هذا النص ليس نداءً عاطفيًا، بل اتهامًا أخلاقيًا وعلميًا صريحًا لكل من:

- تجاوز المسموح علميًا
- تساهل رقابيًا
- أو صمت وهو قادر على الإيقاف

## أولاً: ما الذي يحدث فعليًا لطعامنا؟

### 1. تسريع غير طبيعي للنمو

في الزراعة وتربية الحيوانات نلاحظ اليوم:

- نباتات تُدفع للنمو في وقت أقصر من طبيعتها
- لحوم تُضخَّم بأوزان لا تتناسب مع عمرها البيولوجي

- دواجن تصل للحجم التسويقي في أسابيع بدل شهور

هذا ليس تقدمًا علميًا، بل تشويه لمسار النمو الطبيعي.

### 2. هرمونات ومنشطات خارج التوازن الحيوي

ما يُضاف إلى الغذاء يشمل:

- هرمونات نمو
- محفزات أيض
- مواد تنظيم هرموني غير مفهومة بالكامل
- مركبات "مسموح بها" بحدود وُضعت في سياقات مختلفة تمامًا

والنتيجة:

طعام يتصرف بيولوجيًا داخل الجسم البشري بشكل غير متوقع.

## ثانيًا: ماذا تفعل هذه الهرمونات بأجسامنا؟

### 1. فوضى هرمونية صامتة

الجسم البشري نظام دقيق التوازن. إدخال مواد هرمونية من الخارج — حتى بجرعات صغيرة — قد يؤدي إلى:

- اضطراب الغدد الصماء
- خلل تنظيم النمو
- تأثيرات غير مباشرة على الخصوبة
- تسريع أو تأخير غير طبيعي للبلوغ

والأخطر أن التأثير تراكمي طويل الأمد وغير مفهوم بالكامل حتى الآن.

## 2. إنهاك الكبد والكلى

الكبد والكلى هما:

- خط الدفاع الأول
- مراكز إزالة السموم

ومع إدخال مركبات غريبة يوميًا:

- يزداد العبء الأيضي
- تتراكم نواتج غير مدروسة
- يظهر الإرهاق المزمن
- تتطور التهابات وفشل وظيفي صامت

ليس كل ضرر فوريًا... بعضه يتراكم بهدوء حتى الانفجار.

## 3. الجهاز الهضمي: الضحية الأولى

نلاحظ اليوم انتشارًا غير مسبوق لـ:

- حساسية الطعام
- تهيّج القولون
- عدم تحمّل مواد كانت طبيعية لعقود
- اضطرابات هضمية مزمنة بلا تفسير واضح

والسؤال الذي يُتجنّب طرحه:

هل ما نأكله ما زال "طعامًا" بمعناه البيولوجي؟

### 4. المناعة: ضعف أم فوضى؟

المفارقة الخطيرة:

- ضعف مناعة لدى البعض
- فرط استجابة مناعية لدى آخرين
- انتشار أمراض مناعية ذاتية
- التهابات مزمنة غير مفسّرة

وهذا يدل على أن الجسم لم يعد يفهم ما يدخل إليه... فيتصرف بعشوائية.

## ثالثًا: ما الذي لا يعلمه الطب بعد؟

يعترف العلم الطبي اليوم بأن:

- التأثير طويل الأمد لمحفزات النمو غير مدروس كفاية
- أغلب الدراسات قصيرة المدى
- التجارب لا تغطي التعرض اليومي لعقود
- الأطفال والحوامل خارج الحسابات الواقعية

بمعنى صريح:

نحن نشارك في تجربة بيولوجية واسعة... دون موافقة واعية.

## رابعًا: من المسؤول؟

المسؤولية لا تقع على:

- المستهلك وحده
- الطبيب

- الباحث

بل على:

- الجهات الرقابية
- صناع القرار
- من يمنح التصاريح
- من يخفف المعايير
- من يغض الطرف عن تجاوز "الحدود الآمنة"

الطمع لا يبرر العبث بالصحة العامة، والنمو السريع لا يبرر التضحية بأجيال كاملة.

## خامسًا: رسالة مباشرة لكل مسؤول قادر على الإيقاف

هذا نداء واضح لا يقبل التأويل:

- الغذاء ليس سلعة تجريبية
- صحة الأطفال ليست مجال ربح
- الأجسام البشرية ليست مختبرات مفتوحة
- ما لم يُثبت العلم أمانه الكامل يجب منعه لا الترخيص له

التغاضي اليوم:

- يُدفع ثمنه صحيًا غدًا
- اقتصاديًا بعده
- وإنسانيًا عبر أجيال

## الخاتمة: نحن لا نطلب المستحيل

لا نطلب العودة للعصور البدائية، ولا نرفض التقدم العلمي. نطلب فقط:

- احترام حدود البيولوجيا
- احترام بطون الناس
- احترام أجساد الأطفال
- احترام ما لم يُثبت العلم أمانه بعد

الطمع قصير النظر... لكن أثره الصحي طويل العمر. والتاريخ لا يرحم من جعل الربح أعلى من الإنسان.

# كيف تصبح كريمًا؟

في الكرم وطيبة النفس... حين يكون العطاء خُلُقًا لا مظهرًا

## تمهيد: الكرم ليس مهارة بل طبيعة

الكرم وطيبة النفس ليسا مهارةً تُكتسب في دورةٍ تدريبية، ولا سلوكًا عابرًا يُستدعى عند الحاجة، بل هما خُلُقٌ عميق الجذور، ينمو في الإنسان منذ طفولته الأولى، ويتشكّل من تربيته، وبيئته، والنماذج التي عاش بينها.

وقد يحاول بعض الناس اكتساب الكرم لاحقًا، فينجح القليل بالمجاهدة الصادقة، ويفشل كثيرون حين يتحوّل الأمر إلى تكلّفٍ أو تمثيل؛ لأن ما لا يخرج من القلب لا يصل إلى القلوب.

## الكرم ميراث قبل أن يكون قرارًا

يحكي أحد الأصدقاء قصةً بليغة الدلالة، حين زار منطقة حائل، أرض حاتم الطائي، الاسم الذي صار مرادفًا للكرم في الذاكرة العربية. يقول: مررنا نسأل عن أمرٍ ما، فاستقبلنا طفل لم يتجاوز العاشرة من عمره، أجابنا ببساطة، ثم ألحّ علينا بإصرارٍ صادق أن ننزل ونأخذ حق الضيافة.

لم يكن إلحاحه استعراضًا، ولا خجلاً مصطنعًا، بل كان نابعًا من يقينٍ داخلي بأن هذا هو الصواب، وكأن الضيافة واجبٌ فطري لا يحتاج إلى تفكير أو تبرير.

ذلك الطفل لم يقرأ عن الكرم، ولم يتلقَّ درسًا أخلاقيًا نظريًا، بل رآه حيًّا في والده، وفي بيته، وفي مجتمعه. وهنا يتجلّى السرّ: الكرم يُورَّث بالسلوك لا بالكلام.

## ماذا نزرع في أبنائنا؟

من المؤلم أن نرى بعض الآباء يزرعون في أبنائهم:

- الحرص المَرَضي
- حب التملك
- الخوف غير المبرر من الإنفاق

وكأن العطاء نقص، وكأن المال هو القيمة العليا في الحياة. ينشأ الطفل وهو يحسب كل شيء، يخشى المشاركة، ويكره العطاء، فتتحول هذه السلوكيات مع الزمن إلى صفاتٍ ملازمة، تجعله ثقيل الروح، ضعيف القبول، مهما بلغ من علم أو منصب.

والعجيب أن الإنسان قد يكون مليئًا بالعيوب، لكنه كريم؛ فتجد كرمه حاضرًا في الشدائد والأفراح والأتراح، فيغطي هذا الخُلُق العظيم على كثير من نقائصه، ويكسبه محبة الناس واحترامهم.

## الكرم لغة إنسانية عالمية

الكرم ليس حكرًا على قومٍ أو دينٍ أو منطقة. كم هو جميل أن تجلس في مطعمٍ عابر على الطريق، فإذا بشخصٍ لا يعرفك — من أي بلدٍ كان — يلحّ عليك أن تشاركه طعامه، بلا معرفة سابقة، ولا مصلحة، ولا انتظار مقابل.

تلك الطيبة، وذلك الرضا، وذلك السخاء، صفات إنسانية خالصة، تظهر حين يكون الإنسان إنسانًا، قبل أي توصيف آخر.

فالكرم خُلُق الأحرار، حيثما كانوا، ومن أي لونٍ كانوا.

## وصية لا تُقدَّر بثمن

وصيتي لأبنائي، ولكل من يقرأ هذه الكلمات:

- لا تترك ضيفك جائعًا تحت أي ظرف
- كن مبادرًا ولا تنتظر أن يُطلب منك
- لا تحسب كم ستنفق، بل اسأل: هل تركت أحدًا دون كرم؟

فالكرم ليس في كثرة المال، بل في صدق النية وسعة القلب.

## بين كرم الإيمان وبذخ المظاهر

الكرم الحقيقي من صميم الإيمان والمودة الإنسانية. وما أُنفِق في موضعه لا يُعد خسارة، بل تزكية للنفس قبل أن يكون نفعًا للآخرين.

والعجيب أننا لا نتردد في إنفاق مبالغ كبيرة على:

- كماليات
- مظاهر اجتماعية
- قهوة أو حلوى عابرة

ولا نجد في ذلك حرجًا، لأنه في نظرنا من "بريستيج العصر". لكننا نتردد حين يكون الإنفاق على إنسان، على ضيف، على محتاج، وكأن الكرم صار عبئًا لا شرفًا.

## الخاتمة: الكرم موقف حياة

الكرم ليس وليمة، ولا صورة، ولا مناسبة. الكرم موقف، ونَفَس، وطريقة نظر إلى الناس.

هو أن ترى في الآخر إنسانًا يستحق العطاء، لا حسابًا يُتعبك.

فطوبى لأولئك الكرماء طيبي النفس، من كل عرقٍ ولون، الذين ما زالوا يثبتون أن الإنسان يُعرَف بما يعطي، لا بما يملك.

# الإخلاص... حين تُفضَح الأعمال يوم تُعرَض النيّات

حين لا تنفع الأعمال، وتكون النيّة هي الحكم

## تمهيد: الصدمة التي لا يتوقعها المتديّنون شكليًا

ليس كل قارئٍ للقرآن ناجيًا، ولا كل متصدّقٍ مأجورًا، ولا كل مقاتلٍ شهيدًا.

هذه حقيقة صادمة، لكنها من صميم الدين، كشفتها السنّة النبوية بوضوح لا يقبل التأويل، لتكسر أوهام التدين الشكلي، وتضع الإخلاص في موضعه الحقيقي: في القلب لا في الصورة، في النيّة لا في الفعل وحده.

## نص الحديث الذي يهزّ القلوب

قال رسول الله ﷺ فيما رواه مسلم:

«إن أولَ الناسِ يُقضى يومَ القيامةِ عليه رجلٌ استُشهد، فأُتيَ به فعرّفه نعمتَه فعرَفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استُشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلتَ ليُقال جريء، فقد قيل. ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار.

ورجلٌ تعلّم العلم وعلّمه وقرأ القرآن، فأُتيَ به فعرّفه نعمتَه فعرَفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلّمتُ العلم وعلّمتُه وقرأتُ فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلّمتَ ليُقال عالم، وقرأتَ القرآن ليُقال قارئ، فقد قيل. ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار.

ورجلٌ وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأُتيَ به فعرّفه نعمتَه فعرَفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيلٍ تحب أن يُنفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلتَ ليُقال جواد، فقد قيل. ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار».

## الزلزال الحقيقي في هذا الحديث

هذا الحديث لا يتحدث عن عصاةٍ أو فاسقين، بل عن:

- قارئ قرآن
- عالمٍ ومعلّم
- متصدّقٍ كريم
- مقاتلٍ في ساحة القتال

> أعمال هي في ظاهرها قمم الطاعة، لكنها تحولت إلى وبالٍ على أصحابها؛ لأن النيّة لم تكن لله.
>
> وهنا تنكشف القاعدة الأخطر في الدين:

ليس المهم ماذا تفعل، بل لمن تفعل.

## الإخلاص: حقيقة العمل لا زينته

قد تقرأ القرآن، لكن قلبك ينتظر ثناء الناس. قد تتصدّق، لكن عينك على لقب "كريم". قد تجتهد في عملك، لكن همّك رضا البشر لا رضا الله.

> الفعل واحد، لكن المصير مختلف تمامًا.
>
> فالعمل إذا لم يُرد به وجه الله، فهو عند الله عدم، بل قد يكون حُجّةً على صاحبه يوم القيامة.

## شرك الرياء: أخطر ما يُفسد الأعمال

نعيش زمنًا انتشر فيه نوعٌ خفيّ من الشرك، لا يُخرج من الملة، لكنه يُحبط العمل: شرك الرياء.

- تعمل ليُقال: ملتزم
- تعطي ليُقال: كريم
- تجتهد ليُقال: مثالي
- تطيع لتتجنب اللوم لا لتنال رضا الله

وهنا يتحول الدين إلى:

- صورة
- أداء وظيفي
- وسيلة تبرير
- سدّ أعذار اجتماعية

لا عبادة.

## لماذا لا بركة في أرزاقنا وأعمالنا؟

يسأل كثيرون:

- لماذا الراتب لا يكفي؟
- لماذا التعب بلا ثمرة؟
- لماذا كثرة العمل وقلة الرضا؟

والجواب موجع لكنه صادق: لأن الأعمال لم تُقدَّم لله، فلا يُبارك الله فيها.

البركة لا تُشترى بكثرة الساعات، ولا بالاجتهاد المجرد، بل بصدق القصد.

عملٌ قليلٌ بنيّة صادقة، خيرٌ من جبل أعمال بنيّة فاسدة.

## رسالة قاسية... لكنها رحيمة

هذا الحديث لم يُروَ ليُحبط الناس، بل لينقذهم. لم يُذكر لإسقاط العاملين، بل لإيقاظ القلوب قبل فوات الأوان.

الله لا يريد صورتك، ولا خطابك، ولا منشورك، ولا تصفيق الناس لك.

الله يريد قلبك.

## أسئلة لا مفرّ منها

اسأل نفسك بصدق:

- لو لم يرني أحد... هل سأفعل هذا العمل؟
- لو لم يُشكرني أحد... هل سأستمر؟
- لو لم يُكافئني بشر... هل أرضى بأن يكون الله هو الشاهد؟

هذه الأسئلة ليست اتهامًا، بل ميزان نجاة.

## الخاتمة: النجاة ليست في العناوين

ليس المهم أن تُعرَف في الأرض، بل أن تُقبَل في السماء.

ليس المهم أن يُقال عنك: قارئ، أو كريم، أو شجاع، بل أن يقول الله: هذا عبدي، عمل لي.

فطوبى لمن أصلح نيّته ولو قلّ عمله، وويلٌ لمن أفسد قصده ولو ملأ أعين الناس طاعةً.

اللهم ارزقنا الإخلاص، ونجِّنا من الرياء، ولا تجعل أعمالنا شاهدةً علينا يوم نلقاك.

# ما أكثر الذين أخذوا شهادة الدكتوراة عندنا... لكنهم في النائبات قليل

حين يغيب أثر العلم، وتبقى الألقاب وحدها في الواجهة

## تمهيد: بين الشهادة والموقف

ما أسهل أن تُعلَّق الشهادات على الجدران، وما أصعب أن تتحول تلك الشهادات إلى مواقف عند الشدائد، وما أندر أن ترى أثر العلم حين يحتاجه الناس فعلاً.

لقد كَثُرَ حملة شهادات الدكتوراة في مجتمعاتنا حتى كاد اللقب يفقد هيبته، لا لأن الدرجة العلمية فقدت قيمتها، بل لأن كثيراً ممن حملوها لم يحملوا مسؤوليتها. فالشهادة العليا ليست زينة لغوية تُسبق بها الأسماء، ولا منزلة اجتماعية يُتفاخر بها، ولا وسيلة للزهو والتعالي.

## الدراسات العليا: لماذا وُجدت أصلاً؟

إكمال الدراسة بعد الجامعة لم يكن يوماً غايةً في ذاته، بل وسيلة ذات مقاصد واضحة:

- بناء عقلٍ بحثي قادر على التحليل لا التلقين
- إنتاج معرفة جديدة لا إعادة تدوير قديمة
- خدمة المجتمع والإنسانية
- إعداد أجيال قادرة على البناء لا التبعية

الدكتوراة لم تُخلق لتكون ديكوراً علمياً، ولا وساماً اجتماعياً، ولا بطاقة عبور إلى طبقةٍ متعالية على الناس.

## كالحمار يحمل أسفارًا

حين تتحول أعلى الشهادات إلى لقبٍ بلا أثر، ويغيب حضورها عند الحاجة، يصدق الوصف القاسي:

كالحمار يحمل أسفارًا

يحملها… نعم، لكن لا يفهمها، ولا يُحسن استخدامها، ولا ينتفع بها، ولا يُنقذ بها أحدًا.

ترى "الدكتور" يزهو إذا نُودي بلقبه، ويرتفع صوته في المجالس، ويختفي حين تحتاج الأمة رأيًا، أو تحليلاً، أو مشروعًا حقيقيًا.

## طبقية علمية بلا رسالة

الأدهى من ذلك أن بعضهم يتعامل مع الشهادة وكأنها بطاقة عبور إلى طبقةٍ أعلى من البشر:

- يُنظّر ولا يُحاسَب
- ينتقد ولا يعمل
- يتصدر ولا يُقدّم

وينسى أن الدرجة العلمية ليست امتيازًا… بل تكليفًا ثقيلاً.

تكليف بأن:

- يُعلّم
- يُدرّب
- يُوجّه
- يُسهم في حل مشكلات المجتمع
- يُنشئ أجيالاً أفضل منه لا أضعف

## علوم الحاسب: المثال الأكثر إيلامًا

من أكثر الأمثلة كشفًا للخلل ما نراه في علوم الحاسب.

كم عندنا من حملة الدكتوراة في:

- نظم التشغيل
- هندسة البرمجيات
- الذكاء الاصطناعي
- الشبكات
- الأنظمة الموزعة
- لغات البرمجة
- أمن المعلومات

أعداد ضخمة، وألقاب ثقيلة، وسنوات طويلة من الدراسة.

لكن السؤال الجوهري:

ماذا خرج من كل هذا؟

هل خرج لنا نظام تشغيل عربي جاد، مستخدم فعليًا؟ هل خرجت لغة برمجة عالمية لها موضع حقيقي بين لغات العالم، صنعتها عقولنا، ووقفت خلفها جامعاتنا، وتبنّاها باحثونا؟

الجواب المؤلم: لم نرَ شيئًا يُذكر.

وإن وُجدت محاولات، فهي خجولة، متقطعة، تنتهي سريعًا، لا لأنها فاشلة بالضرورة، بل لأنها لم تُدعَم، ولم يُؤمن بها كـ مشروع طويل النفس.

## العلم الذي ينتظر المقابل

المشكلة ليست في نقص العقول، بل في أزمة رسالة ونيّة.

كثير من المشاريع – إن بدأت – كانت تنتظر مقابلاً دنيويًا عاجلاً:

- منصبًا

- ترقية
- لقبًا أعلى
- اعترافًا اجتماعيًا مسبقًا

فإن لم يتحقق ذلك، مات المشروع، وسُحبت الجهود، وعاد كلٌ إلى صومعة لقبه الأكاديمي.

## العلم الحقيقي لا ينتظر التصفيق

العلم الذي يغيّر الواقع لا يبدأ بسؤال:

ماذا سأحصل؟

بل بسؤال:

ماذا أستطيع أن أبنيه؟

أعظم التقنيات في العالم لم تبدأ بألقاب، ولا بقرارات رسمية، بل بمشاريع آمن بها أصحابها، وصبروا عليها، حتى أثمرت.

أما عندنا، فكثيرون بلغوا القمة الأكاديمية، ثم توقفوا، وكأن الشهادة كانت خط النهاية لا بدايته.

## أين هم عند النائبات؟

عند الأزمات:

- التعليمية
- الاقتصادية
- التقنية
- الفكرية

نبحث عن حملة الدكتوراة، فنجدهم:

- صامتين

- منشغلين بذواتهم
- بعيدين عن همّ الناس

وهنا تتجلى المأساة:

أمة يكثر فيها المتعلمون، ويقل فيها العلماء.

## الخاتمة: العلم موقف لا لقب

العلم ليس لقبًا يُنادى به، ولا شهادة تُرفع، ولا طبقة اجتماعية.

العلم:

- موقف عند الشدة
- صوت عند الصمت
- عمل حين يكثر الكلام

فطوبى لمن حمل علمه فأنقذ به، وويلٌ لمن حمل أعلى الشهادات، ثم عاش ومات، ولم يشعر أحد أن علمه مرّ من هنا.

يا لها من أمة... كثُر فيها الحاصلون على الشهادات، وقلّ فيها من يستحقها فعلاً.